الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

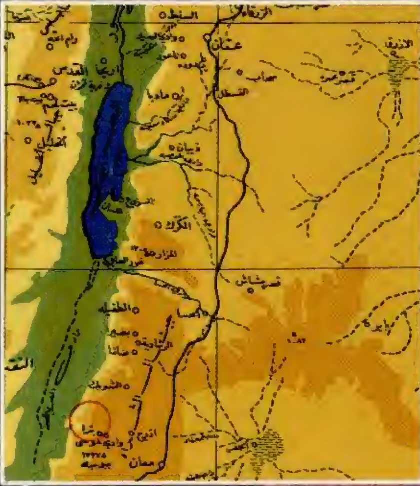
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 126 - 11TH YEAR - AUG. 1987.

العدد (١٢٦) ذو الحجة ١٤٠٧ هـ ـ السنة الحادية عشرة ـ آب (أغسطس) ١٩٨٧ م.



★ السيق : الممر الضيق الذي يفضي إلى البتراء لعله تحريف عن كلمة الشق ★



★ موقع بترا في المملكة الأردنية ★

مدينة وتاريخ

البتراء عاصمة الأنباط العرب

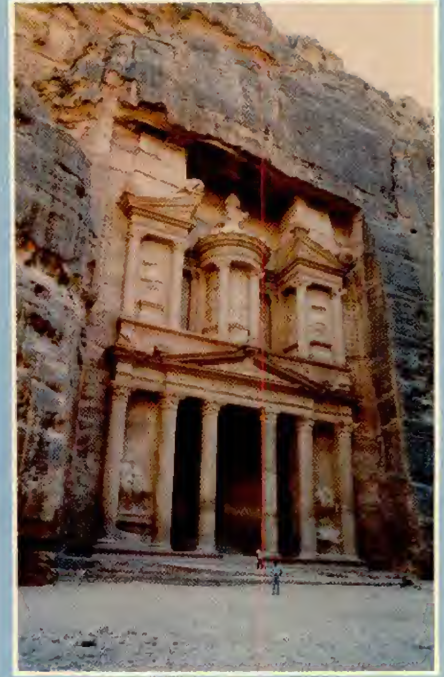
بقلم : عيد السرياني

البتراء مدينة أردنية تاريخية عريقة ، تجتذب إليها كل سنة آلاف السياح والزوار الأجانب ممن يتعشقون الجمال الطبيعي ، ويبحثون عن عراقة الآثار ، وما تمثله من حضارة قديمة ، وما تشير إليه من جهود في فنون البناء والنحت والزخرفة على الصخور ذات الألوان الطبيعية العريقة .





★ مكان الأضاحي المرتفع ★



★ الخزنة : وهي من آثار الأنباط العرب ★



★ الشارع الرئيسي المرصوف ★

والسياح الذين يزورون مدينة البتراء يبهرون بما يشاهدونه من جمال وعراقة هذه المدينة مما يجعلهم يعجبون بكل ذلك ، وبأكثر مما كانوا يتوقعون أو يتخيلون ، ومما صورته لهم النشرات والكتيبات السياحية ، التي يحصلون عليها عادة قبل المجيء ، خاصة ذلك اللون الأحمر الوردي ، الذي يغلب على لون الخزنة التاريخية الأثرية ، والحجر الرملي الموجود بها ، هو في معظمه ذو لون أحمر غامق ، يميل إلى الصفرة ، وتتخلله في بعض مواضعه وجزئياته ، عروق فاتنة رائعة ذات ألوان صفراء ورمادية وبيضاء .

ومن الشعراء الأجانب المشهورين ، الذين زاروا مدينة البتراء وبهرهم جمالها الأخاذ ، وما فيها من صروح أثرية شادها الأنباط ، العرب القدماء ، في الزمن القديم السحيق ، الشاعر **دين بارجين** ، الذي قال فيها في قصيدة عصماء تعتبر لوحة فنية رائعة مرسومة بعناية ودقة لمدينة البتراء .

ومن المؤرخين الذين كتبوا عن مدينة البتراء التاريخية ، الكاتب الكلاسيكي **ديودورش الصقلي** ، الذي يذكر معلومات عنها ، وعن سكانها الأصليين «الأنباط» العرب .



★ المدرج الروماني . يتسع لحوالي ثلاثة آلاف متفرج وطرازه الهندسي من جملة الدلائل التي توحي بأن بناءه تم في القرن الثاني أو الثالث للميلاد ★

وهناك كاتب كلاسيكي آخر يشير إلى البتراء ، إنه « **سترابو** » ، وهو يصف الأنباط ومدينتهم ، كما كانت في القرن الأول قبل الميلاد ، ويلاحظ أن الوصف الذي ذكره « سترابو » يطابق إلى حد بعيد ، ما تشير إليه المكتشفات الأثرية الحديثة .

ومن المعلومات التي ذكرها « سترابو » بهذا الصدد ما يلي :

● إن الأنباط كانوا يمتازون باعتدالهم ونشاطهم وجدّهم ، لدرجة أنهم كانوا يفرضون عقوبة علنية على كل شخص تتناقص ثروته ، في حين يحظى الشخص الذي ينمي ثروته تكريماً وتشريفاً ، وهذا يعني أنهم كانوا تجاراً في المقام الأول .

● إن الأنباط كانوا يتصفون بالديمقراطية وفي مقدمتهم ملكهم ، حيث إنهم لم يكونوا يقتنون إلا عدداً قليلاً من العبيد ، ويخدمون أنفسهم بأنفسهم ، وكان ملوكهم يقيمون مآدب طعام عديدة .

● إن مساكن الأنباط كانت عبارة عن منشآت ضخمة من الحجر ، ومدنهم غير محاطة بالأسوار ، بسبب حالة السلم والأمن السائدة في بلادهم ، وإن الثمار تكثر في أراضيهم باستثناء الزيتون ، وأغنامهم بيضاء ، وثيرانهم كبيرة ، وإنهم كانوا لا يستعملون الخيول وإنما الجمال .

● وإنهم كانوا يتوخون البساطة في ملابسهم ، حتى ملوكهم كانوا يخرجون ، وهم يرتدون بزات لا أحزمة لها .

● إن عاصمة الأنباط هي المسماة البتراء .

اكتشافها

ظل الغموض والظلام الكثيف يحيطان بتاريخ مدينة البتراء القديم ، تماماً كما كان يحيط بموقعها القديم في سالف العصور ، إلى أن اكتشفه وحدده على وجه الدقة سنة **١٨١٢ م** ، رحالة إنجليزي / سويسري اسمه **بركهارد** ، الذي كان يطوف في بعض أقطار الشرق الأوسط ، حينما كان يسير ببطء في طريقه من **القاهرة** إلى **دمشق** عبر **الأردن** ، في رحلة محفوفة بالمخاطر ، كما وصفها .

إن زيارة البتراء كانت حتى عام ١٩٢٥ م ، تكاد تكون مقصورة على الرحالة الأثرياء ، ممن لا يهابون المخاطر . ومما يجدر ذكره ، أن مكتشف البتراء في العصر الحديث الرحالة « بركهارد » قد أسلم وأدى فريضة الحج عام ١٨١٥ م ، واتخذ لنفسه اسم **الحاج عبد الله بورخارت** .

ملامح تاريخ البتراء

يُرجح العلماء أن إنسان ما قبل التاريخ ، كان يعيش في مأوى على مقربة من موقع مدينة البتراء ، ويستدلون على ذلك ، باكتشاف كهف صخري يعود عهده إلى الفترة الباليونية القصوى ، علماً بأنه قد تم العثور في ذلك الكهف على أدوات حيوانية كانت تستخدم في ذلك الزمن .

وقد أدت الحفريات الأثرية كذلك إلى الكشف عن مواقع بعض القرى المتفرقة تعود إلى العصر **النيوليثي** ، أي حوالي سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، في موقع **البيضا** إلى الشمال من البتراء ، ودلت على ذلك أدوات مكتشفة من العظام والحجر والأسلحة .

يرتبط تاريخ البتراء ارتباطاً وثيقاً بتاريخ **الأنباط** ، الذين اتخذوها عاصمة لهم طوال حقبة طويلة من الزمن ، واجتهدوا في بنائها . **والمصادر التاريخية تؤكد أن الأنباط كانوا في أصلهم قبائل عربية رحل ، جاءوا من شمال الجزيرة العربية** ، يجوبون البقاع بحثاً عن الكلأ والمرعى ، حتى وصل بعضهم إلى منطقة البتراء ، التي كان يسكنها في ذلك الوقت **الأدوميون** ، في قراهم ومدنهم ، فتعايش الأنباط معهم في بداية الأمر ، ثم أغرتهم الحياة التجارية والمعيشة التي كانت مزدهرة في المنطقة ، بذلك الوقت ، فغلبوا الأدوميين على أمرهم وحلوا محلهم ، وبذلك تترك الأنباط حياة البداوة والرعي ، وانقلبوا إلى حياة التجارة والكسب المادي ، **واتخذوا من البتراء عاصمة لهم ، وانتشر بعضهم حولها في مدن وقرى صغيرة ، وأقاموا في المنطقة كلها معالم حضارة متقدمة ، بمقاييس عصرهم ، تعتبر من أولى الحضارات العربية الزاهرة التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط .**

لكن حضارة الأنباط وثروتهم ورفاهيتهم أطمعت فيهم « **أنتيجون** » ، وهو أحد قادة **الإسكندر الأكبر** ، الذين اقتسموا إمبراطوريته المترامية الأطراف ، في الفترة ما بين سنة ٣٠٦ و ٣٠١ قبل الميلاد ، فغزاهم بجيش يقوده « **أثينية** » ، الذي انتهز فرصة غياب رجال البتراء ، بعيدين عنها في تجارتهم ، وانقض عليها واحتلها وسلب كنوزها ، ولكن سرعان ما عاد هؤلاء إلى مدينتهم ، ولحقوا بالجيش المعتدي ، وهزموه شر هزيمة ، واستردوا كل ما تم سلبه من عاصمتهم .

بعد فترة من الزمن كانت فيه **سورية** قد انتقلت من حكم اليونانيين إلى حكم الرومان ، وعندئذ بدأ الاحتكاك بينهم وبين دولة الأنباط ، التي كانت قد أصبحت مملكة .

مراحل تاريخية

ويحفظ تاريخ البتراء أسماء أشهر ملوك الأنباط بالنسبة لما اقترن بهم من إنجازات ، مثل **الحارث الأول** ، الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد **وعبادة الأول** ، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد ، حدثت في عهده مواجهة عسكرية بين الأنباط بقيادته ، والرومان بقيادة **جانيوس** ، في معركة قرب شاطئ طبرية الشرقي ، انتصر فيها واحتل بعدها جنوب سورية ، **ومالكوس الثاني** انحاز إلى جانب الفرس في حربهم ضد الرومان ، ولما هزم الفرس التزم الأنباط بدفع الجزية للرومان ، **وعبادة الثالث** وقف ضد أطماع الإمبراطور **أغسطس الروماني** في غزو بلاد العرب ، **والحارث الرابع** ، عرف بأنه كان محبًّا لشعبه إلى درجة كبيرة ، فساد في عهده الازدهار والسلام في مملكة الأنباط .

بعد ذلك يكاد التاريخ يخلو من معلومات عن البتراء ومملكة الأنباط حتى آخر ملوكهم (**رئبال**)

★ القصر الملكي ★



المتوفى سنة ١٠٦، بعد الميلاد، وبعد وفاته احتل الرومان البتراء، وأصبحت بلاد الأنباط مقاطعة رومانية تماماً.

ورغم ذلك، فقد استمرت مدينة البتراء في ازدهارها المعهود فترة طويلة من الزمن تحت حكم الرومان، حتى أنه كان لها في ذلك العهد نقودها الخاصة التي تصنع من الذهب الخالص!

وفي أوائل القرن السابع الميلادي انتشر الإسلام الحنيف في بلاد الشام، من أقصى جنوبها إلى أقصى شمالها، وبذلك عادت مدينة البتراء إلى الحكم العربي في سنة ٦٣٦م، وكانت حينذاك لا تزال مأهولة ببعض السكان، الذين اشتغلوا بالزراعة.

ثم طوى الزمن والإهمال مدينة البتراء، بعد ذلك، حتى تم اكتشاف وتحديد موقعها في العصر الحديث على يد الرحالة بركهارد سنة ١٨١٢م.

من هنا تبدأ الآثار

الواقع أن مدينة البتراء تحفل بالكثير من الصروح الأثرية، التي تتوافر فيها بكثرة، والتي تشير إلى حضارة الأنباط العريقة، بمقاييس عصور ما قبل التاريخ، وإلى عبقريتهم في فنونهم، وعن الجهود العظيمة التي بذلوها في إقامة مدينتهم وتجميلها، خاصة وأن هذه الآثار معظمها منحوت في الصخر.

ومن الأوائل الذين زاروا البتراء وعملوا على اكتشاف آثارها «**يوحنا لافيغ**»، «**وآربي**»، «**ومانجلس**»، «**وليون دلابورد**»، ثم أصبحت البتراء محط أنظار علماء الآثار.

والواقع أن الطريق إلى آثار البتراء تبدأ من السير في الطريق نحو **وادي موسى**، حيث تعلو شاهقة الجبال الجرداء الملساء الخالية من الزرع والحياة بينما تختفي وراءها الصروح الأثرية القائمة حتى الآن، منذ أن ابتدعتها أيدي وفنون الأنباط العرب.

ويُعد مدخل السيف هو بمثابة البوابة الرئيسية التي يلج منها السياح إلى مدينة البتراء، وقبل أن يصلوا إليه يشاهدون **جبل هارون** يقف شاهقاً إلى يسارهم، يعلوه بناء مطلي بالكلس.

ثم ينظر السياح إلى يمينهم، حيث يشاهدون فوق «تل الوعيرة» بقايا حصن جبلي صغير، كان قد بناه الملك **بودوان الثاني** سنة ١١٢٧م.

وبعد أن يسير السياح قرابة نصف ساعة على أقدامهم بعد عين موسى، تطالعهم فوق ربوة بقايا بلدة **جايا**، وهي مدينة نبطية قديمة، سكنها الأنباط قبل سكناهم للبتراء، لكن بها آثاراً مهمة للأدوميين، وكان الفضل في اكتشافها إلى عالمة الآثار **كريستال بينيت** خلال سنة ١٩٦٧/١٩٦٨م، وهذه الآثار الأدومية تعود إلى الفترة الزمنية ما بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد.

وبعد ذلك يتوالى وصول السياح والزوار إلى أهم آثار البتراء تباعاً.

على مسافة خمسة كيلومترات من الطريق الرئيسية يصل السياح إلى الاستراحة الحكومية السياحية، ومن هناك يمكنهم مشاهدة واجهة قبرين منحوتين أحدهما فوق الآخر، يطلق عليهما اسم القبر الهرم، والأعلى منهما ينسب إلى الملك النبطي **مالك الثاني**، (من سنة ٤٠/٧٠ قبل الميلاد)، وأما الأسفل فينسب إلى آخر ملك نبطي، هو **رابيل الثاني** ويعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد.

ثم يصل السياح إلى السيف، وهو يعتبر المدخل الرئيسي لمدينة البتراء، ومنحوت في الصخر الوردي الشاهق، ويبلغ طوله ١٢٠٠ متر، وعرضه في بعض المواقع متر، بينما يصل ارتفاعه من ٨٠ إلى ١٠٠ متر، وعلى جانبي هذا السيف يشاهد السياح الكوات التي حفرها الأنباط لآلهة مدينتهم، منها «**ذو الشرى**»، وحامي الديار، «**والعزى**» واقفة بين فهدين، وحينما يمر السياح

★ قصر البنت ★



من هذا المدخل يجدونه يزدان على جانبيه بطبقات صخرية ذات ألوان بديعة متواكبة ومتمازجة ، منها الأبيض والأصفر والأحمر والخملي والبنفسجي ، بحث يشعرون وكأنهم يمرون بعالم أخاذ من الفتنة والسحر الأخاذين ، خاصة وأن نوعاً من الموسيق الطبيعية الحالمة الآسرة تجذب أسماعهم ، وهي ناتجة عن مرور الرياح العاصفة إلى النسيم الهادئ .

ولا بد أن السياح عندئذ يسألون دليلهم السياحي عن معنى ومبنى كلمة **السيف** ، فيخبرهم بأنها كلمة سريانية ، وتعني الزقاق أي المدخل إلى الدهليز .

عندما يصل السياح إلى نهاية هذا الممر البديع سوف يقفون مشدوهين أمام أروع صرح أثري في البتراء ، وهو **خزنة فرعون** ، وهو بناء بديع جميل منحوت في صخر رملي لونه وردي فاقع ، يبلغ ارتفاعه تسعة وثلاثين متراً ونصف ، وعرضه ثمانية وعشرين متراً ، وإذا ما سأل السياح دليلهم عن سبب تسمية هذا الصرح الأثري بخزنة فرعون ، سيجيبهم بأن سكان المنطقة اعتقدوا بأن فرعون كان يخفي فيه كنوزه ، لكنه في الحقيقة كان قبراً ، يعود تاريخه إلى زمن الإمبراطور الروماني **أدريانس** (سنة ١١٧ / ١٣٨ م) ، رغم أن تيجان هذا الهيكل من الطراز الكورنثي ، وهو يمتاز بروعة فنية مميزة ، ويتكون من طابقين ، الأسفل له واجهة من ستة أعمدة من الطراز الكورنثي ، منقوش فوق سطحها رسمان **لأبي الهول** والآخر لأسد وفهد .

ثم يتابع السياح مسيرتهم لمشاهدة بقية الصروح الأثرية في مدينة البتراء ، فيصلون إلى **المدرج الروماني** ، الذي كشف علماء الآثار ، أنه تم تشييده في زمن الملك النبطي **الحارث الرابع** (من سنة ٨ إلى ٤٠ م) ، وقد تم ترميمه في عهد الملك مالك الثاني (من سنة ٤٠ إلى ٧١ م) ، وهذا المدرج يتشكل من ٣٣ صفاً منحوتة في صخر رملي رمادي ، ويتسع لأكثر من ثلاثة آلاف متفرج .

ثم يشاهد السياح **قصر البنت** ، وهو بناء لا يزال في حالة جيدة ، وهو عبارة عن هيكل بناه الأنباط في القرن الأول قبل الميلاد لآلهتهم المزعومة «ذو الشرى» ، وهذه الآلهة كانت تمثل عندهم بصخرة سوداء مكعبة ، موضوعة في وسط غرفة على قاعدة من الذهب ، وكانت تقدم لها القرابين الدموية !!

ثم يتابع السياح مشاهدة بقية الصروح الأثرية بمدينة البتراء ، ومنها الدير ذو الواجهة البالغة الضخامة ، (٤٧ × ٤٠ م) والقبور المزينة بالنقوش البديعة ، والمذبح الذي يقع بين خزنة فرعون والمدرج الروماني ، وهناك أيضاً آثار رائعة توجد في مواقع أثرية جميلة في ضواحي البتراء مثل **الحبيس ، والوعيرة ، وأم البيارة ، والعبرة ، والبارد** ، وتحتاج للوصول إليها إلى ساعات طويلة من السير على الأقدام .

وإذا ما شاهد السياح كل تلك الصروح الأثرية الرائعة بمدينة البتراء فسوف يغادرونها ، وهم على قناعة تامة بأنها مدينة تاريخية وأثرية عظيمة ، لها طابع تاريخي خاص ، وقيمة أثرية مميزة ، وهما عنصران هامان ، قد لا يتوافران كثيراً في أي مدينة تاريخية أخرى في منطقة الشرق الأوسط .

الموقع التجاري

الواقع أن البتراء كانت منذ القدم ذات موقع جغرافي وتجاري هام ، حيث إنها **تقع على ملتقى جملة طرق بين مصر وفلسطين وشبه الجزيرة العربية والعراق وسورية** ، ولما جاء إليها الأنباط ، وكانوا في الأصل قبيلة عربية أدركوا أهمية موقعها التجاري ، واهتموا بالحياة التجارية وما فيها من كسب مادي ، ورفاهية وازدهار ، فاستوطنوا بها ، وأصبحوا تجاراً ماهرين ، وكانت تجارتهم عبارة عن قوافل تجوب الصحراء ، تحمل الذهب والفضة ، والأحجار الكريمة والبهارات والأخشاب الثمينة ، من بلاد فارس وجنوب شبه الجزيرة العربية ، كما كانت قوافلهم تحمل البخور والمر من **حضرموت** ، وأصبحت البتراء مقراً لهم ، يخزنون فيها بضائعهم .

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن ترتبط حضارة مدينة البتراء التاريخية العريقة ، بحضارة الأنباط التليدة ، حيث جمعتهم بها روابط تاريخية ثابتة ، وقد اتخذوها عاصمة لمملكتهم ومقرًا لدولتهم ، وأقاموا بها إقامة فعلية وجدية استمرت طوال فترة تواجدهم على طريقة الحياة البشرية في منطقة الشرق الأوسط قديماً .

وحضارة الأنباط لها أصول وقواعد ونماذج خاصة بهم ، في فنون البناء والنحت وصنع الفخار وزخرفة الأحجار ، كما أنهم قد عرفوا الكتابة ، وكانت لهم حروف هجائية خاصة بهم ، وكانت مدينتهم ذات مخطط حسن التنسيق والتنظيم .

الفنون .. والصناعات

من الثابت أن صناعة الفخار كانت من أهم الإنجازات الحضارية عند الأنباط ، بمقاييس الحضارة في عصرهم (عهود ما قبل الميلاد) ، ويرى الخبراء أن فخارهم يمتاز بالرقة ودقة الصنع ، ولا يمكن مقارنته في تلك المزايا ، إلا ببعض أنواع الخزف الصيني المتقدم الصنع ، الذي يطلق عليه اسم **البورسلين** ، بل إن بعض الدراسات أثبتت أن الفخار الذي توصل إليه الأنباط كان يمتاز عن البورسلين ، لأن طريقة صنعه كانت أكثر دقة وفاعلية وتناسقاً ، حيث كانوا يطرحونه على الدولاب ويلفونه ، ثم يصقلونه أملس بعد ذلك ، أما صناعة البورسلين فإنها تقوم على صبه في قوالب ، ويلاحظ أن مصنوعاتهم الفخارية تزدان بنقوش جميلة ومتقنة ودقيقة للغاية ذات دهانات سوداء وبنية غامقة ومتناسقة ، وهذا التنسيق ودقة الصناعة تمتاز به أيضاً طريقة الأنباط في زخرفة الحجارة الصخرية ونحتها وصقلها بدرجة كبيرة من الجودة والإتقان ، وتدل على ذلك الآثار العديدة التي تركوها في البتراء .

الكتابة النبطية

كان للأنباط لغة خاصة بهم ، كما أنهم عرفوا

★ الصخر في البتراء بلون الورد ★





★ جبل هارون ★

الكتابة والحروف الهجائية إبان ازدهار حضارتهم قبل الميلاد، وقد تشابهت حروفهم التي كانت معروفة في ذلك الزمن.. كما أنها تطاولت عمودياً، وقد اعتادوا أن يكتبوها متلاصقة بسبب أشكالها المستطيلة، ويعلقوا بعض الحروف ببعضها.

هذا ولم يصلنا منهم سوى كتابات قليلة، كان أطول ما عرف منها، ما وجد على أوراق البردي النبطية، التي عثر عليها في حفارة على شاطئ البحر الميت شرقي بيت لحم.

كان لهم طريقتهم المميزة في **النحت**، وتمتاز بالتناسق والمهارة في زخرفة الحجارة وصقلها، إذ كانوا يستعملون إزميلاً ذا طرف واحد، ويبدأون النحت على مقياس الدرجة ٤٥٪ من الزاوية، فوق وجه الحجر أو العمود على وجه الصخر أو على أي شيء يريدون قطعه وتغيير شكله، وكان في الغالب يبدأ من أعلى الصخرة إلى أسفلها، وفي بعض الأحيان كان يتم النقر في صميم الصخر، كما في الخزنة الفرعونية، ولا يملك الإنسان عند التأمل إلا أن يعجب بنظافة النحت وروعته، ومعظم صروحهم المنحوتة مثال رائع على الفن النبطي المتقدم في نحت الصخور مع طريقة بسيطة خالية من التزيين الكثير.

الطريق إلى البتراء

كانت الطريق إلى البتراء قديماً متعبة وعبر دروب ومسالك وعرة غير ممهدة، وكانت الرحلة نوعاً من المغامرة، وكان لا يمكن القيام بها إلا على ظهور الجمال، أو بسيارة تصلح للأسفار البعيدة الوعرة، وكان بعض الزوار والسياح يسافرون بالطائرات من **بيروت** أو **عمان** إلى **معان**، ثم يعودون في اليوم التالي.

كان ذلك سابقاً، أما الآن فقد أصبح الوصول إلى البتراء عبر طريق ممهدة جيداً من **عمان** إلى **معان**، في مدة أقصاها ثلاث ساعات فقط، بل إن السيارة الحديثة أصبح بمكنها الوصول عبر الطريق الممهدة حتى مدخل السيف نفسه، ويمكن للزائر أن يركب فرساً من هناك، ويطوف مختلف أرجاء البتراء ويستمتع بالفرجة على صروحها الأثرية الشاهقة.

وقامت **دائرة السياحة الأردنية** ببناء استراحة سياحية حديثة قبل مدخل السيف، يقيم فيها موظفون مختصون وأدلاء من دائرتي السياحة والآثار لتسهيل الزيارة، واتخاذ الترتيبات المناسبة لراحة الزوار وتسهيل زيارتهم للبتراء.

وهناك تخطيط لمشاريع سياحية جديدة وطريفة من دائرة السياحة، لتنشيط مجيء الزوار إلى هذه المدينة التاريخية، منها إنشاء عربات على النمط الروماني أو النبطي، تجرها الخيول للطواف بالزائرين في المواقع والمعالم الأثرية بها.

ويوجد في البتراء حالياً فندق سياحي من الدرجة الممتازة، وهو حديث، وبه كل لوازم الراحة، ويقع على مقربة من الهيكل الأثري، وقد تحولت بعض الحجرات المنحوتة في صخور الشقيف إلى غرف للنوم، ويمكن للمقيم بهذا الفندق أن يشاهد جميع الآثار والأبنية من نوافذ هذا الفندق دون عناء يذكر.

وكل ذلك من أجل راحة ومتعة زوار هذه المدينة التاريخية والأثرية الفريدة من نوعها في المنطقة.

المراجع

(١) آثار الأردن للسيد لانكستر هاردينغ، إصدار وزارة السياحة والآثار.

(٢) الأردن: حضارة وتاريخ لمؤلفه ألويس مخلوف.

(٣) البتراء، إيان براونغ (باللغة الإنكليزية).

(٤) الأردن سلسلة الآلة الزرقاء، الناشر هاشيت باريس.

(٥) إلى جانب نشرات من إصدار وزارة السياحة الأردنية.

لوحة وفنان

اللوحة : سوق بدوي

● تصور الفنانة موضوعاً عينياً خارجياً ، وهو مشهد من مشاهد الأسواق البدوية التي تتسم بها المملكة العربية السعودية ، والتي تسترعي انتباه كل زائر ، وكل متلقي متأمل يشعر بالجمال .. وهي تصور عناصر الموضوع من خلال التنظيم العضوي الموجود فيها .. أنها أنها تبحث وتكتشف وتكشف عن هذا التنظيم العضوي الطبيعي الموجود في العلاقات التشكيلية ، وما تتضمنه من كتل ومساحات وخطوط وألوان وملامس سطوح مختلفة .

● نفذت الفنانة الكندية آن شارلين إلى العلاقات الجمالية لهذا المشهد عن طريق الإدراك الحسي والحدس الجمالي تجاه هذا الموضوع الذي يزخر بالقيم التعبيرية والثراء اللوني ، وقد كسرت الحاجز الذي يقيمه المكان بين المتلقي ورؤية تلك العلاقات الجمالية ، بتحديد مشهد محدد في بعدين (سطح اللوحة) ، اهتمت فيه بتصوير أحد البائعات البدويات مرتدية الزي التقليدي الذي تتسم به ملابس البدويات وأمامها المواد التي تبيعها وخلفها أيضا تلك المواد المتمثلة في الحلي والملابس ذات الزخارف والنقوش الشعبية .. وهي هنا تسجل البيئة بخصائصها ..

● التكوين في اللوحة بنائي يقوم على الصياغة المتسقة للعناصر ، والتعبير الإرادي المنتظم المتسم بالدقة ، والذي تلخص فيه الفنانة السوق البدوي في مشهد واحد يعطي انطباعاً متكاملاً عنه ، حيث أبرزت أهم خصائصه الموضوعية والجمالية التي تميزها العين في لحظة واحدة ، وهي كثرة العناصر والألوان الزاهية ، وما تتسم به من صراحة ونقاء وتباين شديد ..

● أحالت الفنانة اللوحة إلى مساحات وعلاقات لونية قامت بتوزيعها بشكل يحقق الاتزان اللوني إضافة إلى اتزان الكتل .. كما حققت بشكل تلقائي الاتزان بين العلاقات الخطية المستقيمة والمنحنية واتجاهاتها الرأسية والأفقية .. وتندرج هذه اللوحة تحت المدرسة الواقعية التعبيرية حيث التزمت بتصوير الواقع بحرفياته وجزئياته وتفاصيله بأسلوب تعبيري أعادت فيه صياغة العناصر وفق أحاسيسها ووفق القيم الجمالية التعبيرية .

الفنانــة / آن شارلين مكليرون

● ولدت في شارلوتون في جزيرة الأمير ادوارد بكندا عام ١٩٤٣م .

● حصلت على عدة دراسات مسائية في الفن منذ عام ١٩٦٥م ، ثم تابعت هذه الدراسات الفنية في كلية « الجونكوين » بجامعة كارلتون ، وفي كلية أوتاوا للفنون الجميلة بكندا ، وكذلك في أكاديمية باريس الأمريكية .

● حصلت على دورات فنية صيفية في فلورنسا بإيطاليا ، وباريس بفرنسا في فنون الرسم والتصوير الزيتي والألوان المائية والنحت والحفر إضافة إلى تاريخ الفن .

● عملت مرشدة في صالة العرض الوطنية في كندا في الأعوام ٨١ – ٨٢ – ١٩٨٣م

● اختارتها إدارة التعليم بكندا في عام ١٩٨١م لوضع برنامج خاص لمادة تذوق الفنون الجميلة للأطفال يشتمل على محاضرات ورؤية أفلام وزيارات للمعارض والمتاحف ، وكانت ترافق الأطفال في زيارات المتاحف والمعارض لشرح الأعمال الفنية وتاريخ الفن .

● قدمت ندوات للمدرسين وأولياء الأمور في عام ١٩٨٠م عن مغزى الاهتمام بفنون الأطفال ، وأشرفت كذلك على برنامج فني نسائي في القسم الأمريكي بالمدرسة السعودية العالمية بالرياض في الفترة من ٨٣ – ١٩٨٦م .

● اختار صندوق رعاية الطفولة التابع لهيئة الأمم المتحدة أربع لوحات من أعمالها الفنية عن التراث السعودي لوضع بعضها في بطاقات وتقاويم اليونسيف .. كما أعدت رسومات كتاب عن علاج العطش بالري لنفس الهيئة في عام ١٩٨٥م .

● أعدت رسومات العديد من الكتب منها كتاب عن قصص عربية من تأليف الكاتب هيثر كويلروس .. ولها مؤلفات شعرية نشرت بإنجلترا وبالمملكة العربية السعودية .

● شاركت في العديد من المعارض الجماعية بكندا ، وكذلك في الرياض بالمملكة العربية السعودية ، في المسابقات التشكيلية لدار الفنون السعودية – معارض جماعية بجمعية النهضة النسائية – المعارض الجماعية للفنانين الأجانب بالسعودية – معارض الفن النسائي – المعرض الجماعي بالجبيل ، في الفترة من ٨٣ – ١٩٨٦م

● أقامت العديد من المعارض الفنية الفردية (الشخصية) في كل من كندا والمملكة العربية السعودية .. في الرياض بصالة العرض العالمية – مركز خدمات الجالية الأمريكية في الأعوام ٨٤ – ٨٥ – ١٩٨٦م .

● لها مقتنيات فنية في أكثر من عشرين دولة منها : كندا – الولايات المتحدة الأمريكية – إنجلترا – فرنسا – اليونان – إيرلندا – إيطاليا – السويد – مصر – السودان – باكستان – الفليبين – كوريا – استراليا – ألمانيا الغربية – سويسرا .

● عضوة في كل من : مراكز بيل للفنون – زمالة المتحف الوطني – إتحاد الفنون بأوتاوا (كندا) .

* * *



★ الكرة الزجاجية في متحف العلوم . لافييت

لافييت في باريس مدينة العلوم والصناعة



بقلم : هدى الزين

وأنت تنظر إلى مدينة العلوم والاختراعات والصناعة ، تخال نفسك أمام محطة فضائية في مدارها حول الأرض . أو أنك تشاهد فيلماً خيالياً من أفلام حرب النجوم . فتصميم المدينة وهندستها ، خاصة قبتها العجيبة ، الفريدة من نوعها في فرنسا ، والمغطاة بطبقة من الفولاذ الناعم ، الذي يعطيها منظراً مدهشاً ، يجذب إليها الزوّار ، وتدعوهم للغوص في عالمها . هذا العالم الذي يجسّد روح الاختراعات الحديثة .

وكما شكّل «برج إيفل» ـ الذي تم بناؤه في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، لتخليد الذكرى المئوية الأولى للثورة الفرنسية ـ مركزاً سياحياً يؤمه زوّار العاصمة الفرنسية ، فإن مدينة (لافييت) تعد أهم المعالم الأساسية التي تستقبل بها باريس القرن الواحد والعشرين ، وتطلع الزوّار على آخر ما ابتكره الفكر البشري في مجالات

★ حديقة لافييت للأطفال ★

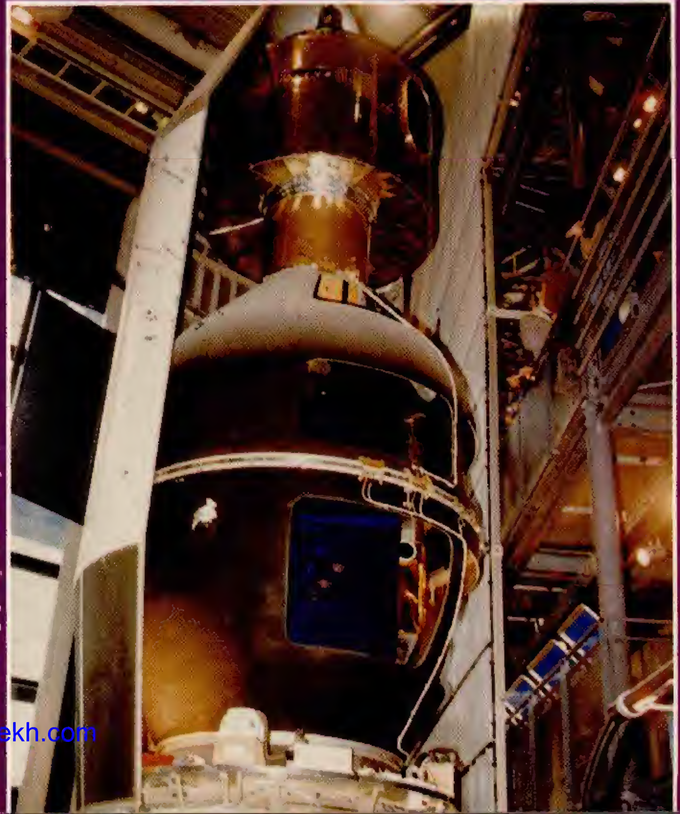
الاختراعات العلمية ، خاصة علوم الإلكترونات .

كوكب العلوم

هو كوكب زجاجي علمي ، أنشئ في منطقة لافييت ، في الضاحية الشمالية للعاصمة الفرنسية باريس ، يحتوي على كل أنواع العلوم الحديثة التي تقرأ عنها في الكتب ، أو تشاهدها عبر الشاشة الصغيرة ، فتستطيع أن تراها أو تلمسها وتجربها في مدينة العلوم والاختراعات والصناعة ، التي تقع في حديقة لافييت .

وهذه المدينة تتمدد على مساحة ٣٠ هكتاراً ، فيما تبلغ مساحة مبناها الرئيسي (٤ هكتارات) ، وقد أعدت لاستقبال ملايين الزوّار ، لذلك زود مدخلها الرئيسي بالكثير من مراكز المعلومات ، وبشكل خاص بشاشة عملاقة ، تبلغ مساحتها ١٨ متراً ، يزودها عقل إلكتروني بالمعلومات عن النشاطات التي تجري في كل أقسام المدينة ، وذلك لمساعدة الزائر على برمجة زيارته لمختلف الأجنحة والنشاطات التي تهمه .

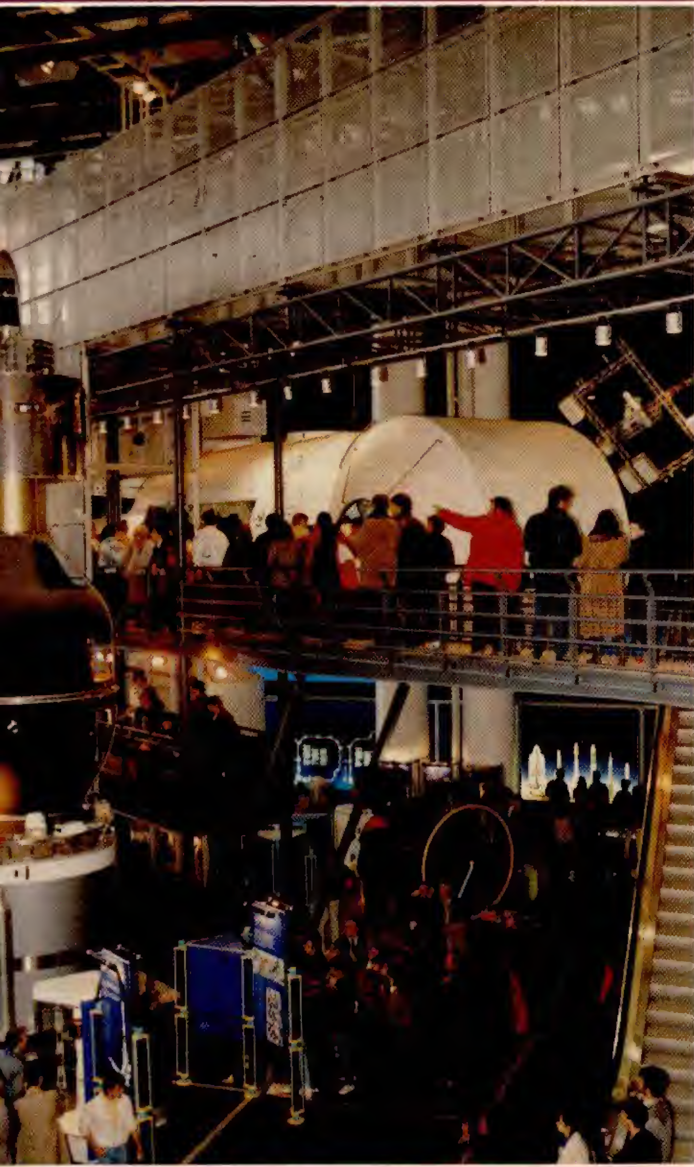
زوّار المدينة يسرّون بحرارة الترحاب التي يلاقونها من موظفي الاستقبال والاستعلامات ، الذين



★ مجسم المركبة الفضائية في معرض لافييت ★



★ شاشة السينما الدائرية المجسمة في الكوكب الدائري بمعرض لافييت ★



★ الزوار في قسم معرض الكون ، جناح الفضاء ★



★ دورة الكرة الأرضية ★

يجيدون عدة لغات (**١٦ لغة ، من ضمنها اللغة العربية**) ، ويقدمون الشروحات عن مختلف الاختراعات العلمية التي تتضمنها المدينة ، ويساعدون الصغار على استعمال الألعاب الإلكترونية التي تطوّر تفكيرهم ، وتوطد العلاقة بينهم وبين علم المستقبل (الإلكترونيك) .

وموقع المبنى يساعد كثيراً على قضاء استراحة قصيرة ، حيث يجد الأطفال والشيوخ والعجزة قاعات خاصة بهم ، تؤمن لهم أفضل الظروف والخدمات لراحتهم . كما أن المبنى صمم بشكل يسمح للزوّار بالاطلاع على أجنحة المدينة دون إضاعة الوقت .

بداية الزيارة

كُبر المدينة وتنوّع أجنحتها وغناها تجعل المرء في حيرة من أمره .. من أين يبدأ زيارته ؟ من قسم الموسيقى ، أم جناح البيئة ، أو الطبيعة ، أم جناح « العوالم السمعية » ، أم من « الأرض » إلى « الكون » ؟

وكم هي مريحة ، مساعدة موظف الاستقبال ، عندما يسدي إلينا النصيحة بزيارة هذا الجناح ، أو ذاك ، فيخرجنا بذلك من حيرتنا ، ويقودنا إلى عالم المدينة الساحر ، الذي سنحاول التعرف عليه معاً .

النصيحة وحدها لا تكفي .. فموظف الاستقبال بنصيحته يزيد من حيرتنا ، لأنه يقدم لنا لوحة عن محتويات الأجنحة التي قد تحظى بالاهتمام . فإذا كان الزائر شاباً يحلم بغزو الفضاء الرحب ، والتعرف على أسراره ومكنوناته ، فإنه سيتوجه بلا شك إلى (**جناح الفضاء**) ، أو (**البيئة المجهولة**) ، حيث يجد فيه بعض العناصر المثيرة التي تظهر مختلف النشاطات الفضائية . كما أنه يستطيع مشاهدة الجزء الأعلى من صاروخ الفضاء الأوروبي (**آريان**) الذي يطلق الأقمار الصناعية .



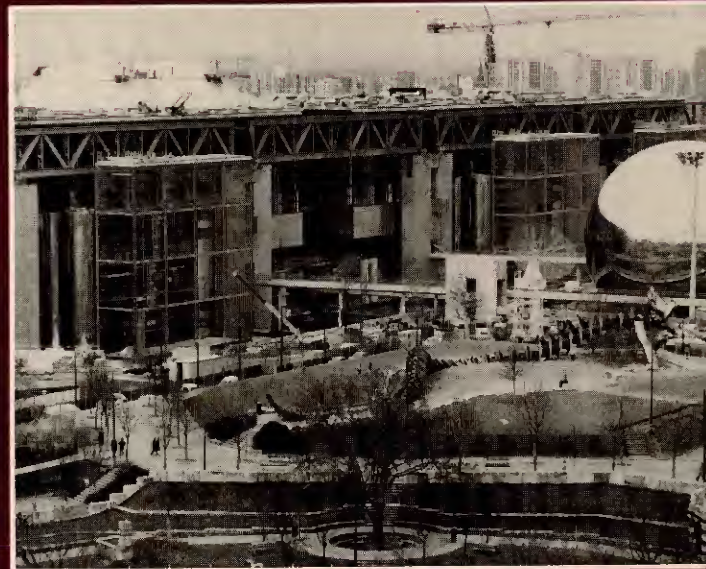
★ قسم النباتات في معرض لافييت ★



★ الشاشات الالكترونية تشرح للزائر ★



★ مجسّم للصواريخ الفضائية في معرض الفضاء بمدينة العلوم ★



★ مدينة العلوم والاختراعات الحديثة في منطقة لافييت ★

ويضم هذا الجناح مجسماً صغيراً لمحطة فضائية مستقبلية، يستطيع المرء رؤية مجموعة مختلفة من مشاهد الحياة في الفضاء. كذلك يوجد فيه حجرة معدومة الجاذبية، وهو قسم شبه مفتوح للجمهور، يحتوي على العديد من الشاشات التي تعرض أوضاعاً مختلفة لروّاد الفضاء في ظل انعدام الجاذبية. والطريف في الموضوع أن الجمهور عندما يشاهد هذه الحالة يعيش هو نفسه حالة فقدان التوازن.

وهناك أيضاً العديد من الألعاب للصغار، التي تفسح لهم المجال لاختيار مهامهم وأعمالهم في الفضاء، كالقفز في الفراغ الفضائي، أو القيام بنزهة فضائية.

كما يضم جناح (**المختبر الكوني**) مكاناً مخصصاً للفضاء الخارجي، نجد فيه طرق مراقبة، ودراسة الفضاء. وفي قاعة **الأقمار الصناعية**، يمكن للمشاهد التعرف على النجوم، وتحديدها في سماء باريس.

ولكي لا يعود زوّار هذا الجناح إلى الأرض دفعة واحدة، فإنه بمقدورهم زيارة جناح ملاصق له يدعى (**من الأرض إلى الكون**)، حيث يرى الزائر الإنسان يراقب الأرض، جذورها، وارتقاءها، يجوب المحيطات، والفضاء، لكي يجيب على الأسئلة الكبيرة، ويبني معدات فكرية، أو مادية، من الرياضيات إلى المركبات، والمحطات الفضائية، والأقمار الصناعية.

وفي جناح (**المركبة الأرضية**)، يجري عرض الكوكب الأرضي بمختلف أبعاده: الإنسان، الكتلة البيولوجية (الطبقة المحيطة به). كما أنه يمكن المرء من رؤية باطن الأرض، وذلك بواسطة العديد من شاشات الفيديو، والبث المرئي، المركزة عدساتها في طبقات الأرض الصخرية.

ويلاصق هذا الجناح قاعة أخرى، اسمها (آلة الأرض)، وهي مخصصة لدراسة تاريخ

جيولوجية الأرض، ككوكب وكعنصر من عناصر الكون. وبإمكان الزوّار مراقبة تطور بنية الأرض منذ (٣٠٠) مليون سنة، ومشاهدة حركة القارات وتكونها.

مغامرة الحياة

وفي جناح (**مغامرة الحياة**) يستعرض المشاهد المغامرات الحياتية للإنسان، وعلاقاته مع محيطه. كما يحصل على فكرة واضحة عن أبرز القوانين التي تحكم التنظيم المعقد للمادة الحية، ويطلع على الوسائل الأساسية لمراقبة ودراسة المناخ.. ويرى أيضاً كيفية عمل أنظمة حماية البيئة. وبإمكانه المشاركة بإجراء تجارب مختبرية عن التكاثر النباتي والنباتات. وهناك معلومات عن الغابات وعناصرها الأساسية وتاريخها.

وكما يتعرف الزائر على الفضاء والأرض، فإن هذه المدينة تتيح له فرصة اكتشاف المحيطات، وتحديد قوانينها، وتقديم التقنيات الملائمة لها. كما يجد في جناح المحيط «**البيئة المجهولة**» العديد من العناصر التي تساعد على فهم ذلك. كالمجسم الطبيعي لأحدث غواصة أعماق فرنسية، قادرة على الغوص حتى (٦) آلاف متر، ويجيب الغواص الآلي على أسئلة الجمهور حول عمله، وحياته.. وهذا الغواص الآلي يعمل على حاسبة آلية مستقلة، تساعد على انتقاء مختلف أوضاع التنفس، ومراقبة استجابة الجسم البشري معها.

ويضم هذا الجناح قسماً توجد فيه مجموعة من الألعاب والنشاطات المستقلة التي يشارك فيها الكبار والصغار.. هذا القسم يسمى (**قاعة الاختراعات للأطفال**)، حيث يمنع الأهل من الدخول إليه، غير أن بمقدورهم أن يبقوا على صلة معهم عبر الزجاج الشفاف الذي يفصلهم عن أبنائهم.. وتبلغ مساحة هذا الجناح (١٨٥٠ م٢)، ويقسم إلى قسمين: الأول مخصص للأطفال، الذين تتراوح أعمارهم بين (٣ـ٦) سنوات، والثاني للأولاد ما بين (٧ـ١١) سنة.

في هذا الجزء من المدينة يتعرف الصغار على الآلة، والاحتكاك معها. يتعرفون على تشييد المنازل، واستعمال الآلات الإلكترونية. وكيفية الاستفادة من الطاقة المائية. كما يطلعون على الاكتشافات الصناعية والتكنولوجية، ويتعلمون أشياء مفيدة عن النار والهواء، وعن الإلكترونيك والمعلوماتية.

من الأرض إلى الكون

إن شكل المتحف المعماري يدل دلالة واضحة على هذا العنوان. فالكرة الضخمة التي تتكئ على بحيرة اصطناعية تمثل الأرض، وبقية المجمع عبارة عن الكون.. من خلاله نتعرف على عالم الماء، والنبات، والضوء،

وفي داخله نشاهد حركة القارات الخمس تنعكس على شاشات ضخمة، حيث يستطيع الجمهور أن يتعرف ـ من خلال جميع وسائل التقنية الموضوعة تحت تصرفه (أفلام، وصور، ومجسّمات، وأدوات، ونماذج) ـ على عالم الكون، من خلال حركة الكواكب والنجوم، أو أن يرى الشمس التي تسطع في باريس في أية لحظة من السنة بواسطة شاشات الكمبيوتر.

وفي جناح مغامرة الحياة تتعرف على نشوء الحياة، وتطورها، من خلال الزراعة، **والغابات**، وعلم الأحياء (البايالوجيا)، حيث تسمع قصة الحياة، يرويها تمثال يتحرك، أو إنسان آلي يعطي الجواب على أي سؤال تطرحه.. وهناك ميكروسكوبات تطلعك على أصغر الحشرات وأدقها، أو على نمو **الأسماك**، منذ لحظة خروجها من البيوض الصغيرة الحجم. كذلك يمكنك التعرف على مشاهدة تكوين عمليات أطفال الأنابيب، وقوانين الوراثة، وغيرها من النظريات العلمية.

وفي قسم **الطيور**، يمكنك أن تسمع بأذنك عبر أدوات سمعية خاصة تغريد الطيور، من خلال النظر إلى أشكالها، التي تعطي فكرة عن كل طير.. بالإضافة إلى سماع صوت كل واحد منها عبر أداة سمعية مسجلة.

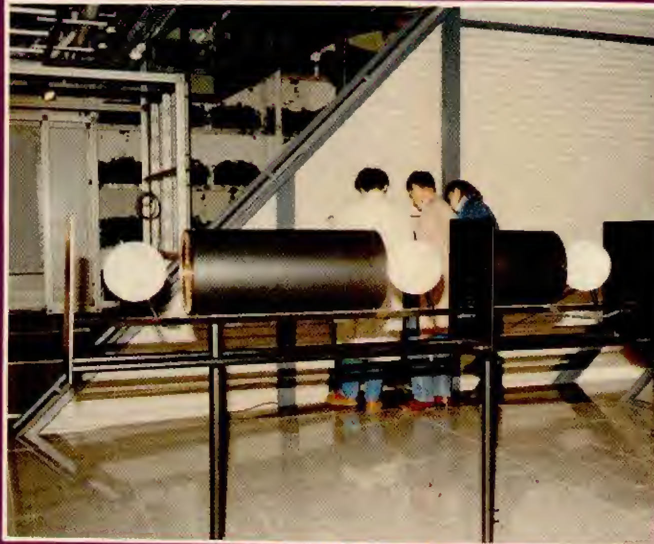
الإعلام والمعلوماتية

في هذا الجناح نجد المكتبة العلمية، التي تضم كل ما يتعلق بالمدينة. كما أنها تجمع كل المعلومات العلمية والتقنية والصناعية، التي وجدت إلى يومنا هذا.. وهي مفتوحة أمام الجمهور العريض من الأطفال والعلماء والباحثين. كما أن المكتبة تعير الكتب خارج المكتبة لمن يريد من الزوار.

قاعة الكوكب

وهي معدة لاستقبال (٣٠٠٠) شخص في اليوم، وبمساعدة التجهيزات الحديثة يستطيع المشاهد أن يفهم أسرار

★ قسم الدراسات والاختبارات ★



الفضاء والكواكب ، وكل الصور التي يراها الزائر في هذه القاعة حقيقية ، وقد التقطت في الفضاء خلال مهام علمية .

ويوجد في هذه القاعة أيضاً جهاز لمراقبة النجوم موصول بشبكة من الشاشات التي تعرض صوراً للظواهر الفضائية .

أما معرض **الخيال العلمي** ، فهو يعرض للزائر مجموعة من الصور العلمية الرائعة ، التي جمعت من أهم مراكز دراسة الفضاء في العالم .

وبمقدور الجمهور اكتشاف صور البحث العلمي الحديثة جداً في مجال الطب ، والفضاء ، والمعلوماتية . وبالإضافة إلى أهميتها العلمية ، فإن الصور تشكل بحد ذاتها لوحات فنية رائعة الجمال ، وتترك للمشاهد حرية التأمل والتخيل في هذا العالم الواسع الغامض بأسراره .

مركز التأهيل

هذه المؤسسة تستقبل معلمين متمرنين ومدربين ، ومنشطين ، مرتكزة على مجموع تجهيزات المدينة ، القاعات ، الآلات ، الوثائق ، والأشخاص . وتختص بالإعلام العلمي ، والتقني ، والصناعي . أما مهامها فهي التعريف بالمؤهلات ، والاختراعات العلمية الجديدة ، وكيفية التدريب على هذه المجالات ، وإنتاج الوسائل التربوية ، وتقديم المعلومات حول مختلف المهن ، وتكوين الخبرات ، وأبعاد العلاقة بين الوسائل التربوية ، والمدربين الاجتماعيين ، والمعلمين ، والشباب .

صيانة التراث العلمي

تشكل الموضوعات العلمية ، والتقنية ، والصناعية ، الاتجاهات الأساسية للثقافة ، وقد وضعت مدينة العلوم والصناعة سياسة منظمة جادة ، لتناول واستعادة الموضوعات حسب اتجاهين رئيسيين :

★ **الأول :** توفير المعدات اللازمة للمعارض ، حيث يحدد كل فرع اقتراحات بحاجاته ، أو يتلقى اقتراحات من الخارج . وهذا النوع من التبادل يسمح بتبادل علاقات ممتازة مع التعليم ، والأوساط العلمية ، والمتاحف ، والمصانع .

★ **الثاني :** صيانة التراث العلمي ، والتقني ، والصناعي ، بالتعاون مع المراكز الإقليمية . . وهذه الأبحاث تأخذ بعين الاعتبار الظروف التاريخية ، والمحيط الاجتماعي ، والاقتصادي ، والاختراعات العلمية . وبالنسبة للخارج هناك جهد استثنائي يبذل من أجل إقناع البلدان الأجنبية بعرض مستحدثاتها الصناعية والعلمية في المدينة . ويدرس القائمون عليها إمكانية القيام بدور المزوّد بالمعلومات بمعاهد ومراكز الأبحاث الكبيرة .

اللغة ووسائل الاتصال

في هذا القسم يمكن للمشاهد أن يتعرف على أصواته ، وطاقاته السمعية والبصرية والإيمائية . . ومن خلال الأجهزة المختصة ، يمكن ابتداع الألوان ، والصور ، والأصوات ، ومزجها بالصور المرئية على شاشات كبيرة . . ومن هذه الأجهزة يمكن أن نتعرف على المواد الأولية للحياة : الصوت ، الضوء ، الحركة ، الجو ، والطبيعة .

ومدينة العلوم هذه تحتوي على صالة ضخمة لإقامة المعارض ، تتسع لمائة ألف زائر سنوياً ، بالإضافة إلى صالة موسيقية للموسيقى الحديثة والكلاسيكية ، تحتوي على (١٢٠٠) مقعد ، وشاشة سينمائية بسعة عشرة آلاف قدم ، تقوم بتجسيد الصورة ، بحيث يخيل إلى المشاهد ، أنه يرى أجساماً حقيقية ، تتجه نحوه ، وتختفي وراءه ، أو تصير كأنها جزء منه .

لقد أصبح مجمع لافييت العلمي مقصداً لآلاف الزوار ، بما يحتوي على أهم المنجزات العلمية والصناعية منذ القدم ، حتى هذا العصر . . وهو يعد متحفاً فريداً للقرن القادم . . إذ تبلغ مساحته (١٦٥) ألف متر مربع ، يمتد على مساحة تقدر بـ (٥٥) هكتاراً . وبلغت تكاليفه (٤,٤٥) مليارات فرنك من الكلفة الإجمالية ، البالغة (٥,٧٧٥) مليارات فرنك ، المخصصة لتجديد منطقة لافييت الشعبية ، وجعلها منطقة تليق بهذا المتحف العلمي الهام ، الذي يعد كتاباً مفتوحاً للغة العلم ، والحياة ، والثقافة المعاصرة .

★ قسم الحضارة المصرية في لافييت ★



الشرق ** في عيون الغرب



• • العودة من مكة Return From Mecca • •

• كارل ولهلم جنتز • المدرسة الألمانية • رسم بالزيت • عام ١٨٧٦م •

من ديوان الشعر السعودي

عرفات

شعر: ضياء الدين رجب

الأغَاريدُ في السماءِ نِداءُ والرِّحابُ الخضْراءُ والأضْواءُ
والحُشُودُ التي أطَلَّت مَع الفجرِ على المَوقِف العظِيم دُعَاءُ
والحَيَارَى والراقِصون على السُّحب أظَلَّت أفياءَهُم. أفياءُ
والثَّراءُ العريضُ والجاهُ والمُلْكُ خُطَاهُ على الثَّرى. مَشَّاءُ
والمغاني الفَيْحاءُ ناعمةُ الظِّلِ وآسادُ غابها. والظِّباءُ
والمقَاصِيرُ والخِيامُ قُطْعَان حِمَاها مع الرُّعاةِ سَواءُ
يَا لَعَيْني يا قُرَّة العيْن مِنْ مَشْهدٍ يومٍ له الحياةُ فِداءُ
قَدَرٌ نَسَقَتْ يدُ الله مَغْزاه فلِلأرض والسَّماءِ لِقاءُ
والأنِينُ الشجيُّ والنَّغَم الحُلْو ورَجْع السماءِ والأصْداءُ
كُلُّها. كُلُّها إلى عرفات الله هَمْسٌ مُعَبِّرٌ وَدُعَاءُ
فاذكُري الله يا بُنَيَّة أَنَّىٰ كُنتِ فالذكرُ مُتْعة وغِذَاءُ
وصِليه.. يصِلْكِ فالغَفْلَةُ عن ذكْرِ مَنْ نُحِبُّ جفَاءُ

●●● عن ديوان «ضياء الدين رجب».

قال عبد الله بن مصعب الزبيري :

أرائـح أنـت أبـا جعفـر ... من قبل أن تسمع من بَصْبَصَا
هيهات أن تسمع منها إذا ... جاوزت العيسُ بك الأعْوَصَا
فخذ عليها مجلسَيْ لذة ... ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله يميناً ومن ... يحلف بالله فقد أخلصا
لَوَ انها تدعو إلى بيعة ... بايعتُها ، ثم شققتُ العصا

هذا النص في الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني . قرأته في أخبار بَصْبَص جارية ابن نفيس ، بينما كنت أتتبع أخبار هذا الشاعر الزبيري .

الشاعر من مواليد سنة ١١١ هـ = ٧٢٩ م ، وتوفي سنة ١٨٤ هـ = ٨٠٠ م .. وهو من ذرية عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما . وكان بعضهم ينبذه بعائد الكلب لقوله :

ما لي مرضت فلم يعدني عائد ... منكم ويمرض كلبكم فأعود !

ولا أريد أن أقف عند الشاعر طويلاً .. فلذلك حديث آخر ليس هذا محله .

كما لا أريد أن أقف عند النص أقلبه كثيراً .. فهو من السهولة بحيث يعبر عن نفسه .. بالرغم من هذه القافية الصاديَّة ، التي قد تبدو عسيرة أول الأمر ، ولكن الشاعر أتى بها يسيرة سائغة .. لقد طوّعها ..

ولكن .. لعلّي أقف متريثاً .. عند هذه الأعلام ، فمن هو أبوجعفر؟ ومن هي بَصْبَصْ هذه التي فتن غناؤها الشاعر ، وحملته على هذا اليمين العجيب الذي يبدو أنه أتت به القافية .. وأين هذا (الأعوص) ؟ .. للحديث في ذلك شجون ..

قد يبدو لأول وهلة .. أن أبا جعفر هنا : هو الخليفة المنصور .. فقد كان الشاعر من عصره وعهده ، بل أنا لا أحتاج إلى هذا التخمين .. ما دامت هناك رواية في الأغاني تقول ذلك ، جاءت في أخبار تلك الجارية .. ولكن هل كان الأمر كذلك حقاً ؟

فلنتأمل أولا الرواية التي تقول ذلك :

« قال حماد : وحدثني أبي عن الزبير ، أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا الشعر أبا جعفر المنصور ، لما حج ، فاجتاز المدينة ، منصرفاً من الحج ، لا أبا جعفر بن يحيى بن زيد .. » .

وتترتب على هذه الرواية رواية أخرى :

« أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة ، حدثنا عمر بن شبه ، قال حدثني محمد بن سلاّم ، قال : حدثني موسى بن مهران ، قال : كانت بالمدينة قينة لآل نفيس بن محمد يقال لها بصبص وكان مولاها صاحب قصر نفيس الذي يقول فيه الشاعر :

شاقتني الزائرات قصر نفيس ... مثقلات الاعجاز قب البطون

« وقد كان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، يأتيها فيسمع منها ، وكان يأتيها فتيان قريش فيستمعون منها ، فقال عبد الله بن مصعب ، حين قدم المنصور منصرفاً من الحج ، ومرّ بالمدينة يذكر بصبص :

أراحل أنت أبا جعفر ... من قبل أن تسمع من بصبصا

وذكر الأبيات ، فبلغت أبا جعفر فغضب ودعا به فقال : « أما إنكم يا آل الزبير قديماً ما قادتكم النساء ، وشققتم معهن العصا ، حتى صرت أنت آخر الحمق ، تبايع المغنيات ، فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم .. » .

وهنا يرد سؤال :

هل من المعقول أن يوجه الشاعر هذه الأبيات إلى الخليفة ليدعوه إلى الحضور إلى مجلس الحسناء المغنية ، والاستماع إليها في مجلس أنس قبل أن تجاوز به العيس الأعوص؟ وهل من المعقول أن يحلف الشاعر هذا اليمين العجيب مخاطباً بذلك الخليفة بالذات؟

أما أنا فأقول ، إن ذلك ليس معقولا .. خاصة وأن الخليفة أبا جعفر كان معروفاً بالجد والبعد عن اللهو ، ولم تكن بينه وبين الشعر علاقة تسوّغ في إسقاط الكلفة والاحترام ، بل لقد كان الشاعر مطلوباً من السلطة العباسية لاشتراكه في ثورة النفس الزكية .. وكان مختفياً لولا أن شمله عفو أبي جعفر ..

إذن ، فقد كان المعقول أن يعمل على استرضائه لا على إثارة غضبه .

ثم لا ينبغي أن ننسى ، أن الرواية فيها إسماعيل بن يونس الشيعي .. وجاء في النص ما يدل على



الحط من آل الزبير والتعريض بموقف الزبير بن العوام رضي الله عنه مـن عـائشة أم المؤمنـين رضي الله عنها ، ونجد في سير الزبيريين ما يشير إلى تعمد بعض رواة الشيعة ، النيل منهم ، وتشويه أخبارهم ، وإذا كانت هذه الرواية تنتفي عقلاً .. وسنداً .. فإن هناك رواية أخرى ، قـدمها الأصفهاني عليها ، وهـي بالتقديم أليق ، وبالمعقول ألصق ، قال الأصفهاني :

« أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحق عن أبيه ، عن غرير بن طلحة قـال : اتّعد محمد بـن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين وعبد الله بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بـن مصعب الزبيري ، وأبوبكر بن محمد بن عثمان الربعي ، ويحيى بن عقبة أن يأتوا بصبص جارية بن نفيس ، فعجل محمد بن يحيى ـ وكان من أصحاب عيسى بن موسى ـ ليخرج إلى الكوفة فقال عبد الله بن مصعب .. » ثم أورد الأبيات .

هنا نجد الرواية مفصلة ، تشير إلى قصة موعد مضروب من هؤلاء الفتيـان ، وفيهـم مـن عليـة القرشيين ، ومنهم محمد بن يحيى الحسيني أبوجعفر ، صديق الأمير عيسى بـن مـوسى ، الـذي كان ولي عهد المنصور ، فأجل المنصور ولايته ليكون ولي عهد المهدي ، ثم صرفه المهدي عن ولاية العهد ، وهو الذي قاد حملة إخماد ثورة النفس الزكية .. تقول القصة إن أبا جعفر محمد بن يحيى ، أخلف وعده مع ثلته لخروجه إلى الكوفة .. ونعرف أن عيسى بن موسى ، وُلّيَ إمارتها ، فلعله استعجل صـديقه ليخرج معه إليها .. وكأن عبد الله بن مصعب ، صعب عليه أن يخرج هذا الصديق ، قبل أن يشترك مع أصدقائه في مجلسهم الموعود ، يستمعون إلى بصبص .. وهنا يكون الخطاب الشـعري وارداً وفي محلـه ، فـا هـو إلا صديق يعاتب صديقه ، ولا كلفة بينهما .. وبذلك يكون أبوجعفر المقصـود في الأبيـات هـو هـذا الصديق ، وليس الخليفة كما تقول الرواية الأخرى .

أما بصبص .. الجارية الحسناء المغنية ، فقد أفرد لها الأصفهاني ، كما أسلفت ، بـاباً مـن مـوسوعته (الأغاني) فأورد طرفاً من أخبارها .. وقال إنها جـارية ابـن نفيس .. صـاحب قصر وقيـان ، يغشى مجالسه عشاق الغناء .. وكان مقره في المدينة .. وكما تـدل أخبارها ، كانـت تعيش في القـرن الثاني للهجرة ، ولم ترد لها ترجمة في (الأعلام) للزركلي .. أما الأستاذ عمر رضـا كحـالة ، صـاحب أعـلام النساء ، فلم يزد أن أورد حكايات الأغاني عنها ، أما مؤلفا كتاب (شخصيات الأغاني) فأشارا ـ أيضاً ـ إلى ما ورد في نصوص (الأغاني) ولكنهما ضبطا الاسم بفتح البـاء في الموضـعين : بَصبَص . ولم يـذكرا مصدر اعتمادهما هذا الضبط .. فإن (اللسان) و (التاج) لم يذكراها ..

أما (الأعوص) الذي ذكره الشاعر ، فهو موضع قريب من المدينة المنورة .

بقي من الحديث رجعة إلى غضبة أبي جعفر المنصور أو عتبه على الشـاعر ، فـإن هـذه الغضـبة أو العتبة ، ترد في رواية أخرى ، لقصة أخرى ، وتبدو في محلها .. ذلك أن عبد الله بن مصعب قال أبياتاً ، علق عليها المنصور تعليقاً يليق بجديته .. أما الأبيات فهي :

إذا تمـــززتُ صُراحيـــةً	كمثـل ريـح المسـك أو أطيـبُ
ثم تغنّـى لي بـــأهزاجه	زيـدُ أخـو الأنصـار أو أشـعبُ
حسـبت أني ملكٌ جـالس	حفّت بـه الأمـلاكُ والموكبُ
فـلا أبـالي وإلـه الـورى	أشرّق العـالم أم غـرّبوا

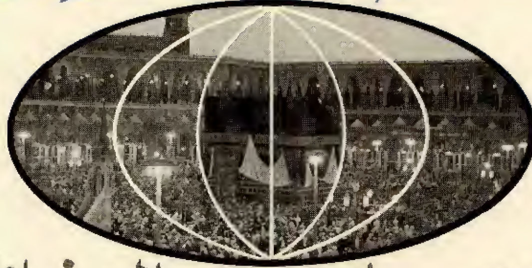
قال أبوجعفر : العالم لا يبالون كيف أصبحت ولا كيف أمسيت .. ثم قال : لكن الـذي يعجبني أن يحدو بي الحادي الليلة بشعر « طريف العنبري » فهو آلف في سمعي من غناء بصبص وأحـرى أن يختـاره أهل العقل .

أما لماذا نص المنصور على غناء بصبص بالذات ، فهذا مرجعه عنـدي ، أن الأبيـات البـائية ، إنمـا بلغَت أبا جعفر مع (جوّها) أو قصتها ، وهي أن عبد الله بن مصعب قد اصطبح مع بصبص وهي تغنيه بها .

وبعد .. فاذا بقي من شجون الحديث ؟ .. ليس إلا طريف العنـبري الـذي كان المنصـور يعجبـه شعره .. فهو شاعر جاهلي : طريف بن تميم العنبري ، أبوعمرو ، من فـرسان بنـي تميم ، شاعر مقـل : وهو القائل :

إن قناتي لنبـعٌ مـا يـؤيّسُها	عضُ الثّقاف ولا دهْنٌ ولا نـارُ
وإن جـاريَ لا يـرضى لمنعتـه	بأن يكون لـه مـن غـيرنا جـارُ
متى أجِرْ خـائفا تـأمن مسارحُه	وإن أخِف آمنا تقلـق بـه الـدارُ
إن الأمـور إذا أوردتها صـدرت	إن الأمـور لهـا ورد وإصـدار

تثمين المستشرقين لأثر فريضة الحج



في انبعاث الرحلات الجغرافية العربية

بقلم : د . سعيد حسين علي

رغم أن الرحلات الجغرافية كانت حصيلة دوافع متعددة كالتجارة أو طلب العلم أو حب الاستطلاع والمغامرة أو بسبب العامل الإداري والسياسي (لجمع الخراج أو الإشراف على شؤون الدولة الإسلامية) إلا أن لأداء فريضة الحج الدور المميز في ذلك حيث برزت مجموعة من كتّاب الرحلات كان هدفهم الأول الحج إلى بيت الله الحرام ثم وضعوا كتباً عن تجاربهم في السفر ووصفهم للبلاد التي مرُّوا بها بعد عودتهم من الحج[١] .

الحج والرحلة عند المستشرقين[١]

فقد أكد كل من المستشرقين **شاخت وبوزورث** Shak and Boz على الدور الفريد الذي يلعبه حج بيت الله الحرام كدافع قوي من بين الدوافع الأخرى الممهدة للرحلات الجغرافية عند العرب .

ورغم أن مقالة **البروفسور جي . أج . كرامرز** Prof. J.H. Kramers (الجغرافية والتجارة) قد ركزت بالدرجة الأولى ــ وهو المطلوب من الباحث المذكور ــ على رحلات التجار العرب إلى مختلف بلاد العالم وظهور كتب وصف جغرافي بسبب ذلك النشاط الاقتصادي إلا أن كرامرز أثنى على مجموعة من الرحالة لم يكن التجوال والترحال ديدنهم ولكن أداء فريضة الحج واتصالهم بمجموعة الحجيج القادمين من مختلف الأصقاع دفع في نفوسهم الرغبة في الارتحال بعد الحج بصحبة الحجاج العائدين لبلادهم .

إن أقصى اتساع للإمبراطورية الإسلامية خلال العصر العباسي جعل المسلمين العرب يشعرون بأنهم رعايا إمبراطورية مترامية الأطراف مركزها الديني **مكة المكرمة** ومحورها السياسي بغداد[٢] ، وحيث إن حج بيت الله الحرام هو أحد الفرائض الخمس في الإسلام ، وتبعاً للموقع الجغرافي الوسطي لهذه المدينة المقدسة بين بلاد الإسلام فهي بذلك تعد نقطة جذب مركزي هامة لمختلف المسلمين القاطنين ضمن حدود العالم الإسلامي وخارجه مما يشجع على مشاهدة الظواهر الجغرافية الفريدة كما يُنشط العلاقات التجارية بين تلك البقاع .

فمكة المكرمة تقع ما بين بلاد شمال إفريقيا غرباً وما بين البلاد المطلة على الخليج العربي وشبه القارة الهندية وأندونوسيا والفلبين وتخوم الصين غرباً وبين بلاد الأندلس وألبانية وصقلية ويوغسلافيا وتركيا وجزر البحر المتوسط شمالا وبين جزر المحيط الهندي وشرق إفريقيا وغربها جنوباً .

ويمثل الحج بذلك عاملاً دينياً بمثابة قوة جاذبة للمركز . فللحج يعود الفضل في تصنيف كتب عديدة مرشدة للرحلات اشتملت على ذكر المحطات والمراحل والطرق المؤدية إلى مكة من مختلف الأقطار ، مما أدى إلى تجمع معلومات وتقارير من الشعوب العربية الإسلامية وأحوال الدولة الإسلامية الطبيعية منها والبشرية فكان الحج بذلك من (أغنى الينابيع التي زودت المسلمين بالمعلومات الجغرافية)[٣] .

ويظهر دور بعض المستشرقين في نشر وطبع بعض المخطوطات التي تتضمن معلومات أصيلة عن شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة ومختلف بقاع العالم بصفة عامة ، كان مؤلفوها عرباً من أطراف البلاد الإسلامية دلالة على مكوثهم في بلاد **الحجاز** فترة ليست بقصيرة . فقد طبع المستشرق **فرديناند كريستيان فستنفلد** Ferdinand Wuustenfeld كتاب **(تاريخ المدينة المنورة) للسمهودي** ضمن مطبوعات **جامعة جوتنجن** في سنة ١٨٦٠ م[٤] كما ألف فرديناند كتاباً جغرافياً يتضمن وصف جزء من بلاد الحجاز سماه **(أراضي المدينة المنورة)** وطبعه في جامعة جوتنجن في سنة ١٨٧٣ م[٥] ، وقد ظهر كتابان في القرن التاسع ميزهما المستشرق **كراتشكوفسكي** I.U. Krachkovski هما كتاب **تاريخ مكة للأزرقي** المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ــ ٨٥٨ م ، والآخر يحمل نفس العنوان **للفاكهي** المتوفى سنة ٢٧٢ هـ ــ ٩٠٧ م[٦] ، ويقول كراتشكوفسكي إنه كما اتجه اهتمام اللغويين من قبل إلى بلاد العرب فإن الاتجاه منذ القرن التاسع كان للإلمام بكتب البلدان المقدسة .

وبرزت مجموعة من المستشرقين اعتمدوا في مؤلفاتهم على معلومات كتب الرحالة العرب مثل كتاب **(الحياة في الحجاز وموسم الحج)**

للمستشرق **سنوك غرونيه** Snouk Hurgtonje المطبوع عام ١٨٨٥ م[٧] .

ومن المحتمل جدًا أن يكون إلمام المستشرق **ماكسمليان بتنر** Maximillian Bittner باللهجات المحلية للعديد من بلاد الإسلام بصفة خاصة ناجماً من استفادته من الحجاج المسلمين (ولا سيا أن المستشرق المذكور عاش ردحاً من الزمن في بلاد العرب) ، حيث كتب عن لهجات جنوب وشرق اليمن (قواعد اللسان المهري) وكتب عن اللغة السواحلية الخاصة بسكان شرق إفريقيا واللغات الصربوكرواتية والتركية والأمهرية والأفغانية والكردية والقبطية وسبع لغات هندية بالإضافة إلى اللغات الأوروبية ، (بحيث أتقن Bittner هذه اللغات إتقاناً لم يبلغه مستشرق قبله)[٨] .

وقد حقق **السيد مقبول أحمد** ما ورد من وصف الهند في كتاب **الإدريسي** ذلك الرحالة الذي استق جزءاً هاماً من معلوماته عن الأقليات الدينية من الحجاج الهنود المسلمين ، فساعده كتاب **المقدسي** على أن يلم إلماماً كافياً بالتوزيع الجغرافي لأشهر تلك الأقليات في شبه القارة والتي اختار منها (٤٢) أقلية[٩] .

استخدام البوصلة والاصطرلاب

حيث إن مكة المكرمة هي قبلة المسلمين وهي تصوير عملي لوحدة الجماعة الإسلامية واتحاد قلوب المؤمنين[١٠] ورغم أن المسلمين كانوا قد ضبطوا موقع القبلة من خلال معرفتهم لزوايا ظل الشمس ومواقع النجوم إلا أنهم استخدموا البوصلة في تحديد موقع مكة ، **والبوصلة من اختراعات العرب الأصلية في القرن الحادي عشر** ، وتؤكد المستشرقة **زيغريد هونكه** Sigrid Hunke على أن **أول من نقل هذا الاختراع العربي إلى أوروبا هو بطرس فون ماريكور Pectrus Von Maricourt** وذلك في عام ١٢٦٩ م ، في رسالته : Epistole de[١١] Magnete ، وجميع البوصلات التي عثر عليها بعد ذلك التاريخ هي من أصل عربي .



★ الاصطرلاب ★

ورغم أن الاصطرلاب آلة يونانية الأصل إلا أنه قد جرى تطوير صناعتها على يد العرب فيما بعد ، وتستخدم لتعيين موقع مكة المكرمة (وما اصطلح عليه بخط سمت القبلة)[١٢] إضافة إلى العديد من الأغراض التي تؤديها هذه الآلة .

فالبوصلة والاصطرلاب ضروريان لعرب الصحاري القفار وعند السفر برًا أو بحراً وكان حجاج بيت الله بصفة خاصة يحملون معهم بوصلات صغيرة كما أنهم كانوا يهتدون بالاصطرلابات الكبيرة المعلقة في الجوامع والمباني لتعيين موقع مكة المكرمة .

أثر الفريضة على الرحلة

إن عقد النيَّة لأداء فريضة الحج هو بمثابة القضاء على الانعزال الفردي والانتقال إلى مرحلة الانفتاح على النفس والاعتياد على السفر الطويل الذي يتميز بالمشقة وكثرة الأتعاب آنذاك ، رغم أن الحاج يعلم ما كان في الطرق العربية من المخاطرات التي (لسنا بصدد الخوض في تفاصيلها)[١٣] .

وحيث إن حشد الحجيج في بيت الله الحرام يضم مسلمين من مختلف الأجناس يتكلمون لغات ولهجات متعددة ومن بلدان يتنوع فيها المناخ وتتباين فيها التضاريس ومصادر المياه كما يتباين في تلك الأقاليم توقيت الموسم الزراعي وطوله ونوع المحصول ، ولم يمنع تنوع الظروف العجيب هذا شعور المسلمين من الاندماج الاجتماعي حيث وقفت قلوبهم موقفاً واحداً أمام الله تعالى في بيته الحرام .

وإزاء هذه الظروف المتنوعة التي يحياها الحشد يدفع حبّ الاستطلاع العديد من الحجاج للتعرف على خصائص بلاد الإسلام الجغرافية من خلال الاستفسار من سكانها الوافدين فيبدأ بالسؤال عن أحوال البلدان والطرق والمظاهر الجغرافية المختلفة ، وكثيراً ما يستعين السائل بشخص يعرف أكثر من لغة واحدة لترجمة لغة الحجيج فيسجل العديد من المعلومات ، وقد تستهويه بلاد ما فيصاحب الحجاج أثناء عودتهم بهدف الاشتغال بالتجارة أو حبًا في الاستطلاع أو طلب العلم مما يدفعه إلى التجوال والترحال فتبدأ الرحلة الجغرافية .

أشهر الرحلات العربية

وفيما يلي نستشهد بأهم الرحلات وأشهرها والتي تركت لنا أثراً هامًا في الوصف الجغرافي :

(١) رحلة ابن جبير ، وقد كان سبب بدء الرحلة أداء فريضة الحج التي سماها ابن جبير (النية الحجازية المباركة)[١٤] ، وذلك في سنة ٥٧٥ للهجرة ، ومما يدل على دقة المعلومات الواردة في الرحلة أنها استرعت اهتمام المستشرقين لما لها من قيمة علمية نفيسة فترجموا جغرافية صقلية منها إلى الفرنسية وطبعوه عام ١٨٤٦ م .

وقد وضع المستشرق **وليم رايت** William Wright مقدمة للطبعة عن نسخة خطية كاملة عام ١٨٥٢ م ، مركزاً على الأهمية العلمية للرحلة[١٥] .

(٢) رحلة ابن بطوطة : كان العزم على الحج هو الدافع الأساسي لابن بطوطة في بدء رحلته مما حفزه فيما بعد على التجوال والترحال مخلداً اسمه في ميدان الرحلات[١٦] .

وقد بدأ ابن بطوطة رحلته في سنة ٧٢٥ هـ ـ ١٣٢٦ م ، ولا بد هنا أن نذكر بأن الكثير من الوصف الخيالي للظاهرات التي أوردها ابن بطوطة في رحلته ناجمة من اعتماده على قصص رواها له البعض عن الآخر ، ورغم أن ذلك يعد نقطة ضعف علمية إذا ما قيست بالوصف المعتمد على المشاهدة الشخصية إلا أن أمانته العلمية في وصف بعض الظاهرات المعتمدة على السماع يبدأ وصفه بكلمات مثل : سمعت أو قيل لي أو يقال (وما إلى ذلك من عبارات في هذا المعنى) .

ونقف هنا وقفة تقويم لنتاج ابن بطوطة وأن نثني على ملامح الوصف الجغرافي الدقيقة التي وردت في الرحلة ، فقد احتوت وصفاً للأقاليم التي زارها شأنها شأن بقية الرحلات التي (تحمل بذور البحث العلمي)[١٧] .

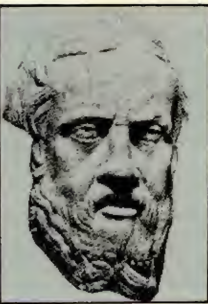
وللدكتور **خصباك** تقويم دقيق للصفات والخصائص التي ينبغي أن تتوفر في الرحالة العربي فيؤكد أن **(غاية ما يطالب به الرحالة أن يكون أميناً في نقل المشاهدة التي يقع عليها بصره)**[١٨] . وتظهر دقة المعلومات الواردة في رحلة ابن بطوطة من شهادة المستشرق **رينهارد دوزيه** Renhard Dozy الذي لقبه بالرحالة الأمين نظراً لوثوقه بمعلومات رحلته الجغرافية[١٩] .

(٣) رحلات المغاربة لأداء الفريضة : تميز القرن السادس للهجرة بظهور عدد من الرحالة المغاربة الذين سافروا أولا إلى المشرق بقصد الحج ، وأشهرهم **الشريف الإدريسي ١٠٩٩ ـ ١١٥٣ م ، وأبو حامد الحزناطي ١٠٨٠ ـ ١١٦٩ م** ، ولسنا هنا بصدد التعريف بشهرة الإدريسي وغزارة المعلومات الواردة في مصنفه **(نزهة المشتاق)** بقدر إبراز هدفنا ، ألا وهو أن أداء فريضة الحج كان المحفز الأول لبدء رحلته إلى أصقاع العالم المختلفة .

معلومات الرحلة

وبصدد تثمين دور أداء فريضة الحج في انبعاث الرحلات الجغرافية يكفي أن نذكر مثلاً أن المعلومات التي أوردها عن الأندلس المقدسي في كتابه **(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)** قد نقلها كما يذكر عن حاجين التقى بهما في مكة عام ٣٧٧ هـ ـ ٩٨٧ م[٢١] .

ولهذه المعلومات المستقاة من الحجاج أهمية كبيرة في سد النقص الحاصل في معلومات الرحلة عن إقليم ما ويكفي أن نبين أهمية مصنف المقدسي بتقويم الدكتور خصباك الذي يذكر أنه **(فيما عدا هيرودوت لم يشهد الفكر الجغرافي اليوناني أو الروماني رحلة من طراز المقدسي أو المسعودي أو الإدريسي أو ابن حوقل أو ابن بطوطة)**[٢٢] .



★ هيرودوت ★

إن مكوث المقدسي فترة ليست بالقصيرة في الحجاز لأداء الفريضة يجعله يتكلم بإسهاب عن تلك البلاد ومدنها وخصائصها الجغرافية (وينطبق ذلك على معظم الرحالة العرب ، فالمقدسي يستعرض مدن الجزيرةالعربية فيذكر مثلاً (أن مكة مصر هذا الإقليم ، وقد خطَّت حول **الكعبة** مشبهاً موضعها الجغرافي بين مجموعة التلال بموضع مدينة عمان ، كما وصف الحرم الشريف بتفصيل تام[٢٣] .

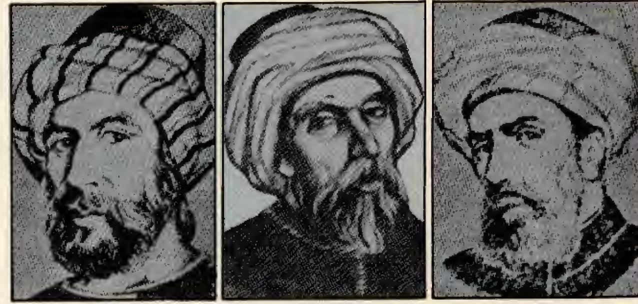
وحيث إن الدافع الرئيسي لأغلب كتَّاب الرحلات كان أداء فريضة الحج[٢٤] كما أسلفنا فقد كان وصف مكة يتصدر كتب الجغرافيين العرب ، فقد بدأ **(ابن الفقيه)** كتابه **(مختصر كتاب البلدان)** بباب **(القول في مكة)** مستعرضاً تسمياتها ونشأتها وأهمية تجمع حشد الحجيج فيها[٢٥] .

وقد انفرد أحد المسلمين الموريسكيين في وضع قصيدة في (وصف الحج إلى مكة) بعنوان Las Coplas del Alichonte de puey Monzon أي قصيدة الحاج القادم من (بوي منسون)[٢٦] .

وحيث إن **الموريسكيين** في أوروبا قد تعرضوا للاضطهاد في القرن السادس عشر فإن القصيدة تظهر فيها صلابة التمسك بأداء الفريضة وتصف هذه القصيدة الطريق من **بلنسية** إلى **تونس** ثم **الإسكندرية** ثم برًّا إلى سواحل البحر الأحمر في **مصر** وإلى **الحجاز** ، وتتألف القصيدة من ٧٩ مقطعاً لكل مقطع ثمانية أبيات .

ورغم أن هذا الضرب من الكتابة يصنف ضمن الأدب إلا أن الوصف الجغرافي لطريق الحج ومدنه ، وخصائصه الجغرافية تمكننا أن نستقي من القصيدة معلومات انثروبولوجية وتاريخية وجغرافية .

وقد ذكر ابن الفقيه أطوال طرق النقل بين مكة والمدن المهمة كالمسافة بينها وبين **الطائف** ، وبين **مكة وبغداد** وبين **مكة وعرفات**[٢٧] ، مما له أهمية في تقسيم الطرق إلى نقاط توقف للراحة على طول طرق الحج بين مكة وما جاورها من البلدان . وفي هذا المجال من الوصف يمكن لرحالة ما أن يكمل ما ورد من معلومات عند رحالة آخر ، فما يصفه **ابن رسته** في باب (ذكر مكة وأحوالها وأسبابها وذكر الكعبة وبنائها وصفتها على اختصار وإيجاز)[٢٨] يمكن أن يكمل المعلومات الجغرافية الواردة عند **(اليعقوبي)** الذي وصف الجبال المحيطة بمكة ومواقعها ذاكراً أسماءها



★ المسعودي ★ ★ الإدريسي ★ ★ ابن بطوطة ★

والشعاب أو الوديان التي تفصل بينها وصفاً مسهباً في باب (مكة وأعمالها)[٢٩].

يتضح مما سبق أن نشاط الرحلات الجغرافية العربية بدأ منذ القرن الثالث الهجري الذي تميز بسعة رقعة الإمبراطورية الإسلامية، ولم تقف عقبات السفر عائقاً أمام الالتزام بتأدية فريضة الحج على كل مسلم استطاع السبيل إليه، وكانت تلك الفريضة مشجعة على الرحلات العربية بل إنها الدافع الرئيسي لها. وقد ترك لنا الرحالة آثارهم الفريدة في (الوصف الجغرافي) من معين لا ينضب من المعلومات الاقتصادية والاجتماعية والأنثروبولوجية عن سكان العالم ومن معلومات طبيعية عن بحار العالم وأنهاره وتضاريسه.

ورغم أن المعلومات الواردة في الرحلات تخلو من كشف العلاقات السببية Causal Relations أو كشف صورة توزيع ظاهرة ما ــ إلا ما ندر ــ وهو هدف علم الجغرافيا ولكنها حققت الشطر الأول من ذلك الهدف ألا وهو (علم وصف الظاهرات).

وقد التزم بعض الرحالة بسرد تعليل حدوث بعض الظواهر والربط بينها وبين ظاهرات أخرى مشابهة، أو بيان الاختلاف بين الظواهر فحققوا بذلك هدفاً آخر من أهداف الجغرافية (دراسة التشابه والاختلاف بين الظواهر على سطح الأرض).

وأخيراً فإن نتاج العرب في وصف بلاد العالم ظهر في فترة لم تكن للأوروبيين فيها أي معرفة بجغرافية العالم (إلا فيما يتعلق بمواطن محدودة)، كما أنه لم يظهر أي رحالة أوروبي يجوب العالم في الفترات التي ظهر فيها رحالونا قيد الدراسة بحيث ظهر منهم مستشرقون اعتمدوا في أسس دراساتهم الجغرافية على معلومات الرحلة العربية كمصادر أصيلة لأبحاثهم.

الهوامش

١ ــ شاخت وبوز ورث Shak and Boz: تراث الإسلام القسم الثالث، عالم المعرفة، ترجمة حسين مؤنس وآخرون، مطابع دار اليقظة ــ الكويت، ١٩٧٨م، ص ١٣٨.

٢ ــ جي. أج. كرامز Prof. J.H. Kramers: الجغرافية والتجارة، مقالة وردت في كتاب تراث الإسلام بإشراف سير توماس آرنولد، ترجمة جرجيس فتح الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢ ــ بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٢٧.

٣ ــ الدكتور إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، سلسلة اقرأ، العدد ١٤٤، ط٢، مطابع دار المعارف بمصر ــ القاهرة، (بلا تاريخ)، ص ٨.

٤ ــ يوسف جيرا Joseph Gira: المستشرق النمساوي، تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا، مطبعة الشباب ــ القاهرة، ١٩٤٢م، ص ٤٢.

٥ ــ نفس المرجع ونفس الصفحة.

٦ ــ أغناطيوس بوليا نوفتش كراتشكوفسكي I.U. Krachkovski: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٦٣.

٧ ــ الدكتور محسن جمال الدين: المستشرقون والأماكن المقدسة، سلسلة الثقافة الإسلامية للصحافة والتأليف والترجمة والنشر، ط٢، مطبعة أسعد، (بلا تاريخ)، ص ١٧.

٨ ــ يوسف جيرا: مرجع سابق، ص ٥٠.

٩ ــ مقبول أحمد: وصف الهند وما يجاورها من البلاد، تحقيق مختار من نزهة المشتاق لاختراق الآفاق للإدريسي، أطروحة أجيزت للدكتوراه من جامعة أكسفورد، مطبوعات الجامعة الإسلامية ــ اليكره، الهند، ١٩٥٤م، ص ٢٤، ٣٢ و٣٣.

١٠ ــ الدكتور حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الأنباء ــ الكويت، ص ٧٣.

١١ ــ المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه Sig Rid Hunke: (شمس العرب تسطع على الغرب)، أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط١، آذار سنة ١٩٦٤م، ص ٤٧ ــ ٤٨.

وتأكيداً لهذا الاختراع العربي، فقد عثر أحد الإيطاليين في سنة ١٣٢٠م، على بوصلة عربية قرب مدينة البندقية الإيطالية وهي أول المدن البحرية التي كانت لها مراكز تجارية في المرافئ العربية، انظر: المرجع السابق، ص ٤٧ ــ ٤٨ أيضاً وتأكد من مخطط البوصلة العربية التي رسمها بطرس فون ماريكور عام ١٢٦٩م، من خلال الكتابة العربية التي تحيط بكل جوانبها في نهاية ص ٤٨ من المرجع السابق.

١٢ ــ الأعرج الموصلي: سوانح القريحة في شرح الصفيحة، تحقيق وتعليق الدكتور صباح محمود أحمد، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، مطبعة جامعة بغداد ــ بغداد، ١٩٨٠م، ص ٢٤، ٢٥.

١٣ ــ لمن يريد الاطلاع عن فتك القرامطة بقوافل الحجاج في ٣٥٦هـ ــ ٩٦٦م، فليراجع المصدر التالي:

آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، م٢، دار الكتاب العربي، (بلا تاريخ)، ص ٨٧.

١٤ ــ أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني: رحلة ابن جبير، سلسلة أدب الرحلات، دار التراث ــ بيروت، ١٩٦٨م، ص ٧.

١٥ ــ نفس المصدر، ص ٥، راجع أيضاً يوسف جيرا، مرجع سابق، ص ٢٩.

١٦ ــ الدكتور إبراهيم أحمد العدوي: مرجع سابق، ص ٨.

١٧ ــ الدكتور شاكر خصباك: في الجغرافية العربية، دراسة في التراث الجغرافي العربي، مطبعة دار الإسلام ــ بغداد، ١٩٧٥م، ص ٢٣٩.

١٨ ــ نفس المرجع، نفس الصفحة.

١٩ ــ أبو عبد الله محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار صادر وبيروت للطباعة والنشر ــ بيروت، ١٩٦٤م، ص ٧.

٢٠ ــ أحمد أبو سعد: الفنون الأدبية عند العرب، تسلسل ١٠، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي ــ بيروت، ط١، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت ١٩٦١م، ص ٩٥.

٢١ ــ كراتشكوفسكي: مصدر سابق، ص ٢٠٩.

٢٢ ــ الدكتور شاكر خصباك: مرجع سابق، ص ١٨.

٢٣ ــ المقدسي، المعروف بالبشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل ــ ليدن، ١٤٠٤، ص ٦٧ و٧١.

٢٥ ــ أبو بكر أحمد ابن إبراهيم (المعروف بابن الفقيه): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل ــ ليدن، ١٣٠٣، ص ١٦.

٢٦ ــ كراتشكوفسكي: مصدر سابق، ص ٤٦٢.

٢٧ ــ ابن الفقيه: مصدر سابق، ص ٢٢.

٢٨ ــ أبو علي أحمد بن عمر بن رسته: الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، مطبعة بريل في ليدن، ١٨٩١م، ص ٢٤.

٢٩ ــ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: المعروف باليعقوبي، المتوفى سنة ٢٨٤هـ، ورد في طبعة موحدة مع كتاب (الأعلاق النفيسة) لابن رسته، مطبعة بريل في ليدن، ١٨٩١م، ص ٣١٤ ــ ٣١٥.

المجتمع

بقلم: محمود شاكر

لما كان الفرد هو اللبنة الأولى التي يتألف منها المجتمع ، فالمجتمع عدد من اللبنات ، ولا بد من أن يكون هناك تعاون بين الفرد والمجتمع . فإذا زالت لبنة واحدة من البناء ظهرت ثغرة فيه فبان عواره أو تهدّم كيانه ، وإذا سُد مكانها بشكل غير طبيعي أي بغير لبنة من نوعها بدا المظهر مشوهاً ، لذا لا بد من أن يكون هناك توازن بين الفرد والمجتمع أو بين الكيان وأعضائه الذين يتكون منهم فلا يطغى الفرد بسلطانه على المجتمع فيذلّه أو بتصرفاته فيمزقه ، ولا يطغى المجتمع على أي من أعضائه فيذيبه ، ويفقده تكريمه الذي كرمه الله سبحانه وتعالى ، ويبعده عن حريته التي منحه إياها .

يمنح المجتمع الفرد من أعضائه الحرية الكاملة ضمن الحدود التي تكلمنا عنها في موضوع الإنسان الفرد ، فإذا منعها عنه أفقده الإبداع في الفكر ، وقتل فيه الطموح وجعله يعيش خنوعاً يقبل ما يملى عليه ، ويخضع لكل طاغ أو دخيل .

حق الملكية

يعطي المجتمع الفرد **حق الملكية** التي هي غريزة طبيعية وجدت مع الإنسان ، وفطر عليها ، فالصغير يحتجز ما يحب ، ويخبئ ما يرغب فيه على أنه ملك له ، فإذا منعته من ذلك جرحته ، وأوجدت في نفسه شيئاً عليك قد يصل إلى الحقد في بعض الأحيان إن لم تكن صلة كبيرة بينك وبينه ، وفي البلدان التي تمنع حق الملكية لأبنائها فإنما تفعل ذلك ليتكون حقد بين رعاياها تستغله في إبقاء سيطرتها وفرض قبضتها على المناطق التي تخضع لها ، ويستفيد رجال الدولة من ملكية الدولة لكل شيء فيتصرفون فيه على أنه حق طبيعي لهم فيعيشون بترف ، وينفقون ببذخ ، بينما الأفراد بوضع بئيس ، وعيش تعيس . هذا إضافة إلى أن الإنسان الذي يحرم من بعض حقوقه تضعف ملكة الإبداع عنده ، وتتحطم معنوياته ، فلا يعطي إلا القليل ، ولا يقدم غير الزهيد من إمكاناته وطاقاته ، فيقل إنتاجه ، وبالتالي يضعف إنتاج الأمة وتصبح بحاجة إلى غيرها ، وعندها الشيء الكامن ولكن لا تستغله ، ولديها الاحتياطي غير أنها لا تبذله ، وتملك القدرات ولكنها لا تستفيد منها ، وكل ذلك على حساب الأفراد الذين لا يعيشون على المستوى المطلوب . وفي الوقت نفسه لا يحق للفرد أن تطغى ملكيته باسم الحرية ، فيحتكر قوت المجتمع ، ويجمع لديه الثروة عن طريق الربا وبيع المحرمات ، ثم يُسخر المجتمع كله لخدمته ، ويدوس على الآخرين ، وتصبح المقاليد كلها بيده . قال رسول الله **صلى الله عليه** وسلم : **« من احتكر فهو خاطئ »**[1] . وقال تعالى **﴿ الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الرِّبا وأحل الله البيع وحرّم الرِّبا فمن جاءه موعظة من ربِّه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الرِّبا ويُربي الصدقات والله لا يحب كل كفَّار أثيم ﴾**[2] . وقال تعالى **﴿ فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيباتٍ أحلت لهم وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً . وأخذهم الرِّبا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ﴾**[3] . وكذلك يحرم بيع كل ما هو حرام والمتاجرة به مثل الخمر ، والمخدرات ، ولحم الخنزير و .... وهذه أكبر وسائل المال الحرام وأكثرها جمعاً له .

حق العمل

وعلى المجتمع ممثلاً في السلطة أن يؤمِّن العمل للناس ، ويمنع السؤال ، والقعود بلا عمل ، عن **أبي هريرة** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، قال : **« والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيحتطب على ظهره ، فيأتي به ، فيبيعه ، فيأكل منه ، ويتصدق منه خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله ، فيسأله أعطاه أو منعه »**[4] . ولما كان الفرد ليس هو ملكاً لنفسه ، وإنما ملك الأمة جميعها ، لذا فالسلطة تُلزمه على العمل ، وتمنعه من الجلوس من غير عمل بحجة الثراء والاكتفاء بما لديه ، وعدم الحاجة ، إذ عليه العمل مهما كان مستغن عنه ما دامت الأمة بحاجة وهو ملك لها . وتأمين العمل واجب على السلطة ، عن **أنس بن مالك** ، أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يسأله فقال : « أما في بيتك شيء » ؟ قال : بلى حِلْس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقَعْب نشرب فيه من الماء ، قال : « ائتني بهما » ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بيده وقال : « من يشتري هذين » ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : « من يزيد على درهم » ؟ مرتين أو ثلاثاً ، قال

رجل : « أنا آخذهما بدرهمين » ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري ، وقال : « اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قَدُوماً فأتني به » ، فأتاه به ، فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عوداً بيده ، ثم قال له : « اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينّك خمسة عشر يوماً » ، فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لذي فقر مُدقع ، أو لذي غُرم مُقطع ، أو لذي دم موجع** »[٥] .

ولسنا بحاجة هنا إلى توضيح شروط العمل ، والغاية منه ، فإن هذا أمر معروف ولكن نشير إلى أن من شروطه أن يكون غير محرم ، وليس فيه ضرر للناس ، أو شغل عن العبادة ، والغاية منه ، الاستغناء عن الناس ، والنهي عن البطالة ، ونفع عباد الله ، والإفادة مما أباح الله لعباده من طيبات الرزق .

وإذا عجز المرء عن العمل كان على الدولة أن تعطيه ما يغنيه ، فكما أن المجتمع ممثلاً في السلطة مسؤول عن عمل الفرد في شبابه ، كذلك مسؤول عنه في شيبته ، وقد مرَّ **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه بسائل شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال :

من أي أهل الكتاب أنت ؟

قال : يهودي .

قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟

قال : أسأل الجزية والحاجة والسن .

فأخذ عمر بيده إلى منزله فأعطاه شيئاً من المال ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له :

انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه : أكلنا شبيبته ، ثم خذلناه عند الهرم ، فأعطي من بيت المال من غير أموال الزكاة ، لأنه لا يعطى غير المسلمين من أموال الزكاة .

حاجات الفرد

والسلطة مسؤولة عن تأمين حاجة الفرد من مواصلات ، وتعليم ، ونور وكل ما يتعلق بوسائل الحياة . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « **والله لو أن بغلة عثرت على شاطئ الفرات لأخشى أن يسأل الله عنها عمر لمَ لَمْ يسو لها الطريق** » . ووسائل الحياة ليست واحدة وإنما تختلف باختلاف الأزمنة فإذا كانت في القديم تمهيد الطريق فاليوم تعبيده ، وإذا كانت في المرحلة السابقة السراج والزيت فهي في هذا الوقت الكهرباء وهكذا مع الزمن ولا ندري ما يستجد في المستقبل ، وكل هذا من واجبات السلطة .

ولم يتسلم الحاكم أو أفراد السلطة المسؤولية ليمتازوا على الأفراد ، ويتعالوا عليهم ، ويذلوهم ، وإنما كلفوا بهذا العمل لخدمة الشعب ، وليعيشوا كبقية أفراد المجتمع إن لم نقل دونهم ، **فأبو بكر** رضي الله عنه يقول : « **إني قد وليِّت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأطيعوني وإن أسأت فقوموني و . . . .** » ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يأكل من الشيء حتى تشبع منه رعيته ، فيروى أن **عتبة بن فرقد** لما قدم **أذربيجان** أُتي بالخبيص ، فلما أكله وجد شيئاً حلواً طيباً ، فقال : والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا . فجعل له سفطين عظيمين ، ثم حملهما على بعير مع رجلين ، فسرّح بهما إلى عمر ، فلما قدما عليه فتحهما قال : أي شيء هذا ؟ قالوا : خبيص . فذاقه ، فإذا شيء حلو فقال للرسول : أكل المسلمين يشبعون من هذا في رحالهم ؟

قالوا : لا .

فقال : أما لا فارددهما .

ثم كتب : أما بعد فإنه ليس من كدك ولا كد أمك ، أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك .

وجاءت إلى عمر بُرود من اليمن ، ففرقها بين الناس برداً برداً ، ثم صعد المنبر يخطب ، وعليه حلة منها (أي بردان) فقال : اسمعوا رحمكم الله . فقام إليه **سلمان** فقال : والله لا نسمع ، والله لا نسمع .

فقال : ولـمَ يا أبا عبد الله ؟

فقال : يا عمر ! تفضلت علينا بالدنيا ، فرقت علينا برداً برداً ، وخرجت تخطب في حلة منها ؟ . .

فقال : أين عبد الله بن عمر ؟

فقال : ها أنذا يا أمير المؤمنين !

قال : لمن أحد هذين البردين اللذين عليّ ؟

قال : لي .

فقال لسلمان : عجِّلت عليّ يا أبا عبد الله ، إني كنت غسلت ثوبي الخلق ، فاستعرت ثوب عبد الله .

قال : أما الآن فقل نسمع ونطع .

وهكذا فرغم أن المجتمع له سلطة على الفرد ، ويحد من سلطته ، ولكنه لا يذيب شخصيته فللفرد كرامته المحترمة ، وحريته المحددة ، وحقه على المجتمع ، ومحاسبته ، وله أن يجاب عن تساؤلاته . إذن **هناك توازن في الإسلام بين الفرد والمجتمع ، فلا تطغى حرية الفرد حتى تسيء إلى المجتمع ، ولا تتوسع سلطة المجتمع حتى تذيب شخصية الفرد ، وتسحقه في آلة سلطتها** . والمسؤول خادم للفرد والمجتمع على حد سواء ، لا مترفع عنهما ولا عال .

الهوامش

(١) أخرجه مسلم في المساقاة : باب تحريم الاحتكار في الأقوات .
(٢) سورة البقرة : الآيتان ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .
(٣) سورة النساء : الآيتان ١٦٠ ــ ١٦١ .
(٤) متفق عليه كما رواه الإمام مالك في الموطأ .
(٥) أخرجه أبو داود ، في باب الزكاة .

الإسلام
في مواجهة الحركة التنصيرية والاستشراقية

بقلم : د . عبد القادر محمود

لا شك في أن التنصير والاستشراق يلتحمان معاً في قيادة وتوجيه وتزويد حركة الاستعمار الآن في كل أجزاء الشرق الإسلامي والعربي أو العالم الإسلامي في كل مكان ، رغم استقلال كثير من شعوبه من الناحية العسكرية التقليدية أو من ناحية شكل الحكم الشعبي أو السياسي المرتبط بالإقليم أو الوطن الكبير .

فكرتي في هذا المقال ، تعرية عملاء التنصير والاستشراق وهم عملاء الاستعمار في سائر العالم الإسلامي ، أولئك الذين صاغتهم دعوات التنصير ، أو كانوا من ثمارها الناضجة في دعم مناهج الاستعمار الفكري والثقافي والتعليمي ، بما يمزق وحدة الكلمة الإسلامية ، ويشتت شمل المسلمين والعرب في كل مكان .

كانت رسالتهم الأولى والأخيرة هي إنكار المقوّمات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة ، والتنديد والاستخفاف بها ، **وهؤلاء هم الذين وجَّهَهُم روّاد الاستشراق من العلماء والمفكرين منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي حتى الآن وما بعد الآن** ، أو هم الذين كان منهم أعلام المستشرقين والمستعمرين من العلماء والمفكرين الذين سعوا لدراسة العلوم والفنون العربية والإسلامية لإقامة حركة إحيائية تجديدية فيها كما يقولون ، وكانت رسالتهم في الأغلب الأعم هي صياغة هذا الإنكار والتنديد والاستخفاف في صور البحوث العلمية والتحقيقات الأكاديمية ، ونشرها في كتب أو رسائل أو محاضرات في الجامعات الشرقية والعربية والإسلامية ، أو في الأقسام الشرقية والإسلامية داخل الجامعات الأوروبية ذاتها أو مع وزراء المستعمرات وكل ما يدخل إطار الحقل السياسي وما يتصل به من أجهزة ومؤتمرات ومؤسسات اجتماعية واقتصادية وعلمية .

التنصير مدخل الاستشراق

وإذا كان التنصير مدخل الاستشراق أو هو سابق عليه أو مقدمة تمهيدية له ، فإن هذا التنصير بكل مؤسساته الطبية والهندسية والاقتصادية والتعليمية والتثقيفية ، قد استخدم نهج التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية المشتركة بين الذكور والإناث ، كما سلك سبيل العمل الخيري في إنشاء المستشفيات المتنقلة والثابتة والملاجئ الفخمة ودور اليتامى واللقطاء الواسعة ، بينما سلك الاستشراق نهج المقال والمحاضرة والكتاب وكرسيّ التدريس في الجامعات والإسهام في سائر المؤتمرات العربية والإسلامية بالدراسات المختلفة في سائر العلوم والفنون العربية والإسلامية .

الأهداف المشتركة

أما الموضوعات المشتركة التي هي أهداف الاستشراق أو التنصير أو تثبيت قدم وعقل الاستعمار فهي :

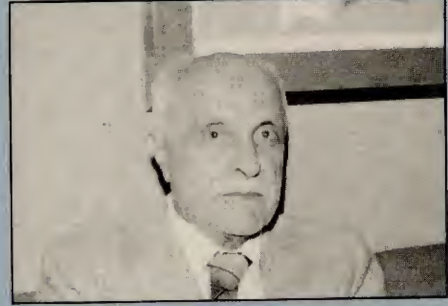
١ ــ تفتيت الوحدة الإسلامية ، وتنسيق عملية الشتات بين المسلمين .

٢ ــ تشويه الإسلام والسعي إلى إضعاف وتخلخل قيمه الأصيلة .

٣ ــ الزعم بأن الفكر الإسلامي فكر يوناني كتب بأحرف عربية ، وأن كل روائعه امتداد لليهودية والمسيحية في القديم والحديث .

٤ ــ دعوى أن اللغة العربية أصبحت متخلفة غير صالحة لمسايرة الركب الحضاري ، وبدلا منها يجب استخدام العامية ، كما يجب استخدام الحروف اللاتينية ، كما حدث في **تركيا** مثلاً ، عوضاً عن الحروف العربية .

٥ ــ الدعوة إلى إحياء العنصريات في العالم العربي مثل إحياء **الفرعونية** في مصر ، **والآشورية** في العراق ، **والفينيقية** في لبنان وفلسطين ، **والبربرية** في شمال وغرب إفريقيا ، ومن الواضح أن أشهر المؤسسات التنصيرية والاستشراقية لا تزال قائمة في سائر العالم العربي والإسلامي في مختلف المدارس والإرساليات والجامعات تحت أسماء مقدّسة وغير مقدّسة .



* د . عمر فروخ *

وإذا كان الاستشراق هو الوجه الآخر الراقي للتنصير فإننا يمكن أن ندرك خطورة حركته من واقع النصوص الآتية :

يقول **لورانس براون** Lawrance Brown « **إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية يمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً . . . أما إذا تفرقوا فإنهم سيظلون بلا تأثير** » (انظر براون : الإسلام والإرساليات Islam and Mission) .

وتقول مجلة العالم الإسلامي التي تصدر بالإنجليزية عدد يونيو (حزيران) ١٩٣٠ م ، ما نصّه « **إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على أوروبا ، والعالم الأوروبي والغربي بوجه عام . ولهذا الخوف أسباب ، منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة في عهد محمد لم يضعف عددياً ، بل ظل دائماً في ازدياد واتساع . ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب ، بل إن من أركانه الرئيسية : الجهاد ولم يتفق قط أن شعباً دخل إلى الإسلام ثم تنصّر . . .** » .

ويقول المستشرق **بيكر** Becker إن هناك عداءً من النصرانية للإسلام ، بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدًّا منيعاً في وجه انتشا المسيحية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لسلطانها .

Harbour: Methods of Mission Work amang Moslems P 20 - 25

London 1950

ويقول رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٥٤ م في نفس المرجع السابق « **إن المقصود من التنصير ليس غير المسلمين والإسلام ، وإن كان يقصد البراهمة والبوذيين أيضاً . ولقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المنصرون أن يلجؤوا إليها في سعيهم لتنصير لبنان وسوريا** » .

لهذا لا نجد أية غرابة في قول المفكر والمستشرق الفرنسي الكبير في رسالته الصغيرة الخطيرة حول ــ هذا المعنى ــ التي كتبها بعنوان « **الإسلام المتنصر** » .

وقد اتسع نفوذ حركة التنصير والاستشراق في **العصر العثماني** وما بعده وكثر تدخل الدعاة والعلماء في شؤون البلاد ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً من وراء الجماعات والجمعيات والمحافل التي تحمل أسماء **الماسونية والبهائية والليونز والروتاري** والسلام والمحبة إلى آخر الأسماء التي تحمل مجرد أقنعة لبث النفوذ وزرع السموم في الجسد العربي والإسلامي الكبير .

القصد من التنصير والاستشراق

التنصير إذن ، على أية صورة عملية وغير عملية ، لم يكن المقصود به ممارسة العبادات ، فإن رعايا الدول الأجنبية كانوا يمارسون العبادات دون معاهدات أو مشاورات . إنما كان المقصود بالتنصير هو نشر النشاط للإرساليات في صور المحاضرات أو التعليم ، والممارسة العملية للتطبيب والعلاج والرعاية الصحية ثم بث التعاليم الدينية لنشر الدين المقصود بطريقة مباشرة مع الوثنيين وبطريقة غير مباشرة ملتوية مع ضعاف الإيمان من مرتزقة اليهود أو المحسوبين ظلماً على الإسلام والمسلمين .

في كتاب بعنوان « البحث عن الدين الحقيقي » صدر في باريس عن مؤسسة التعليم سنة ١٩٢٨ م وصدرت له طبعات أخرى في الأربعينيات نرى هذا النص ما بين صفحات ٢٢٠ ــ ٢٢٢ « **الإسلام ظهر في القرن السابع للميلاد المجيد ، ومعه برز عدو خطر جديد** » .

هذه صورة أو مثل من الأمثلة الكثيرة للنصوص التنصيرية التعليمية في المدارس والإرساليات المنتشرة في أنحاء الوطن العربي والإسلامي . أما النشاط الاستشراقي فهو واضح في الأكاديميات والجامعات والمؤتمرات والمحافل العلمية والكتب والمعاجم ، وسائر الجمعيات التي تصدر حتى الآن **مجلة الجمعية الآسيوية ، والجمعية الشرقية الأمريكية ، ومجلة الشرق الأوسط ومجلة العالم الإسلامي** وغيرها كثير .

ومما لا شك فيه أن بعثات الطلاب الشرقيين والعرب والمسلمين رغم أنها ضرورة حضارية فإنها قد استغلت استغلالا سيئاً لصالح الاستعمار الثقافي في كل وطن عربي وإسلامي ، فقد غلبت على الكثير منهم المناهج المعارضة للتفكير الإسلامي والسلوك الإسلامي ، الأمر الذي قد يؤدي إلى تحويل منهج الفكر الإسلامي عن غايته ، وزعزعة العقيدة الأصيلة في نفوس الشباب . وقد كان من الوسائل المصاحبة لهذا النهج زواج المسلمين بالغربيات من الأوروبيات والأمريكيات وتشجيع ذلك الزواج سعياً وراء تحطيم فكرة الانتماء القومي والاجتماعي والديني معاً . [**انظر د / مصطفى الخالدي ، ود / عمر فرّوخ التبشير والاستعمار ٤٧ ــ ٤٩ بيروت ١٩٧١ م**] .

وقد رأى الاستعمار أن الحرب مع العالم الإسلامي مفرقاً أو مجتمعاً تؤدي إلى خسائر جسيمة بدليل الحروب الصليبية القديمة وبدليل الحروب الصهيونية الحديثة . من أجل هذا خطط علماء الاستعمار وعملاؤه من

منصرين ومستشرقين على غرس إسرائيل وتثبيتها في جسد الوطن العربي وفي أخطر المناطق شأناً وتاريخاً والعمل على نصرتها في الحرب والسلم ، **وكانت الخطوة الثانية هي العمل على شل حياة المسلمين بإبعادهم عن الشواطئ شواطئ البحار والأنهار في الأغلب الأعم ، وإبعادهم عن طرق المواصلات السهلة ، والمراكز الاستراتيجية ثم حصرهم في الدواخل وفي الصحارى الواسعة إن أمكن ذلك .**

مثل هذه الاقتراحات قد رسمت منذ عهد بعيد وكان أقرب مثال لها بعد كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ م ، أن أُخليت الشواطئ من العرب ومن المسلمين ثم قذف بهم إلى داخل البلاد وإلى ما وراء **نهر الأردن** ، حتى إذا رأى الاستعمار المتعاون مع إسرائيل أن عدداً كبيراً منهم يتجه إلى لبنان على البحر ، فقد خطط كل الوسائل غير المشروعة لإبادته وإهلاكه في الوقت الذي سعى لإشعال الحرب والقلاقل داخل الوطن العربي والإسلامي لإضعافه وتمزيق وحدته ، وكان منها ما يجري الآن في أفغانستان ودول وشعوب الشرق الأقصى ، وكان منها ما يجري بين العراق وإيران . وأخطر من هذا هو تحقيق الدعوة الاستعمارية الكبرى لإزالة الخلاف التاريخي والديني بين اليهود والمسيحيين إلى الأبد بتبرئة اليهود رسمياً من ذنب التدبير أو الإسهام في صلب **المسيح عليه السلام** ، وبصوت من روما ومن **الفاتيكان** بالذات لتكون صكاً خالداً في تاريخ التعاون لحرب الإسلام والمسلمين ، وقد صدر هذا الصك بالذات سنة ١٩٦٥ م وقبيل حرب ١٩٦٧ م بالتمام والكمال والله شهيد على ما فعلوا ويفعلون .

وأمامنا نص لأحد علماء إسرائيل المعاصرين يذكر فيه سائر المسيحيين في جنبات الأرض بأن اليهود قد أعانوهم خلال **الحروب الصليبية** بما أنشؤوا من جمعيات سرية أمثال « **فرسان المعبد** » و « **الصليب الوردي** » وفروع الماسونية الضخمة في **أورشليم** وما حولها وما جاورها من موانئ وثغور وروابط ، وبما ساعدوهم من أسلحة تباشر القتال معهم ، أو تحاول تمدين وتحضّر هذه الشعوب المتخلفة باسم **السلام والمحبة والأخوة والإنسانية** . وهذا وذاك وما حوله ينفذ الآن ، تحت وصاية الاستعمار على الشعوب النامية أو المتخلفة أو الأقل مدنية كما يقول عالم إسرائيل الحصيف ، وتحت حق الرجل الأبيض الأوروبي في خبرات وخيرات أرض الملوّنين !!! .

صيحة إنذار

إن ما نحن فيه يُنذرنا بالدمار والهلاك جميعاً ، فهل آن الأوان لسماع صوت الله ، الذي يدعونا لنصرة أنفسنا وعشيرتنا وقومنا وديننا في قوله عز وجل ﴿ ولينصرن الله مَن ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ صدق الله العظيم .

بيادر الجفاف

شعر : سعد البواردي

بيادرنا دون حَبٍّ
بيادرنا دون حَبٍّ
بيادرنا دون عشبْ
جياع العصافير ترحل
ترحل
على صرعة الريح تسأل
تسأل
وتأخذها غربة السائلين دون جواب
فصمتُ البيادر
ووجه العساكر
وقضم الخناجر
غصة موت تسد الحناجر
تشد .. وتقتل ..

●

بيادرنا ..
ومئات السنين العجاف
تمد يديها .. تخاف
تخاف سياط الجفاف
فتصرخ في أهلها
« الأقوياء !! » .. « الضعاف »
هتافٌ .. هتاف
يموت على شفتيها الهتاف



السلطنات الإسلامية في السودان الغربي



بقلم : د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي

قبل الخوض في تفاصيل هذا الموضوع نريد أن نقرر حقيقة وهي أن المكتبة العربية الإسلامية لا زالت فقيرة كل الفقر بالمراجع العربية عن تاريخ انتشار المد الإسلامي في القارة الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى ، بل إن القارئ العربي لا يكاد يعرف إلا النذر القليل عن تاريخ تلك السلطنات الإسلامية في تلك البقاع ، في حين نجد أن هناك العديد من المؤلفات الأجنبية باللغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية عن تلك المناطق وهذا تصور أردت التنويه إليه في مقدمة هذا المقال لشحذ الهمم وتوجيه جهود الدارسين إلى ميدان الدراسات الإسلامية الإفريقية .

السودان الغربي

لقد كان العرب هم أول من أطلق لفظ **السودان** على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى وسموا بلادهم بلاد السودان ، أما أصل هذه التسمية فقد استوحوا فيه لون البشرة عند سكان تلك المنطقة .

وحدود السودان الغربي ، وغرب إفريقيا يبدأ من بحيرة **تشاد** شرقاً إلى ساحل المحيط الأطلسي غرباً قرب **الرأس الأخضر** ، وتقع هذه المساحة بين خط عرض ١٩ درجة إلى ١٧ درجة شمالا تقريباً ، على أنها لم تشمل من هذه المساحة سوى أراضي **السفانا** التي تلي منطقة الغابات الاستوائية الساحلية وتمتد منطقة السفانا إلى حوالي ٦٠٠ ميل أو ٧٠٠ ميل إلى الشمال حيث يقل المطر إلى نحو ١٥ بوصة أو أقل عندما تبدأ الصحراء . ومساحة غرب إفريقيا نحو مليونين وأربعمائة ألف ميل مربع ، أي حوالي مساحة المملكة المتحدة ٢٥ مرة ونحو مساحة الولايات المتحدة الأميريكية ، وتقدر المسافة بين طرف هذا الإقليم الشرقي والغربي بنحو المسافة ما بين **موسكو ولندن** وتشمل تلك المسافة ما اصطلح عليه الجغرافيون باسم **حزام السفانا أو الحزام السوداني** .

ولقد قامت في تلك المنطقة عدة سلطنات إسلامية كل منها قامت على أنقاض السلطنة السابقة لها . ولكنها كانت جميعاً سلطنات إسلامية سودانية زنجية حكمت تلك المنطقة من منطلق إسلامي ، وسوف نتناول الحديث هنا عن سلطنة **غانا** وسلطنة **مالي** وسلطنة **سنغاي** الإسلاميات أما سلطنات **السودان الأوسط** التي قامت بالمنطقة المحيطة ببحيرة تشاد فسوف نترك الحديث عنها إلى مجال آخر .

سلطنة غانا الإسلامية

كانت تلك السلطنة تشمل في العصور الوسطى **منطقة موريتانيا وشرق السنغال وجزء من مالي وربما أرض غينيا** أيضاً وهي غير غانا الحالية التي تطل على المحيط الأطلسي والتي كانت تسمى قبل استقلالها باسم **ساحل الذهب** ، وقد وصلت السلطنة القديمة إلى هذه الحدود في أوج عزتها وقوتها أما قبل ذلك فيذهب المؤرخون إلى أنها كانت في المنطقة الممتدة شمال **منحنى النيجر الأعلى ومنابع نهر السنغال** .

وقد زودنا الرحالة والمؤرخون العرب بمعلومات هامة عنها ، وتذكر بعض المراجع عن **القزازي الفلكي** أول من ذكر سلطنة غانا وعدة بلدان إفريقية وذلك قبل عام ٨٠٠ ميلادية ، وفي القرن التاسع الميلادي تحدث عنها **اليعقوبي** فقال : ومملكة غانا وملكها أيضاً عظيم الشأن وفي بلاده معادن الذهب والتبر .

وهناك آراء تذكر أن سلطنة غانا نشأت منذ القرن الثامن الميلادي وكانت قبائلها التي تقيم على حافة الصحراء تشتغل بالتجارة والرعي وقد

تأثرت بالزحف الإسلامي الذي اجتاح شمال إفريقيا منذ القرن الأول الهجري . وقد امتد عمرها حتى القرن الثالث عشر الميلادي .

واسم غانا ، هناك تفسيرات متباينة أوردها بعض الرحالة والمؤرخون ففي رأي **الدمشقي** أن غانا اسم لعلم أطلق على بلاد ، غير أن **البكري** ذكر أن غانا لقب أطلق على الملوك وعلى عاصمة ملكهم ، وقد فرضت غانا سلطانها وامتدت سلطتها على الأقاليم المجاورة بفضل تمكن شعبها من استعمال الحديد والسلاح قبل غيره من شعوب إفريقيا الغربية .

انتشار الإسلام

منذ القرن الأول الهجري دخل الإسلام تلك الأنحاء ، ومنذ ذلك الوقت أخذت الأوضاع الاجتماعية والسياسية والعمرانية تتحسن بفضل انتشار الإسلام والحضارة الإسلامية لكن ذلك كان في نطاق محدود . إذ كان **عقبة بن نافع الفهري** يواصل فتوحاته لإفريقيا التي بدأت منذ خلافة عمر بن الخطاب في اتجاه الغرب حتى وصل إلى بلاد **السوس** ثم سار نحو الجنوب في بلاد السودان ودخل بلاد **غانا والتكرور** وأسلم على يديه عدد من أهلها . وذلك لأنه لم يكن هناك ما يمنع عقبة من السير نحو الجنوب صوب بلاد السودان كما منعه البحر عن السير نحو الغرب ، وقد بنى عقبة بن نافع الفهري في بلاد الملثمين مسجداً في مدينة **ماسة** وبناء هذا المسجد يدل على أن ثمة تحول إلى الإسلام ظهر بين الملثمين ، ويبدو أنه عندما قرر العودة ترك من يعلم هؤلاء الناس مبادئ الإسلام ويؤكد ذلك **هنري بارث** بأن عقبة داخل بلاد غانا والتكرور بقوله إن بعض الروايات المحلية تذكر أنه كان بسلطنة غانا جالية إسلامية كبيرة منذ عام ٦٠ هـ ، وأنه قد بنى بها أكثر من اثني عشر مسجداً . وقد وفد إليها التجار المسلمون من شمال إفريقيا واستقروا بها يزاولون نشاطهم التجاري .

وقد كانت ديار السود أكثر امتداداً نحو الشمال وأنه لا بد أن تكون غانا الزنجية قد مدت نفوذها شمالا حتى المغرب الأقصى ، وقد بقيت ذكرى الفاتح عقبة بن نافع تبعث عبر الأجيال ممثلة في ادعاء بعض الشعوب الانتساب إلى عقبة بن نافع وقد لاحظ **بارث** ذلك أثناء رحلته الشهيرة كما ذكر **ميك** أن بعض قبائل **الفولاني** في شمال نيجيريا تدعي مثل هذا النسب ، ومن الظواهر المشتركة في هذه السلطنة السودانية انتساب ملوكهم للعنصر العربي حيث تذكر بعض المصادر أن حاكم غانا ينحدر من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب .

وكانت عاصمة البلاد مدينة **كمبي صالح** وهي تقع على بعد حوالي ٢٠٥ كيلومترات إلى الشمال من مدينة **باماكو** عاصمة مالي الحالية

المرابطون ودورهم في نشر الإسلام

كانت الأسرة الملكية الحاكمة ومعظم أهالي مملكة غانا يدينون بالوثنية وعبادة الأوثان قبل قيام حركة المرابطين في أواخر القرن الخامس الهجري ، بالإضافة إلى أن سلاطين غانا كانوا قد استولوا على سلطنة أودغست الإسلامية منذ فترة طويلة ، ولقد كان الوثنيون قد شعروا بقوة الإسلام الهائلة التي تهدد كيان ديانتهم الوثنية إثر قيام دولة المرابطين الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، بقيادة **عبد الله بن ياسين** ، وقد تضايقوا كثيراً من سرعة انتشار الإسلام ، وبما أن مملكة غانا كان ملكها لم يعلن إسلامه بعد فقد انطلقت جيوش المرابطين لفتحها ، واستطاع القائد **أبو بكر بن عمر اللمتوني** أن يكسر قوة غانا ويستولي عليها عام ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م ، وسيطر على غانا وعلى القبائل الصحراوية ، وبذلك هيأ الله له فرصة تأسيس دولة غانا الإسلامية ، التي تصدت للقضاء على ممالك الزنوج الوثنية ورفعت لواء الإسلام في تلك البلاد ، واعتنقت قبائل **السوننكي** الغانية الإسلام ، وقامت بخدمات جليلة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية . وقد أدى سقوط غانا الوثنية إلى انتصار سياسي كبير للإسلام في السودان الغربي ، حيث أصبح الإسلام قوياً في غانا وصار السلاطين مسلمين ، يحكمون بالإسلام ويقيمون شعائر الإسلام بين الرعية .

وقد كتب **الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»** عن سلطان غانا ، يقول : كان من أعدل الناس فيما يحكى عنه ، ومن سيرته أن له جملة قواد يركبون إلى قصره في كل صباح ، فإذا اجتمع إليه قواده ركب وسار يمشي في أزقة المدينة وسائر البلدة ، فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر تصدى له فلا يزلها حاضراً بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره ، وهو يفعل ذلك مرتين ، المرة الأولى قبل الظهيرة ، والمرة الثانية بعد الظهيرة ، أما القواد فيسيرون إلى أعمالهم بالقصر الملكي في الصباح .

ومن مظاهر انتشار الإسلام بين الرعية ظهور طبقة من العلماء والفقهاء ورجال الدين ورجال الدعوة الإسلامية ، وكان سلطان غانا يدين بالولاء للخليفة العباسي ببغداد ، رغم أن الخطبة كانت باسم ملك غانا إلا أنه كان يدعو للخليفة من فوق المنابر . ويذكر الإدريسي أن ملكها من ذرية **صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب** كان تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي ، وله قصر على ضفة النيل . وهذه الرواية ربما ألقت الضوء على عمق الصلة بين السلطنات الإسلامية والخلافة العباسية الإسلامية .

وقد قامت عدة علاقات مع تلك السلطنة ، ومع بلاد المغرب العربي جميعها ، ومع مصر ، وبلاد الشرق الإسلامي ، لا سيما بلا

الحجاز ، التي كانت تقصدها قوافل الحج من بلاد غانا لتأدية فريضة الحج كل عام ، كذلك فقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية ، وبرزت المظاهر الحضارية الإسلامية بصورة واسعة ، وعلى نطاق واسع في جميع المجالات .

وقد استمرت تلك السلطنة تمارس دورها السياسي والحضاري في تلك المنطقة إلى أن أخذت تتدهور بعد أن تولى سلاطين ضعفاء ، وإلى أن تمكن أحد سلاطين دولة مالي ـ السلطنة الصغيرة الناشئة في بلاد السودان الغربي ـ من أن يستولي عليها وكان ذلك السلطان هو **سندانا كيتا** ، الذي استطاع أن يستولي على العاصمة في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي .

سلطنة مالي الإسلامية

لقد بدأت عظمة غانا وسيطرتها على الأقاليم المجاورة تقل شيئاً فشيئاً حتى سقطت العاصمة كمبي صالح في أيدي حكام مالي المجاورة **عام ١٢٤٠ م** ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مملكة مالي هي المسيطرة في المنطقة ، وأصبحت غانا مجرد اسم . **وقد بدأ اسم مالي يظهر منذ أوائل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، في عهد السلطان عثمان غورة .**

ومن المعروف أن هذه السلطنة كوّنها شعب **الماندنجو ، وكانت تشمل جمهورية مالي الحالية ، وعلى السنغال الشرقي ، وشمال غينيا ، وشمال كل من فولتا العليا وداهومي ، والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا** . . وهذا ما جعل بعض المؤرخين العرب يقدرون طولها بمسيرة أربعة أشهر من الشرق للغرب ، وعرضها بثلاثة أشهر من الشمال إلى الجنوب ، وقد كانت مالي في فترة ازدهارها من أكبر السلطنات اتساعاً في إفريقيا الغربية ، وقد كان شعب الماندنجو من أوائل الشعوب التي اعتنقت الإسلام في غرب إفريقيا وكان في البداية يخضع لحكم سلطنة غانا .

كان لسلطنة مالي دور بارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد غربي إفريقيا ، وقد قال عنهم **العمري** : مالي أعظم ممالك السودان وملكها أعظم ملوك السودان المسلمين وأحسنهم حالا وأقهرهم للأعداء . وقد سادت هذه السلطنة لبضعة قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة من **نهر النيجر والمحيط الأطلسي** .

نشأت هذه الدولة في تربة إسلامية خالصة ، ومن ثم أرادت أن تشارك بنصيب في الحياة الإسلامية ، وأن تؤسس لها مُلكاً إسلامياً خالصاً ، ومن ثم نبعت حركة الجهاد الإسلامي ، بعد أن استطاع ملكها أن يقهر **مملكة الصومو القوية** ، وأن يقضي على ما تبقى من سلطان ملك غانا القديم ، فانفتح المجال أمام هذه الدولة المتطلعة إلى النفوذ والقوة والتقدم ، بعد تغلبها على غانا من ناحية ، والصومو من ناحية أخرى . وقد اشتهرت دولة مالي باسم **بلاد التكرور** ، واشتهر ملكها باسم **ملك التكرور** ، أو سلطان التكرور ، وقد برزت هذه السلطنة على نطاق واسع . ومن مظاهر بروزها في سماء الحياة السياسية وتطورها اتخاذها حاضرة جديدة ، تم الكشف عنها عند التقاء نهر النيجر بفرعه سانكراني .

الإسلام .. في مالي

قد تولى هذه السلطنة عدة سلاطين ، قام كل منهم بدوره في ازدهار البلاد وتقدمها وتوسعها ، إلا أن العصر الذهبي يبدأ من تولي السلطان **سند بانا أو ماري جاطة** ، إذ يعتبر هذا هو المؤسس الحقيقي لدولة مالي (١٢٣٠ ـ ١٢٥٥) ، ويعني هذا الاسم **الأمير الأسد** ، وإن كان قد قيل إن ماري تعني محمد . وقد فتح ماري جاطة العديد من الأقاليم ، ومنها **مدينة جني** على النيجر ، والمشهورة بكثرة علمائها المسلمين ، كما أنه نقل في عام ١٢٤٠ ، العاصمة **جنوباً** إلى مدينة **ثياني** ، التي تقع قرب نهر النيجر ، فبفرعه سانكراني . وسرعان ما احتلت مالي مكانة غانا كأعظم دولة حكمت في السودان الغربي ، وبدأ التجّار من شمال إفريقيا يتجهون إليها بكثرة ويستقرون في عاصمتها ، وتقدر مساحة دولة ماري جاطة بما يزيد عن مساحة أوروبا كلها تقريباً ، وإليه يرجع الفضل في تحويل دولة الماندنجو الصغيرة إلى إمبراطورية مالي العظيمة ، وقد توافد عليها رأس المال الأجنبي ، وخاصة من **مصر** ، **وبلاد المغرب** ، **وقد وصلت حدود السلطنة إلى مشارق بحيرة تشاد شرقاً ، وإلى المحيط الأطلسي غرباً** .

لقد كانت سلطنة مالي أعظم سلطنة في السودان الغربي ، حيث قامت بدور فعال ومؤثر في نشر الإسلام ، ولقد لُقب ملكهم **بالمسلماني** ، وتحولت البلاد باستمرار العصور إلى بلاد إسلامية خالصة ، بعد أن استولى أهل مالي على ما ورائهم ، ودخلوا في دين الإسلام ، وحج كثير من ملوكهم ، وأول سلطان حج منهم هو السلطان **برمندار** ، وقد اقتفى سُنَّته في الحج من جاء بعده من الملوك .

ولا يعنينا من سيرة هذه السلطنة إلا أن نبيّن كيف استطاعت أن تحقق من المظاهر الإسلامية ما لم تستطع أن تحققه أية دولة أخرى في السودان الغربي ، ولقد كان أول هذه المظاهر اتصالها بالقوى الإسلامية المختلفة وإظهارها بالروح والإخوة الإسلامية ، وقد ظهر هذا الاتجاه في قيام هؤلاء السلاطين بالحج إلى مكة المكرمة ، وزيارة مصر في طريق العودة ، ومن مظاهر تمسك سلطنة مالي بالإسلام شدة الحرص على تعليم القرآن الكريم للصبية ، وقد شهد ابن بطوطة ذلك أثناء رحلته إلى مالي عام (١٣٥٢ ـ ١٣٥٣ م) ، فقد انتشرت المساجد في جميع أنحاء البلاد ، وبُني فيها العديد من المساجد ذات المنارات العالية والمرتفعة ، وقدم إليها الفقهاء من شتى البلاد الإسلامية والذين كانوا على مذهب الإمام مالك .

كذلك بلغت مالي ذروة قوتها وازدهارها في عهد السلطان **منسا موسى** (٧٠٧ ـ ٧٣٣ هـ) ، (١٣٠٧ ـ ١٣٣٢ م) ، وتمتع العلماء

المسلمون بمكانة سامية في دولة مالي ، ولم تكتف دولة مالي باعتناق الإسلام والحرص على مظاهره وعلوه ، إنما أخذت تدعو له بين الوثنيين ، ويُعَدُّ الدور الذي قامت به في نشر الإسلام من أهم مراحل انتشار الإسلام في إفريقيا ، جنوب الصحراء ، إذ اقترنت جميع فتوحاتها الحربية بالدعوة الإسلامية ، وفي ذلك يقول **العمري** في مخطوطه **مسالك الأبصار** : وملك مالي في جهاد دائم وغزو ملازم ، واشتهر بالدعوة الإسلامية من الماندنجو فرعان من فروعهم هما : **الربولا والسونتك** ، حتى أن كلمة (سونتك) صارت مرادفة لكلمة (الداعية) ، وإلى دولة مالي وشعوب الماندنجو يرجع الفضل في نشر الإسلام في بلاد **الهوسا** .

وكان العلماء والدعاة المسلمون القادمون من مالي إلى بلاد الهوسا يحضرون معهم الكتب الإسلامية في الدين والفقه واللغة والتفسير والحديث ، وليس من شك في أن وجود ٤٢٠٠ عالم في القرن الثاني عشر الميلادي ، في مدينة **جنـي** ، التي يحكمها ملك الماندنجو يدل دلالة واضحة على نشاط الدعوة الإسلامية في بلاد مالي وغيرها ، وهذا يلقي الضوء على ازدهار الدعوة الإسلامية ، ومدى التسامح والترحيب اللذين ظفر بهما دعاة الإسلام في تلك البلاد . وذلك بعد أن رفع **منسا موسى راية الإسلام في بلاد السودان ، وطبق تعاليمه في شؤون الحياة ، وأمر ببناء المساجد والمدارس ، وعيّن القضاة وأوجب إجراء الأحكام وفق الشريعة الإسلامية ، وجعل عيد الفطر عيداً رسمياً للدولة ، ثم بعث الدعاة إلى الآفاق البعيدة لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية . ومنذ ذلك الحين أصبح على الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا أن تأخذ الطابع الإسلامي الكامل لبناء دولتها ، والسير على نهج الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي .**

لقد تابع السلطان **موسى** خط سلفه العظيم في توسيع رقعة بلاده فاستولى على ما بقي من إمبراطورية غانا في مطلع حكمه ، كما استولى على **إقليم زاغا** ، وهو تكرور الغربية ، كما استولى على سلطنة **سنغاي** ، الصغيرة الناشئة .

وخلاصة القول إن دولة مالي بلغت في عهد منسا موسى ذروة مجدها وقوتها واتساعها ، ووصلت إلى أقصى ما وصلت إليه من اتساع حدودها من **بلاد التكرور غرباً ، عند شاطئ المحيط الأطلسي ، إلى منطقة دندي ومناجم النحاس في تكادا مركز القوافل شرقي النيجر ، ومن مناجم الملح في نفازة في الصحراء شمالا ، إلى فوتاجالون ومناجم الذهب في ونقارة جنوب بغرب ، حتى الحدود الجنوبية ومنطقة الغابات الاستوائية .**

مالي والعالم الإسلامي

وقد قامت علاقات سياسية واقتصادية وثقافية بين مالي وبلاد العالم الإسلامي ، لا سيا مصر ودول الشمال الإفريقي ، حيث درس طلابها في **جامعات الأزهر والقيروان وفاس** ، وتبادلت السفارات الدبلوماسية والرسائل الرسمية بين الملوك والأمراء ، وتوطدت العلاقات وازدهرت ، وقدم العلماء والطلاب من البلاد العربية للتدريس في جامعات **تمبكتو ، ونياني** ، كذلك سافر التجّار إلى تلك الأنحاء لتبادل المنفعة العامة بين البلاد الإسلامية ، كذلك طبعت البلاد بطابع عربي إسلامي ، وظهرت كثير من المظاهر الحضارية الإسلامية ، كتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية وظهور الخط العربي المغربي ، وانتشار الثقافة العربية والحضارة الإسلامية .

واستمرت مالي في الازدهار والتقدم إلى أن جاء بعد منسا موسى سلاطين ضعفاء لم يحافظوا على مكانة بلادهم ، ومن هنا بدأت بوادر الانهيار والضعف تدب في أوصال السلطنة ، وكان على الجانب الآخر في حوض النيجر الأوسط دويلة صغيرة ناشئة ، هي دويلة **سنغاي** ، التي أخذت تقوى حتى حازت السلطنة الأم في بلاد السودان الغربي ، ومن ثم بدأت سلطنة مالي تنكمش داخل حدودها القديمة الصغيرة مفضلة الاستمرار في ظل السيادة السنغائية ، بدلا من الانهيار النهائي ، كما حدث لغانا . وهكذا ظهرت على مسرح الأحداث السياسية في بلاد السودان الغربي سلطنة سنغاي الإسلامية .

سلطنة سنغاي

تأسست سلطنة سنغاي في **القرن السابع الميلادي** ، وظلت تقوى باستمرار وتتوسع في القرن السادس عشر الميلادي ، حيث دخلت في طور الضعف نتيجة لانهماك ملوكها في الصراع العائلي . وقد قامت تلك السلطنة في ناحية بلاد **الداهومي ، وشملت فولتا العليا وبعض بلاد شمال نيجيريا والنيجر . وفي منطقة شبه النيجر** ، حيث يتجه النيجر شمالا ، بالقرب من الصحراء قام شعب سنغاي مؤسس تلك السلطنة بدور فعال في توسعها واتساعها ، بعد أن ضم العديد من الأراضي المجاورة لها ، والشعوب والقبائل الأخرى ، ومن ثم بدأت تمارس دورها كدويلة صغرى خضعت لسلطنة مالي ، ثم بدأت تمارس نفوذها السياسي بعد ذلك .

تولى عرش سلطنة سنغاي ثلاث أسر متتالية ، هي **أسرة ضياء ، وأسرة سني ، وأسرة الأساكي ، وكان دخول الإسلام إلى تلك الأنحاء منذ القرن الأول الهجري ، لكن كان ملوك ضياء هم**

أول من اعتنق الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي ، وعلى وجه التحديد عام ١٠٠٩ م ، ومن هنا قد بدأت البلاد تأخذ طابعاً جديداً ومظهراً إسلامياً مغايراً للمظهر الوثني الذي كان يسود البلاد ، ومن ثم بدأت دعائم الإسلام تتدعم وتتوطد ، وهكذا بدأ الانتشار السريع لدين الله الخالد ، والذي ساعد على ذلك أن البلاد قد ضمت إليها العديد من المراكز الإسلامية المزدهرة حضارياً مثل **تمبكتو وجني** ، التي كانت أكبر معاقل العلم في غرب إفريقيا .

وقد عملت أسرة سني على توسيع نفوذ البلاد بعد أن تولى سلاطينها الحكم في البلاد ، ومن ثم قاموا بالاستيلاء على العديد من الأقاليم المجاورة ، لا سيما في عهد سني علي ، الذي توفي عام ١٤٩٢ هـ .

وبعد وفاة سني علي قامت أسرة الأساكي ، الذي يعتبر **محمد الأسكيا الكبير** المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي والذي تولى الحكم عام (١٤٩٣ ـ ١٥٢٨ م) .

الطابع العام

ولقد طبعت البلاد بطابع إسلامي قوي ، وذلك منذ عهد أسرة الأساكي وظهرت البلاد في صورة إسلامية رائعة وقامت جامعة **سانكري** في تمبكتو بدور إسلامي كبير في منطقة السودان الغربي والأوسط ، بل السودان الشرقي (سودان وادي النيل) ، **وتبادلت الخبرات العلمية والعلماء مع جامعات العالم المعاصر لها ، كالقاهرة وأزهرها الشريف ، وجامعة القرويين في فاس ، وجامعة الزيتونة في القيروان ، ومع طرابلس ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ومع دمشق ، وغيرها من الحواضر الإسلامية .**

علاقات سنغاي

لقد ارتبطت سنغاي بعلاقات قوية مع بلدان العالم الإسلامي في عهد أسرة الأساكي ، بدءً من **الأسكيا محمد الكبير ، والأسكيا داود بن محمد ، والأسكيا إسحاق الثاني بن داود** ، وقامت علاقات ودية مع تلك البلاد وتبادلت معها المنفعة ، ورحل علماء المسلمين أمثال الشيخ **جلال الدين السيوطي** من مصر ، والشيخ **عبد الكريم المقبلي** من المغرب ، وغيرهما من العلماء ، وذلك للتدريس في جامعة سانكري التي اشتهرت في بلاد السودان الغربي في تلك الفترة وقامت بدور فعّال في نشر الإسلام وتخريج العلماء ورجال الدين والفقهاء ، الذين عملوا على القيام بدورهم الإسلامي في سلطنة سنغاي .

ولقد وسّع سلاطين سنغاي حدود بلادهم ، حتى أصبحت أكبر مما كانت عليه سلطنة مالي ، **فقد وصلت من المحيط الأطلسي غرباً إلى قرب بحيرة تشاد شرقاً ، وضمت إليها بقايا سلطنة مالي وبلاد التكرور وإمارات الهوسا وإمارة كيسي ، ودخلت إلى حدود سلطنة البرنو الإسلامية ، ووصلت شمالا حتى أغادير وولاته ،** وذلك بالقرب من الصحراء الكبرى تأميناً لحركة القوافل التجارية ودعماً لاقتصاد البلاد والسيطرة على طرق القوافل المنتشرة في الصحراء الكبرى والمؤدية إلى تمبكتو وجني وجاو .

نهاية السلطنة

لقد استمرت سلطنة سنغاي تمارس دورها الإسلامي والقيادي في منطقة السودان الغربي ، وتعمل جاهدة في سبيل تدعيم النفوذ الإسلامي في المناطق الجنوبية ، حيث يسكن الوثنيون ، وتبادل الخبرات والمنفعة مع بلاد العالم الإسلامي ، وظلت على تلك السياسة طوال عصر الأساكي حتى بدأ النزاع والصراع يدب بين سلاطين سنغاي من الأساكي وخلفاء **الدولة السعدية** في المغرب الأقصى ، حتى كان عصر المولى **أحمد المنصور الذهبي** ، الذي اشتد الصراع في أيامه مع الأسكيا **إسحاق الثاني بن أسكيا داود** بشأن ملاحات تفازة ، وبشأن لقب الخليفة ، الذي كان يحمله سلاطين سنغاي ، وبشأن رغبة الخليفة المنصور السعدي في إقامة دولة إسلامية واسعة على غرار دولة المرابطين ، ومحاربة النفوذ البرتغالي الذي بدأ يظهر على سواحل إفريقيا الغربية ، والذي كان سبق الوصول إلى قلب القارة الإفريقية حيث مصادر الذهب ، ومن هنا جاءت الحملة المغربية عام ١٥٩١ م ، بقيادة **جودر بات** قائد الخليفة المغربي لتضع نهاية لسلطنة سنغاي بعد أن استطاع جودر الاستيلاء على **تمبكتو وجاو وجني** ، وبذلك أسدل الستار على سلطنة سنغاي الإسلامية بعد أن كانت هي السلطنة الأم في السودان الغربي .

هذا عرض موجز ومختصر للسلطنات الإسلامية الثلاث الكبرى التي ظهرت في بلاد السودان الغربي خلال العصور الوسطى والتي أصبحت منطقة **غرب إفريقيا حالياً** ، تضم أكثر من خمس عشرة دولة بعد أن كانت طوال العصر الإسلامي دولة واحدة ، وهكذا عمل الاستعمار على تمزيق وحدة الشعوب الإفريقية ، بحيث صارت القارة الإفريقية تضم حالياً أكثر من ست وأربعين دولة .

وقد أردت بهذا العرض السريع أن أضع صورة لتلك السلطنات الإسلامية ، وما هو الدور الذي لعبته تلك الدول في نشر الإسلام وحضارته الإسلامية الزاهرة ، وكيف قامت في تلك الأنحاء حضارة لم تصل إليها حضارة أوروبا في ذلك الوقت ، وكيف كانت جامعة سانكري تمارس دورها الفعلي قبل أن يسمع العالم عن جامعات أكسفورد وكمبردج وباريس ولندن ، وغيرها من الجامعات الأوروبية .

إن تاريخ الإسلام جنوب الصحراء الكبرى في القارة الإفريقية وحركة المد الإسلامي في تلك الأرجاء في أمس الحاجة إلى دراسات علمية متخصصة ، يقوم بها أبناء المسلمين والعرب والأفارقة لدراسة تلك المنطقة وأثر الإسلام بها ، وذلك من وجهة نظر علمية وليس من وجهة نظر غربية منحازة .

في ليل الوحدة .. وارتقاب الفجر

شعر: عمر بهاء الدين الأميري

أوقـدت مـدْفأتي وغُصْتُ بمقعـدي، والليلُ ســاجْ
وسَرَحْت بالطرْفِ الكليلِ أحـل عــن بصري الرّتاجْ
وأغيبُ .. ثم أغيبُ .. أجتـاز الحـديقة والسّياج
تسـهو بنَظرَتي الرُؤى في الأفقِ، مــن خلَف الزُجاج
غرَسَت مــرايا الليــل في الجَنبَات منهُ وفي الفجاج
صُوراً وأخيْلة لأضــواءٍ تَلبّسها عَجَاج
وشرَدْت مِنْ طوْق المكان .. مِنَ الـزّمان بـلا انتهـاج
وحدي، وقــد أطفــأت مصـباحي فـدفأتي سراج
وأخــذت أحيــا غُربتي .. أنــا والخــواطر في تَناج
وأكاد أسمعُ خفَق قلبي، بــالهموم لهُ اختــلاج
والصّمت يغمُر وحْدَتي إلا إذا مــا البَحْر هَاج
فـأموج في أهَبي كأنّي بعض مَوج فيـه مــاج
وبحلقي الصّادي، لــريقي المُرِّ بالدّمْع امــتزاج
مــا حيلــتي في أمَّة لا يستقيمُ لهــا اعــوجاج ؟ !
والعصـــبة الأخيــارُ منهــا في متَاهات الحجــاج ؟ !
كف اللهيبُ، وشـدْق مـدْفأتي لوَهْج الجَمر لاج
وغـريفتي خرَساء خـاوية وفيهــا الجوُّ داج
في جوْفها برْد الشتَاء وفي نــوافِذها ارتجــاج
ضاقت وضقت بها وأعيــاني مــن الهـم اللجــاج
فجمعــت أطـرافي إلى صدري وفي صدري اعتــلاج
وشددْتُها متحفـزاً ونهضـت ألتَمسُ العــلاج
وذكرت ربّي، واستَعَنتُ مُسَلِّماً تســليم راج
وذكـرْت «كوثـرَهُ» الفـُرات ومــاءَنا المِلحَ الأجــاج
وذكـرْت جنَّتـهُ، كأن بمسـعي منْها ثُؤاج
وذكـرْت رَحمَتَـهُ ... فغــاض الضيـق وانشرح المزاج
واشتدَّ حُسْنُ الـظن في حدْسي بخــلاقي ورَاج
برَق اليقينُ بفِقه قلبي : أنّني لا شـك نــاج
وصـحا على شـفتي الـدُّعاءُ، فصـحت حيَّ على انفـراج
ها قد مضى الليــل المديدُ فــلا مَنَاصَ مــن انبــلاج
وشعـرْت في أغـوار كُنْهي بـارتياح وابتهــاج



هــوامــش

- ساج : ساكن .
- أهبي : الأهاب : الجلد وجمعه أهب .
- لاج : لاج الشيء لاكه : اداره في فمه .
- كوثره : الكوثر نهر في الجنة .
- الفرات : الماء الشديد العذوبة .
- الأجاج : الماء المالح المر .
- الثؤاج : في الأصل صياح الغنم .

لقاء

د. مصطفى سويف

أجراه: محمد متولي



معوقات العبقرية العربية

● الدكتور مصطفى سويف، باحث عربي لا تبهره معطيات الغرب الفكرية بل بالعكس ينظر إليها نظرة نقدية واعية.. وهو عالم تمرس بالبحث النظري والتطبيق معاً.. وله العديد من الأبحاث العلمية القيِّمة في مجال علم النفس.. مثل (الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي).. (الأسس النفسية للإبداع الفني) (العبقرية في الفن).. (إدمان المخدرات).. هذا إلى جانب نشاطاته العلمية على المستوى المحلي والعالمي.

والحوار معه يحتاج لأكثر من لقاء للتعرف على جوانب إبداعاته العلمية العديدة.. وعلى جوانب شخصيته باحثاً آمن بدوره الفعال في مجتمعه والتزم في أبحاثه بالموضوعية والجدية، وبأن كل شيء ليس بالسهولة التي يتصورها البعض.. فكل قضية في ذهنه هي أعقد مما نتصور، ولا بد من إخضاعها للمنهج العلمي الدقيق.



د. مصطفى سويف

أهمية منهج البحث العلمي

●● قلتم إن الشرط الجوهري لقيام أية دراسة علمية أن يعرف الباحث كيف يخضع الموضوع الذي يدرسه أو الظاهرة التي تثير اهتمامه لمنهج البحث العلمي.. فهل امتلاك الباحث للمنهج من الشروط الكافية لنجاحه في مهمته وما دور المعايشة والخبرة في مجال البحث..؟

● ما قلته في مواضع متعددة يفترض أساساً أن الباحث لديه مقومات حقيقية مثل انصرافه للدراسة واهتمامه بموضوع البحث واستعداده لأن يقدم المجهودات المختلفة في مجال البحث.. ومنها ما يمكن أن نسميه إيمانه بقيمة الكشف عن الحقيقة والبحث عنها.. بعد ذلك يمارس تطبيق المنهج وأدواته.. فإذا لم تتوافر هذه الشروط الأولية والأساسية جدًا فلا قيمة لمسألة امتلاك الشخص لمنهج معيَّن وأدوات معيَّنة.. لأنه من الممكن أن أتصوَّر أشخاصاً يعرفون المنهج لكنهم يضنون بمجهودهم ويتجهون إلى مشاغل ليس لها علاقة بالعلم.

وعليه فامتلاك أدوات البحث والمنهج والتمكن منه هو شرط ضروري لكنه ليس كافياً.. **من ناحية أخرى، فالشخص الذي درس المنهج وأدواته ينقصه بعد ذلك المران على اختيار المشكلة التي تناسب هذا المنهج والمطابقة بين المنهج والمشكلة كذلك بالنسبة للأدوات..** ثم

تنقصه معايشة الظاهرة لفترة لكي يكتشف من جوانبها ما يشير إلى أن الظاهرة أغنى وأثرى بكثير من أن يحيط بها تماماً منهجه وأدواته .. وبالتالي هو يقوم بهذا المنهج وتطبيقه وهو متواضع تواضع العلماء .. وهو عارف لحدوده وحدود أدواته التي لن يستطيع أن يتعداها .. لكنه بواسطتها يمكن أن يسهم بقدر ما محدود .. نعم .. لكنه قدر مطلوب في الكشف عن جوانب معينة وليس عن جميع جوانب الظاهرة .. والمعايشة تفيد في هذا وتكون ما يمكن أن يسمى بمحصول الخبرة عند هذا الباحث .

العرب .. ومعطيات الغرب

●● لدينا في منطقتنا العربية من يملكون الخبرة ومن يعرفون مناهج البحث العلمي .. لكننا للأسف ما زلنا نستورد المصطلحات والأساليب والابتكارات فهل المناخ العربي لا يساعد على تحقيق الاكتفاء الذاتي ـ على الأقل ـ في مجال البحث والابتكار ..؟

● إذا قصدنا بالمناخ العربي اللحظي الراهن لا أستطيع أن أقول إنه لا يساعد أو مانع للعمل الجاد ، لا ، إنما كل ما أستطيع قوله من واقع خبرتي .. إن العوامل المانعة كثيرة وثقيلة بينما العوامل الدافعة لا تزال قليلة وضعيفة .. بالتالي ما نرجوه في المستقبل أن نزيد من تقوية عوامل الدفع .. ولا أستطيع أن أنكر أن كثيراً من مثقفينا تبهرهم إنتاجات الغرب أكثر مما يجب .. نعم هي إنتاجات قيمة جدًا في تاريخ الإنسانية عندما ننظر إليها على محك تاريخ التقدم الفكري والحضاري .. فكثيراً من الإنتاجات التي ترد إلينا في صورة نظريات وأفكار وأساليب ومخترعات حقيقية هي إنتاجات عظيمة ولكن الانبهار بها خطر جدًا .. **لذلك يجب الالتفات إلى أي مدى يمكن أن تناسب هذه الإنتاجات ظروف الظاهرة التي ندرسها في سياقنا الحضاري .. أيضاً أطالب بأن نعرف كيف نستقبل مثل هذه الإنتاجات الاستقبال الصحي بحيث نستطيع في نفس الوقت أن نرى أين قصورها في أن تتناول ما لدينا وبالتالي أين ينبغي أن يكون إسهامنا وكيف؟** .. ثم إن هذا الذي يأتينا يحتاج إلى تطويع بحيث لا نأخذه على علاته .. علينا أن نقوي النظرة النقدية بشرط أن تظل في حدودها الصحية وألا تصل إلى التعالي الأجوف فنرفض إنجازات الغير ممن سبقونا في اكتشاف قدر من المجهول والاجتهاد في علم من العلوم أو اختراع من الاختراعات العلمية .. هذا النوع من التوازن مسألة صعبة جدًا .. ولكنه الصعب المطلوب الآن .

هناك مجال كبير جدًا أمام الباحثين في ميادين علم النفس والاجتماع في مجتمعاتنا العربية والنامية بوجه عام .. ولا يستطيع العالم الغربي أو الباحث الغربي أن يسهم فيه ، ولا بد من اجتهاد وجهود العلماء الوطنيين والباحثين في مجتمعاتنا العربية ..

وما ينقصنا هنا هو الجدية وأخذ الحياة مأخذ الجد .. أيضاً ينقصنا أخذ العمل (الفكري واليدوي) مأخذ الجد .

الجدية .. في العمل

●● من واقع خبرتكم إلى أي شيء يرجع هذا القصور في الجدية لدينا ؟

● يرجع إلى عدد من العوامل .. هناك مناخ عام مهدد لقيم الجدية في العمل كنشاط إنساني مسؤول ينتهي إلى إنجاز تصبح مسؤولا عنه مسؤولية اجتماعية .. **وهذا هو الفرق الرئيسي في نظري بين العمل واللعب وكلاهما نشاط إنساني ، لكن أحدهما مسؤول ومنظم ومتجه إلى هدف لا بد من إنجازه .. وهذا الهدف أنت تثاب أو تعاقب عليه اجتماعياً .. فأنت تتحمل مسؤولية اجتماعية** ... والعمل بهذا التعريف ترتبط به مجموعة من القيم ، منها **القدرة على التنظيم .. احترام الوعد للغير .. احترام الزمن .. والإحساس بقيمة الوقت .**

الإنسان .. هنا وهناك

●● هل تكوين الإنسان الذي يعيش في المجتمعات النامية عامة والعربية خاصة يختلف عن الإنسان الذي يعيش في المجتمعات الغربية المتقدمة .. من الناحية النفسية والاجتماعية ؟

● **إطلاقاً** إنما ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي التي تخضعه ، فنجد الفرد في المجتمعات النامية أو العربية مثلاً غير مطمئن على غده .. ولا يتمكن أن يخطط للمدى البعيد ويطمئن في نفس الوقت أنه سيتمكن من السير بخطىً منتظمة نحو تحقيق هذه الخطة .. من ناحية أخرى نجد الفرد إذا اجتهد لا يجد الأدوات المعينة والمساعدة كما يجد في

◄◄ لايمكن أن يتم لدينا أي إنجاز كبير بدون توافر الوعي الجماعي بين المتخصصين.

المجتمعات المتقدمة.. فأنت لا تستطيع أن تعمل عملاً جادًا دون أن يكون حولك عشرات من العناصر التي تكون ما يلزم لإنجاز هذا العمل بداية من مساعدين فنيين وأدوات معملية وتجهيزات.. ووجود زملاء يعرفون في التخصصات القريبة من تخصصك والتي تحتاج للاستعانة بها من وقت إلى آخر لتجد لديهم الحلول التي تساعدك مباشرة على مواصلة خط سيرك في البحوث التي تقوم بها.

من هنا أستطيع أن أقول إنه لا يمكن أن يتم لدينا أي إنجاز كبير بدون توافر الوعي الجماعي بين المتخصصين بحاجتهم للتعاون المتبادل.. أضف إلى ذلك لا بد من وجود مناخ عام من الاهتمام.. فعندما ينجز فرد إنجازاً ما يجد أصداء لإنجازاته كعائد أو مردود معنوي ومادي.. وأعتقد أن الظروف التي تعيشها الدول النامية عامة ومنها الدول العربية.. تفرض مناخاً معاكساً إلى حد كبير.

الخطوة الأولى

●● طالما أن الإنسان هو الإنسان في كل مكان.. لكن الظروف التي يعيش فيها هي التي تختلف.. فن واقع خبرتكم العلمية ما العوائق التي تحول دون تقدم العبقرية العربية لحل مشكلاتها ولتحقيق ذاتها.. ومن أين تكون البداية..؟

● **إن مفتاح العبقرية عموماً هو إدراك المشكلات.. لكن هذه الخطوة الأولى وهي عملية الإدراك في ذاتها عملية معقدة جدًا.. فنحن جميعاً ندرك مشكلاتنا المتعددة لكن كل منا يدرك بطريقة معيَّنة تملي بعد ذلك ما الذي سيفعله..** ربما يتقدم ويتصدَّى لإيجاد حلول لها.. ربما تثير لديه الحسرة على أنه يعيش في هذا الزمن.. أو ربما تثير لديه تداعيات تمس المشكلة.. إذن كيفية الإدراك ونمطه يختلف من شخص إلى آخر.. **ومن هنا نبدأ.. كيف؟** .. بأن نبتكر صيغة تدخل في عمليات التعلم عندنا لتدرب النشء على أن يدركوا المشكلات الإدراك الخصب الذي يدفع إلى عمل جاد في اتجاه الفهم والحل والتعميم من المشكلة الجزئية لفهم المشكلات الكبرى والربط.. إلخ. هذه هي الخطوة الأولى التي تليها خطوات الأصالة والطلاقة والمرونة والتقويم.

ماهية الأصالة

●● ذكرتم كلمة أو اصطلاح (الأصالة) الذي شاع استخدامه في العديد من المجالات.. ما المفهوم الدقيق لهذه الكلمة وهل تعني الجديد بالضرورة؟

● استخدام نفس المصطلح في عدد من المجالات يثري من ناحية لكن من ناحية أخرى يغمض.. وذلك في حدود الاستخدامات الفنية والأدبية والعلمية.

المقصود بالأصالة هو اتجاه الشخص إلى وضع حلول غير مسبوقة، وغير مسبوقة هنا له أيضاً معنى محدد، هذا المصطلح نقصد به أنه هو شخصياً (الباحث) لم يطلع على مثل هذا الحل. وهذا حدث في تاريخ كبار العلماء.

وبالنسبة لسؤالك هل الأصالة هي الجديد؟ أقول نعم هي الجديد بالضرورة، فالأصالة حل غير مسبوق بالنسبة للباحث أو المبتكر ويدعم هذا أكثر إذا لم يكن الحل موجوداً في التراث.. فالأصالة هي الجديد.

التهيؤ النفسي

●● جاء في كتابكم (دراسات نفسية في الفن) قولكم.. «يجب أن يدرك الناقد أن لحظات التهيؤ النفسي تحدد نوع استقباله للعمل الذي يتصدَّى لتقويمه» فهل من توضيح لهذا الكلام خاصة ونحن نعيش في أزمة نقد حقيقية تلقي بظلالها على الحركة الفكرية والثقافية العربية..؟

● **أولا** يجب على من يتصدَّى للتعليق أو لنقد عمل جاد (**أدبي.. فني.. علمي**) لا بد أن يضع هذا الشخص نفسه في حالة التهيؤ الصادق والمناسب لهذا العمل كي يستطيع القيام بمهمته بالأمانة الواجبة والجدية المكافئة للعمل ذاته.

وعملية التهيؤ تحتاج أن يكون الإنسان في إيقاع نفسي معيَّن عند قراءة العمل وأن يصبر على نفسه.. وأن يتخذ من العمل وسيلة للدخول إليه وذلك بأن يقرأه مرات حتى يجد نفسه وقد دخل في إيقاع العمل فيقرأه القراءة المناسبة.. وأنا شخصياً ومن واقع تجربتي يندر أن أصل إلى كل ما في المقال الذي أهتم به.. فأقرأ العمل مرات، فالقراءة الأولى عادة ما تكون لاكتشاف المعالم العامة.. فالإدراك يبدأ

لقاء

إدراكاً إجمالياً ثم ينتقل إلى التفاصيل ليرتد بعد ذلك إلى إدراك الكل إدراكاً واضحاً وثريًّا .

التهيؤ النقدي

●● وما العوامل التي تساعد على التهيؤ لدى الناقد عموماً ؟

● من هذه العوامل أن يكون الذي يتصدّى لعملية النقد على صلة مستمرة لا تنقطع بهذا الطراز من التراث **(نوع العمل)** الذي يتصدّى لنقده .. **علم ـ علم ، موسيقى ـ موسيقى ، قصة ـ قصة ، صحافة ـ صحافة ،..** وهكذا بحيث يكون هو نفسه يعيش إيقاعات وأفكاراً ومفاهيم ومشغوليات أقرب ما تكون من نوع الأعمال التي يريد أن يتخصص في نقدها ، وهذا ينصف الأعمال تماماً .. وأكثر من ذلك أنه ينصف المجتمع نفسه .. لأنه عندما يظلم الناقد عملاً جادًّا وبالتالي لا يلتفت إليه الناس كثيراً ولا ينمو في وجدانهم فيفتقر المجتمع دون أن يدري .. لذلك تقع على الناقد مسؤولية اجتماعية خطيرة .

الأحكام الجمالية

●● ماذا تقصد من وراء اقتراحكم لإجراء بحث أنثروبولوجي لمقارنة الأحكام الجمالية عبر عدد من الحضارات .. كما جاء في كتابكم السابق ذكره .. ومن من المتخصصين يمكن أن يقوم بمثل هذه الدراسات ؟

● توجد قضية مثارة الآن وهي أن الأحكام الجمالية نسبية بمعنى أن ما نراه قيِّماً في العمل الفني في مجتمع معيَّن قد لا يراه مجتمع آخر على أنه كذلك .. أو ما نراه جميلاً ونستمتع به في مجتمع معيَّن قد لا يراه مجتمع آخر جميلاً أو قيِّماً .. هذه القضية على الأقل هي ما أطرحه هنا ، ومن الممكن أن ندرسها بواسطة مناهج العلوم الاجتماعية وإجراء الدراسات التي تقوم على المقارنة بين أحكام جمالية فنية بين مجتمعات معاصرة أو متفاوتة في الزمن .. ومن الممكن أن يقوم بهذه الدراسات مجموعة من المتخصصين في العلوم الاجتماعية **ـ فهم يملكون الأداة ـ** مع متخصصين في علم **(الحضارة)** الذين نسميهم بالأنثروبولوجيين ، لكي نصل إلى حكم واضح في هذا الصدد تكون له درجة معيَّنة من العمومية .. بعبارة أخرى يمكن الوصول من مثل هذه الدراسات إلى المقام المشترك في إدراك ما هو قيِّم في الفن بين المجتمعات البشرية .

المقاييس العامة والنسبية

●● إذا وُجد هذا المقام المشترك فهل هذا في صالح الفن ذاته ؟ ومن ناحية أخرى ألا ترى أن المقاييس النسبية تثري الفن .. ؟

● أي كشف عن الحقيقة : أعتقد أنه في صالح الفن والفكر عموماً .. ولا أظن أن المقاييس نسبية تامة .. لا أظن ذلك .. وإلا ما كنا نستطيع أن نتكلم عن ما يسمى بالأدب العالمي والفن العالمي .

●● إذن ، هذه دعوة إلى الأدب العالمي وتحديد مقاييسه حتى لا يختلف عليه اثنان ؟

● نعم مع ملاحظة أن الأدب العالمي لا ينفي الخصوصية الحضارية والاجتماعية وبالتالي فالمشكلة التي أدعو إلى دراستها هي كيف نستطيع أن نصل إلى تحديد علمي للمقام المشترك في هذا الأدب العالمي والفن العالمي بحيث إننا لا نلجأ إلى أحكام انطباعية يختلف عليها الحكام والأفراد عامة .. وأنا لا أزال متحفظاً في هذا الموضوع ولكنه أمل يستحق النظر فيه والعمل من أجله .

ماهية « الأنثروبولوجيا »

●● ذكرتم الأنثروبولوجيا وهو فرع جديد من فروع المعرفة .. فهلاً حدثتنا عن سماته وعلاقته بعلم النفس والاجتماع وعن دوره على المستوى العربي لحل مشكلاتنا .. ؟

●● الأنثروبولوجيا هو علم الحضارات وأحياناً يسمى بعلم الاجتماع الحضاري .. وقد تأسس هذا العلم في القرن التاسع عشر .. ومعرفتنا به حديثة جدًّا .. ولا تزال جهود علمائنا فيه متواضعة ، وفي تقديري هو علم مكمل لعلم النفس وعلم الاجتماع ، فكثير من الظواهر (ظواهر السلوك البشري) لا تكتمل معرفتنا بها إلا إذا عرفناها من جوانبها النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية .

خذ مثلاً ظاهرة **تأثير تعاطي المخدرات** ، يمكن أن ندرسها من زاوية علم

◄◄ أحب كشف عن الحقيقة : أعتقد أنه في صالح الفن والفكر عموماً .

النفس بأن ندرس عدداً من الوظائف النفسية وتأثير تعاطي مقادير من مخدر معين مثال ذلك ندرس الذاكرة ، الإدراك وسرعته ، الانتباه والتركيز .

ونستكمل الدراسة من الزاوية الاجتماعية ونسأل بين أي الشرائح في المجتمع تنتشر هذه المخدرات ؟ .. سنجد أن المخدر المعين ينتشر في شرائح معيّنة دون غيرها .. ما العوامل التي ساعدت على ظاهرة تعاطي « الهيروين والكوكايين » بين شرائح معيّنة ؟ **ما الظروف الاجتماعية لهذه الشرائح التي شجعت بصورة ما على تعاطيها مخدرات غالية الثمن في حين أنه توجد مخدرات أرخص منها .. ؟** ثم نستطيع أن نكمل دراسة الظاهرة دراسة شاملة من منظور أنثروبولوجي بأن نقارن بين شكل الانتشار مثلاً في المجتمع المصري وشكله في مجتمع عربي آخر وشكله في مجتمع خارج الحضارة العربية مثل المجتمع الهندي أو الإنجليزي .. بمعنى ماذا يوجد في الإطار الحضاري المصري من العوامل التي شجعت على تعاطي الحشيش مثلاً في مصر بين فئات معيّنة طوال عدة قرون منذ أن دخل مصر في القرن الثاني عشر الميلادي ، رغم الجهود التي بُذلت من قبل الحكومات المختلفة لمكافحته بينما دخل الحشيش أوروبا في القرن التاسع عشر لكنه لم ينتشر هناك ولم يستمر ، وهكذا ندرس الإطار الحضاري من حيث تأثيره في الظاهرة ، وبذلك تكتمل صورة الظاهرة من جوانبها المتعددة وبالتالي يمكن أن نعالجها .

تعاطي المخدرات

●● هذا يجرنا إلى سؤال في هذا المقام خاصة ونحن نعرف أن لكم العديد من الأبحاث في مجال تعاطي المخدرات خاصة بين الشباب .. فما أهم هذه الأبحاث وما النتائج التي توصلتم إليها في هذا المجال ؟

● التركيز الآن في بحوثنا ومنذ عشر سنوات على انتشار أو مدى انتشار تعاطي المخدرات المختلفة بما فيها المخدرات الطبيعية مثل الحشيش والأفيون إلى المخدرات الدوائية التي تؤثر على الأعصاب لغير الأغراض الطبية إلى تعاطي الكحوليات .. **خاصة بين الشباب بالذات ، وهم المستقبل** ، وقد لاحظنا في بحوثنا أن مرجع إقبال بعض الشباب على تعاطي مثل هذه المخدرات يرجع إلى عدة أسباب ، منها **حُبُ الاستطلاع** حيث توجد نسبة من الشباب بدافع حُبّ الاستطلاع يخوضون التجربة .. ولقد أثبتت الدراسات أن نسبة الذين يستمرون في المتوسط حوالي ربع الذين يخوضون تجربة التعاطي .. وهذه نتيجة يجب أن توضع في الاعتبار .. فهذا يوضح أن النسبة لا تدعو للقلق وعليه يجب أن تكون خططنا الوقائية والعلاجية مناسبة للحجم الحقيقي للظاهرة بدون تهويل أو إثارة .. **فالمبالغة قد تأتي بنتائج عكسية بمعنى أنها قد تساعد على انتشار الظاهرة بدلا من أن تنجح في القضاء عليها تدريجياً** .. ومن أهم نتائج هذه الأبحاث أنه وجد أن الشباب في سن ١٦ ــ ١٧ سنة أكثر اندفاعاً ــ إلى تجربة تعاطي المخدرات ــ من غيرهم .. وهنا تجب العناية بالشباب في هذا السن بالذات عناية مركزة .. فالشباب بعد هذا السن يقل عدد المقبلين منهم على تعاطي المخدرات حتى إذا وصل الشاب إلى سن الثلاثين يندر إقبالهم على هذه التجربة .. وبالمثل أيضاً قبل سن الـ ١٦ .

ومن ناحية أخرى فالأبحاث توضح ضرورة تحديد الفئات المستهدفة عند وضع السياسات الوقائية بحيث لا تستهدف الكل بل فئات معيّنة بحيث لا نعطي للظاهرة صورة التعميم ، لنضمن عدم إثارة غريزة حب الاستطلاع لدى الشباب الآخرين .

إن مثل هذه الأبحاث توضح لنا دور العلماء الوطنيين للسعي والاجتهاد من أجل إيجاد الحلول المناسبة لمشكلاتنا العديدة في مختلف مجالات حياتنا .

د . مصطفى سويف في سطور

★ من مواليد القاهرة في ١٧ يوليو ١٩٢٤ م .

★ دكتوراه في الآداب (علم النفس) من جامعة القاهرة ودبلوم علم النفس الإكلينكي من جامعة لندن .

★ أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة .

★ عضو جمعية علم النفس البريطانية وعضو بلجنة الخبراء الدائمين لبحوث تعاطي المخدرات بمنظمة الصحة العالمية بجنيف .

★ مستشار وزارة الصحة المصرية للشؤون النفسية .

من مؤلفاته في مجال علم النفس :

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني (٣ طبعات) .

(٢) الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي (٤ طبعات) .

(٣) العبقرية في الفن (طبعتان) .

(٤) مطالعات في علم النفس (مترجم) .

(٥) مقدمة لعلم النفس الاجتماعي (٤ طبعات) .

(٦) علم النفس الحديث .

(٧) التطرف كأسلوب للاستجابة .

(٨) نحن والعلوم الإنسانية .

(٩) إدمان المخدرات .. مشكلات منهجية (بالإنجليزية) .

(١٠) تعاطي الحشيش في مصر (مع آخرين) .



الرسول صلى الله عليه وسلم .. والشعر

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكماً[١].

وروي عنه عليه السلام أنه قال: إنما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب. وقد أعجب الرسول بقول قتيلة بنت النضر بن الحارث، حينما قالت، وكان الرسول قد أمر بقتل النضر بعد أن كثر إيذاؤه للمصطفى، بعد وقوعه في الأسر يوم بدر:

أيا راكباً إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق[٢]
بلغ به ميتاً فإن تحية ... ما إن تزال الركائب تخفق
مني إليه وعبرة مسفوحة ... جادت لمسائحها وأخرى تخنق
فليسمعن النضر إن ناديته ... إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تمزق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً ... رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمداً ولأنت نجل نجيبة ... في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أخذت بزلة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق

فلما فرغت منها قال الرسول **صلى الله عليه وسلم**: لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته.

وقد أنشده **كعب بن زهير** قصيدته: بانت سعاد، فلما وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

قال الرسول: من سيوف الله! ثم رمى إليه بردته التي كانت عليه..

وقد أعجب الرسول بشعر **حسان، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.**

وكان يحنو على الشعراء، ويجيزهم، ويرتاح لأشعارهم، التي خلت من الكذب والضلال والفحش، ودافعت عن الإسلام والمسلمين، ولهذا قدر الرواة هذا الإعجاب من الرسول، فحافظوا على الشعر العربي وحفظوه إلى أن دونه الرواة.

ولما أنشد **النابغة الجعدي** الرسول صلى الله عليه وسلم، قصيدته التي يقول فيها:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

فلما قال:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا[٣]

قال له المصطفى: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة، فقال عليه السلام: إن شاء الله.

ولما قال النابغة:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال له عليه السلام: لا فض الله فاك.

كما كان يحرض حساناً على رد عدوان المشركين، ويقول عن شعره: «لهذا أشد عليهم من وقع النبل»[٤].. ولما أنشده قصيدته التي رد فيها على **أبي سفيان بن الحارث** وبلغ قوله:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

قال له: جزاؤك عند الله يا حسان[٥].

وقالت **عائشة** ــ رضي الله عنها ــ كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثيراً ما يقول: أبياتك، فأقول له:

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه ... يوماً فتدركه العواقب قد نمى
يجزيك أو يثني عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزى[٦]

ولا أدل على رواية الرسول ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ من بعض نماذج الشعر مما رواه **الزبير بن بكار** قائلاً: «مر رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ ومعه **أبو بكر** ــ رضي الله عنه ــ برجل يقول في بعض أزقة مكة:

يأيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد الدار!

فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يا أبا بكر هكذا قال الشاعر؟ قال: لا يا رسول الله، ولكنه قال:

يأيها الرجل المحول رحله ... هلا سألت آل عبد مناف!

فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هكذا كنا نسمعها»[٧].

وقدم **عمرو بن سليم الخزاعي** على الرسول مستنصراً، فقد كانت



بقلم: صفاء الدين محمد أحمد محمد

خزاعة حلفاء الرسول ، فلما كانت الهدنة بينه وبين قريش أغاروا على حي من خزاعة يقال لهم **بنو كعب** فقتلوا فيهم وأخذوا أموالهم ، فجاء عمرو وأنشد الرسول :

يا رب إني ناشد محمداً	حلف أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتم ولداً وكنا والداً	ثم أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً أبداً	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفاً وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبداً	إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحداً	فهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجداً	وقتلونا ركعاً وسجدا[8]

فدمعت عينا رسول الله ونظر إلى سحابة فقال : والذي بعثني بالحق نبياً إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب ، وخرج عليه السلام بعد ذلك بمن معه لنصرهم .

ومواقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأحكامه على الشعر والشعراء أشهر من أن تذكر ، ناهيك بما كان يفد عليه من قبائل ، وما كان له معهم من فصيح اللفظ وبارع القول .

فلقد أنشد للرسول قول (**عنترة**) :

ولقد أبيت على الطوى وأظله	حتى أنال به كريم المأكل

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة[9] .

وكثر ذكر الشعر في حياة الرسول الكريم ، وحاول تحويل مجالسه إلى ندوات تعليمية يذكر فيها جيد الشعر الجاهلي ، الذي يحث على مكارم الأخلاق ، ويدعو إلى الفضيلة ، وينأى بالإنسان عن الرذيلة .

فليس بدعاً أن يتحدث الناس في الشعر بحضرة الرسول ، وأن يكثر اجتماع الشعراء بالرسول ، وليس بدعاً من الرسول العربي أن يعجب بالشعر العربي[10] .

فالشعر كان دعامة من دعائم مجالس الرسول ، يتدارسه مع أصحابه ، ويستخرج ما فيه من قيم وعادات ، يحث على بعضها تارة ، ويحاول تارة أخرى أن ينبه إلى ما لا يقبله الذوق أو العرف الإسلامي ، والدين الحنيف في ذلك الوقت .

وقد ظهر جلياً التوجيه الحريص من الرسول – **صلى الله عليه وسلم** – إلى معرفة الشعر ، ونقده ، والتزود منه ، والاستفادة به في بعث روح الشجاعة في قلوب أصحابه ، من خلال سرد ما فيه من وقائع وأحداث .

ومما لا شك فيه أن الدولة الإسلامية في إبان ظهورها كانت في حاجة ماسة ، بل وملحة إلى مثل هذه القيم ، التي حاول الرسول إبرازها في نقده ، حاثاً عليها من جهة ، ومحبباً إليها من جهة أخرى .



الهوامش

(١) لسان العرب ، مادة بين .

(٢) العمدة ، الجزء الأول ، ص ٢٨ ، طبعة السعادة ، والعقد الفريد ، الجزء الثالث ، ص ٢٦٥ ، وما بعدها ، والأغاني ، الجزء الأول ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٣) العقد الفريد ، الجزء الثاني ، ص ٥٢ ، طبعة لجنة التأليف ، والعمدة ، الجزء الأول ، ص ٥٣ ، والشعر والشعراء ، الجزء الأول ، ص ٢٧٩ .

(٤) الأغاني ، الجزء الرابع ، ص ١٣٥٧ ، وطبقات الشعراء ، الجزء الأول ، ص ٢١٧ .

(٥) العمدة ، الجزء الأول ، ص ٥٣ .

(٦) دلائل الإعجاز ، ص ٧٩ .

(٧) دلائل الإعجاز ، ص ٧٣ ، والأمالي ، لأبي علي القالي ، الجزء الأول ، ص ٢٤١ ، طبعة بيروت .

(٨) السيرة النبوية ، لابن كثير ، الجزء الثالث ، ص ٥٢٧ .

(٩) الأغاني ، الجزء الثامن ، ص ١٤٤ .

(١٠) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٥ .

آلة فرز الرسائل

● أول مرة تم فيها فرز الرسائل حدث في عام ١٨٤٤ م ، في **بريطانيا** ، باستخدام خاتم من المطاط يوضح رقم وتاريخ ومكان صدور الرسالة . وكان بالإمكان استعمال كل من أجزاء ذلك الخاتم على حدة . . وقد كانت تلك العملية يدوية .

● في عام ١٨٥٧ م تمت محاولة استخدام ماكينة تعمل بالبخار لتحل محل الخاتم اليدوي . . لكنها لم تحقق نجاحاً يكفل لها الاستمرار والانتشار .

● في عام ١٩٤٩ / ١٩٥٠ م تم إنتاج **أول آلة لفرز الرسائل** Franking Machine في بريطانيا ، ويعتمد مبدأ فرز الرسائل بها على كون طابع البريد أبيض وأسود أو ملوناً . . كما أنها كانت تتفاعل مع الكتابة الثابتة ، والعلامات المطبوعة على ظرف الرسالة .

● وفي البداية تركزت البحوث على المشكلات التي تواجه الطوابع البريدية . ذلك أن خطوط الجرافيت ـ التي كانت تطبع على ظهر الطوابع لكي تتفاعل معها آلة الفرز ـ كانت سهلة الكسر مما يؤدي إلى تعويق عملية الفرز .

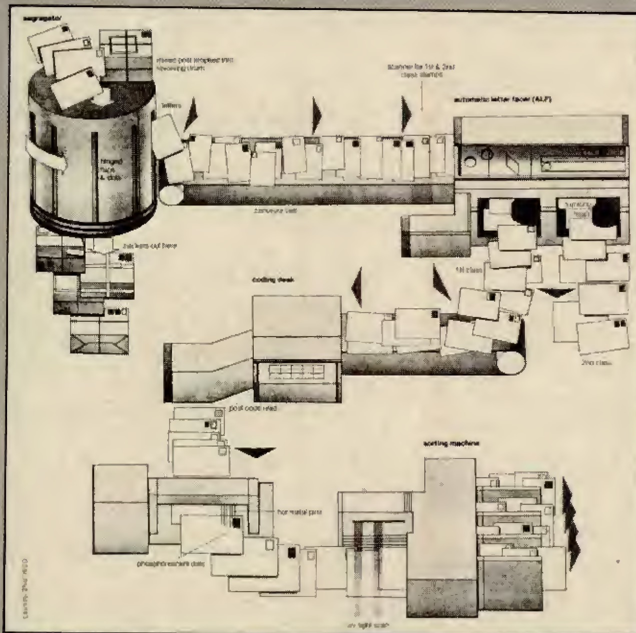
أخيراً . . ظهر نظام ناجح يعتمد على استخدام مواد فلورسنتية تتوهج بتأثير **الأشعة فوق الحمراء** .

بدايات

جهاز الفرز

تُفرغ الرسائل عند جهاز الفرز Segregator على هيئة كومة . . ثم يقوم حزام كهربائي بنقلها. ببطء إلى مستودع قرصي الشكل Drum يبلغ قطره متراً ونصف المتر وبطول الغرفة العادية . وعلى الجدار الداخلي لهذا المستودع توجد **صحائف مفصلية** Hinged Plates ، وشقوق ضيقة Slots تنزلق خلالها الرسائل ليحملها حزام كهربائي آخر . أما الصحف والمجلات واللفائف الصغيرة والطرود التي يزيد سمكها عن ستة ملليمترات ويزيد عرضها عن ١٤٠ ملليمتراً ، فتنزلق من شقوق معينة إلى حزام كهربائي يستطيع نقل حوالي ثلاثين ألف رسالة في الساعة الواحدة . ثم إن هذا الحزام يتحرك بارتجاجات خفيفة تعزل الرسائل الأخف وزناً بطريقة غير آلية . وتبلغ نسبة الرسائل التي لا يتعمد الجهاز فرزها حوالي خُمس عدد الرسائل المنقولة بواسطة الحزام .

● **في الوقت الحاضر ، تم ربط جهاز التوجيه الآلي للرسائل** Automatic Letter Facing (ALF) بآلة الفرز . وهكذا يمكن رص الرسائل على الأضلاع الطولية لمظاريفها ، ثم نقلها بواسطة الحزام الكهربائي . وتوجد **عدسة إشعاعية بصرية** Optical Scanner تفتش عن الطابع . . وعند الضرورة يتم إدارة الرسالة ولفها بواسطة جهاز كهربائي آلي .



● تستخدم العدسة الإشعاعية أيضاً لفحص البريد الحكومي الذي تحمل طوابعه خطين باللون الغامق فوق عبارة « مدفوع القيمة بمعرفة الحكومة » .

الرمز البريدي

عدد يتكون من خمسة أرقام . . تشير الأرقام الثلاثة الأولى منه (عن جهة اليسار) إلى **المدينة** . . بينما يشير الرقمان الأخيران إلى **مكتب البريد** في المنطقة المرسل إليها ، أو المنطقة البريدية الخاصة بمقر صاحب العنوان . . وقد بدأ استخدام الرمز البريدي في ستينيات القرن العشرين للميلاد .

التطورات المتوقعة

لا تتجاوز نسبة الرسائل التي يتم فرزها على أساس أنها تحمل طوابع بريدية عليها نقط فوسفورية أكثر من ١٠ ٪ من إجمالي الرسائل البريدية في بريطانيا .

جدير بالإشارة أن التقدم التقني قارب الآن على إنجاز كامل العملية آلياً . . لكن المشكلة التي تعوق ذلك أن الناس لم يتعودوا على استخدام الرمز البريدي بعد . . إلى جانب ضرورة الالتزام بأسس دولية في إعداد ظروف الرسائل بحيث تكون مزودة بعلامات أو نقط تتعامل معها العدسة الإشعاعية البصرية في جهاز فرز الرسائل .

من المكتبة السعودية

- الكتاب: مدارسنا والتربية.
- المؤلف: عبد الوهاب أحمد عبد الواسع.
- الناشر: تهامة ـ جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، (٨٥ صفحة).

يؤكد هذا الكتاب، حقيقة وجود فكر تربوي إسلامي معاصر، وقد أخذ هذا الفكر يواكب الاتجاهات الفكرية الإنسانية الأخرى، إن لم يتقدمها.

وتبرز نظرة الإسلام إلى المدارس، والتعليم، والتربية، من خلال تراث ديني أصيل، أخذ يعم عقول المفكرين والتربويين العرب المسلمين، وهم يقدمون خلاصة جهودهم، وخبراتهم، وثقافتهم، في عمل فكري تربوي نشيط، راح يروج في الأوساط التربوية والثقافية.

فكتاب (مدارسنا والتربية) للأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع، يمثل أحد المجهودات الفكرية التربوية الإسلامية في المملكة العربية السعودية. وينطلق فيه المؤلف منطلقاً موضوعياً قائماً على الدراية والفن، والإلمام بكافة المدارس والاتجاهات التربوية المعاصرة، سواء ما كان منها تقليدياً أم جديداً، كي ينتهي إلى موضوعه الرئيسي: التربية على ضوء الإسلام.

لذلك فإن المؤلف يُفصِّل في مفهومه للتربية.. تربية الطفل والتلميذ، أو الطالب، من خلال منظورين أو اتجاهين: فثمة اتجاهات تقليدية (كلاسيكية) في التربية تقوم على عدة مفاهيم، منها: النظرة الثنائية (انفصال المادة عن الروح)، وأهداف التربية ثابت لا يتغير، والفروق الفردية عرضية، والمعرفة احتفاظية، وأن تلك المفاهيم أو الاتجاهات ترسم المدرسة أبعادها بنقل التراث وتنمية العقل، وبالتربية الدينية، والخلقية، والبدنية، والإعداد المهني، وتعلم المهارات الاجتماعية، والهوايات الفنية.

أما الاتجاهات الحديثة فإنها ترتكز على الاهتمام بطبيعة الطفل، وترى أن التربية الحديثة تخضع لاتجاهات المدرسة (البراجماسية) أي العملية أو النفعية، أو لمدارس علم النفس وتطبيقاته من سلوكية، وكلية، وجشتالطية، وتحليل نفسي وغيرها.. وتحدد هذه الاتجاهات الحديثة دور المدرسة في النمو المتكامل للطفل من جميع نواحيه، الجسمية، والعقلية، والنفسية.. وذلك بمراعاة الميول، والاهتمام بالتعليم عن طريق العمل والخبرة، وكذلك الاهتمام بالخلق المبني على الخبرة، والاهتمام بالنظام الذاتي، وإنكار فصل مسؤولية التربية المهنية عن التعليم العام.

وإن المؤلف ليبدو ـ من خلال استعراضه لتلك الاتجاهات القديمة والحديثة ـ مدركاً تماماً لموضع الخلل لتلك الاتجاهات، وأن ثمة حاجة ملحة تتطلبها التربية، كي تستقيم أمورها، ويزول خللها، وذلك بالرجوع إلى الإسلام وتعاليم الله في تربية الإنسان، لأن «عالم اليوم بالرغم من معرفته النسبية بالمادة، فإن جهله بالإنسان مطبق. وتحتم تلك الحقيقة على الدول والشعوب الإسلامية الاتجاه نحو الأسس التي وضعها للإنسان خالقه، الذي خلقه في أحسن تقويم، الخبير بفطرته وبخصائصه، تلك الأسس التي تشتمل على كل ما يعرفه الإنسان، وما لا يعرفه من مذاهب ونظريات» (ص ٥٠).

وإن الاستدراج المنطقي والديني، واللغوي أحياناً، الذي يسلكه المؤلف، ليقنع القارئ بالحقيقة التربوية، كما نص عليها القرآن الكريم، لذلك يبدأ كلامه بالقول: «إن عبارة (رب العالمين) التي نكررها يومياً في سورة الفاتحة تعني: (مربي العالمين) فاشتقاق (رب) و(ربى) من أصل واحد. فالله سبحانه وتعالى هو المربي الأعظم لما في الكون، ليس مربي الإنسان فحسب، بل مربي الخليقة كلها» (ص ٥٠). ويزداد ذلك الإقناع رسوخاً في ذهن ووجدان القارئ، حينما يغمره بفيض من النصوص القرآنية، التي تؤكد عدة حقائق عن طبيعة الإنسان، والمجتمع، والهدف الأسمى من تربية ذلك الإنسان.

وإن تلك التربية القرآنية لتتجلى في (دور مدرستنا في تربية الشباب) ومسؤوليتها عن النمو المتكامل للشباب:



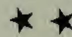
★ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع ★



روحياً ، وعقلياً ، وبدنياً ، وصحياً ، ونفسياً ، ودفاعياً . وإن المدرسة لا تقوى بمفردها على أداء تلك المسؤولية ، لذلك فالمؤلف لا يغفل دور كل من الأسرة ، والمسجد ، والنادي ، ووزارات (الصحة ، والإعلام ، والدفاع) في حمل المسؤولية مع المدرسة ، في تربية الشباب .

وقد التفت المؤلف إلى مدى اهتمام مدارس المملكة إلى : التربية الدينية ، والتربية العقلية ، والتربية الجسمية (الرياضية) ، والتربية الفنية ، والإعداد المهني ، والنشاطات اللامنهجية ، والنظام المدرسي ، ومسؤولية النوادي في تربية الشباب .

وإذا كان المؤلف قد ركز على مواد التربية الدينية (القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والتوحيد ، والفقه) في مدارس المملكة ، وكذلك على التربية العقلية ، وجهود المدارس لتأكيد هذا الاتجاه .. إلا أنه لم يقف عند فكرة فصل التعليم - تعليم ديني ، وتعليم علمي - الذي نلمحه قائماً ومزدوجاً في المدارس ، لأن ذلك الفصل يحتم على وجود مجموعتين متناقضتين ومختلفتين .. وكأن الدين أصبح عدواً للعلم ، أو أن العلم بات عدواً للدين .. فإلى الآن لم تقم عملية جادة في المناهج المدرسية كي تزيل تلك الازدواجية ، لأن الحقيقة لا تعارض بين الدين والعلم ، وإن تلك الازدواجية لقائمة حتى بين مدرسي العلوم والدين .. وكأن المؤلف قد فطن إلى حاجة المملكة إلى مدرسين أكفاء ، كي يقوموا بمهمة التعليم والجمع بين كل صنوف العلوم بجدارة وتمكن وفهم للعصر والثقافة حين يقول : «وإننا جميعاً نعرف أن المدرس الوطني الكفء ، القادر على تحقيق ما نصبوا إليه من آمال لم يتوفر بعد ، من حيث العدد الذي يغطي احتياجات مدارسنا ، ومن حيث النوعية التي تجمع بين التمكن من المادة الدراسية تمكناً تاماً ، مع الإلمام بقدر كبير من الثقافة العامة ، وبين الفهم الإسلامي الصحيح لطبيعة المتعلم» (ص ٦٩) .



● الكتاب : الوحدة الموضوعية في سورة يوسف .

● المؤلف : الدكتور حسن محمد باجودة .

● الناشر : تهامة - جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، (٥٦٧ ص) .

هذا الكتاب ، يضيف أفكاراً هامة لمنابع الفن القصصي في تراثنا الديني والأدبي .. والذي يجدر بالمبدعين العرب أن يظلوا ينهلون منه ومن سواه . والمبدعون الغربيون - الذين لا يمتلكون مثل تراثنا - نراهم لصيقين بتراثهم الديني ، وفنونهم القديمة التاريخية والشعبية ، أكثر منا نحن العرب .. إذ نمتلك ثروة سماوية هائلة ، لم يحظ بها أحد غيرنا .

لهذا فقد جاء كتاب (الوحدة الموضوعية في سورة يوسف) تأكيداً على الجو القصصي الذي عرفه المسلمون ، من خلال كتابهم المقدس . فقد تناول المؤلف باجودة سورة يوسف عبر فصول أربعة ، استغرقت منه أكثر من خمسمائة وستين صفحة ، بما فيها المقدمتان ونص السورة كاملة ؛ والمعجم المفهرس لألفاظ السورة .

وإن نظرة سريعة لعناوين فصول الكتاب وجزئياته ، تمنحنا الفكرة الأولية لطريقة المؤلف ، ومنهجه المتبع في الدراسة والبحث .. وهي التركيز على جانب المضمون والموضوع ، أكثر من جانب الشكل الفني ، وإن وضع أمامنا منذ المقدمة أن «القرآن الكريم جمع أحسن ما يكون الجمع بين الناحيتين الفنية والدينية» . لذلك فإن الفصل الأول يتناول العنصر المهم من عناصر تكوين الفن القصصي وجو (الحدث) ، إذ جعل لسورة يوسف وحدة موضوعية للأحداث ، قدم فيها القصة بكاملها ، وفي الفصل الثاني تناول عنصر الشخصيات ودورها في تحقيق الوحدة الموضوعية ، سواء أكانت شخصيات ثانوية (كالسيارة وواردهم ، وعزيز مصر ، وامرأته ، ونسوة المدينة ، والشاهد ، والفتيان صاحبا يوسف في السجن ، والملك) ، أم شخصيات



رئيسية (كيعقوب، وإخوة يوسف). بينما خص الفصل الثالث بشخصية يوسف ذات المراحل الثلاث: يوسف وهو غلام محبوب من والده، ومرحلة اختيار الله تعالى ليوسف بالابتلاء، ومرحلة اختباره بالنعماء. أما الفصل الرابع والأخير، فقد تضمن دراسة المجتمعات في السورة: المكي، والشامي، والمصري. والملامح المشتركة في عصر يوسف، ثم الدروس المستفادة.

إن قصة يوسف تطرح قضية فنية في الإبداع القصصي.. إذ تؤكد أن للفن القصصي هدفاً يسعى إليه المبدع.. ألا وهو الإصلاح، وتغيير ما في النفوس من ضلال وغي وفساد.. وقد فطن لها المؤلف، وأبرزها في مواضع كثيرة من فصول كتابه؛ وذلك من خلال مقدرته على الاستنباط والربط بين معاني وأهداف السور والآيات القرآنية، بحيث تشكل التعاليم الدينية وحدة تامة منسجمة. يقول المؤلف في (ص ٣٦٠): «والحقيقة أن سورة يوسف، عن طريق قصة محنة يوسف مع امرأة العزيز، وصرف الله تعالى عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباد الله المحسنين المخلصين، تنتهي إلى الغاية نفسها، التي انتهت إليها آيات القرآن المتعددة في النهي عن ارتكاب جريمة الزنى صراحة.. ولكن سورة يوسف تصل إلى هذه الغاية في مجرى فريد لها».

كما أن المؤلف وقف كثيراً عند الجانب اللغوي والنحوي، ليدلل به على الدقة في التعبير القرآني، والتحليل لمشاهد ومواقف قصة يوسف.

على أن ذلك كله، لا يحول دون الوقوف عند المآخذ التالية على المؤلف وكتابه:

★ أولا: إن الاستطراد والتكرار والحشو في سياق الدراسة، قد أبعد المؤلف عن موضوعه الرئيسي لقصة يوسف، مما جعل فصوله الخاصة بالشخصيات، تجنح عن الدائرة المحددة لها. ويبدو أن رئيس قسم الدراسات الدولية والحضارية بكلية جلبرن في استراليا، قد لمس الحشو الذي يزخر به الكتاب، حين قرر ترجمته إلى الإنجليزية.. فقد بلغت الترجمة ثلث الكتاب، كما يقول المؤلف في مقدمة الطبعة الثانية.

★ ثانياً: كان يعوز المؤلف الكثير من التعابير والمصطلحات الأدبية والنقدية.. في توضيح أفكاره وأحكامه ومواقفه. وهذا العوز جعله أسير بعض التعابير والألفاظ المتكررة؛ التي لا تنم عن موقف نقدي، أو عمق في سبر عالم يوسف القصصي.. وبالتالي أصبح لا يقف المؤلف بنا طويلاً عند الجوانب الفنية.. فمثلاً كل الذي يقوله في الفصل الأول، التعبير المعاد بالصيغ التالية: «إن للرؤيا في هذه السورة دوراً كبيراً في دفع أحداث القصة إلى الأمام» (ص ٣٦). «وهكذا إن تحرك أحداث القصة إلى الأمام مستمر دائماً» (ص ٤٤). «وتأخذ أحداث القصة في التقدم إلى الأمام» (ص ٤٧). وكذلك استعماله لكلمة (الجزئية) كثيراً، وهو يريد بها (العبارة).

★ ثالثاً: يعتمد المؤلف في كثير من شرحه وسرده وعرضه على اللغة العادية، والأسلوب الذي ينأى عن الصياغة الأدبية.. وكأنه نسي أنه حيال أسلوب قرآني معجز. لأن من يتصدى لإعجاز القرآن ــ وكل نص رفيع ــ عليه أن يتألق بأسلوبه. وإن كان يتجنب التفسير مكتفياً بالتعليق الشحيح، تهيباً وإبداء الحرج إزاء الآيات التي تشير إلى مواقف كبرى وهامة: «ونود أولا تناول هذا القول من الآية: ﴿ولقد همت به، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ وإن هاتين الجزئيتين من هذه الآية، مما يتهيب فطاحل العلماء الخوض فيه خوف الزلل..» (ص ٣٦١).

★ رابعاً: قد يتدخل المؤلف كي يظهر بعض انطباعاته وأفكاره.. ولكن يخونه شعوره وفكره. يقول متسائلاً: «وقد يقول قائل: وما ذنب يعقوب عليه السلام يتعذب كل هذا العذاب من أجل خطأ ارتكبه أبناؤه؟ وهذا سؤال وجيه. والجواب عليه..» (ص ٥٩):

ولا نرى أية وجاهة في التساؤل؛ لأن يعقوب أب يتألم ويحس بألم وإحساس البشر.. وليس غريباً أن يتعذب يعقوب نتيجة لأخطاء أبنائه. أو قوله: «ونحن في حقيقة الأمر لا نملك إلا أن نكبر هؤلاء الأبناء التسعة موقفهم الإنساني النبيل من والدهم» (ص ٦٢). لم يكن ثمة موقف نبيل وإنساني





* د . عبد اللطيف حسين فرج *

لإخوة يوسف ، بل عرف عنهم أنهم أصبحوا رمزاً للحقد والحسد ، وإن حاول المؤلف أن يفسر سلوكهم أو صمتهم بأنه «من أكثر المواقف للإخوة نبلاً ودليلاً على شعور الإخوة بتأنيب الضمير» .

★ خامساً : لقد ذيّل المؤلف كتابه بمعجم قرآني لسورة يوسف بدون شرح ، وإننا نرى أنه لا تكتمل فائدة المعجم المفهرس ما لم يتضمن شرحاً للألفاظ.

غير أن تلك المآخذ تهون إزاء الجهود الكبير الذي بذله المؤلف في إخراج كتاب لا يخلو من الاستنباط الجيد ، والوقوف بنا عند حقائق اجتماعية ونفسية لشخصيات السورة . وإن الكتاب ليشجع الدارسين والناقدين ، كي يلجوا عالم القرآن ، ويستلهموا منه قضايا كبرى معاصرة في الفكر والأدب .

★ ★

● الكتاب : محطات أمل للشباب .
● المؤلف : الدكتور عبد اللطيف حسين فرج .
● الناشر : نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

يعترف المؤلف الذي أعجبني أسلوبه في العرض وطريقة إبدائه النصيحة بأن الكتاب الذي نعرضه له بعنوانه اللافت إنما هو «مجموعة مقالات اجتماعية وخواطر ذاتية هدفت منها معالجة بعض الجوانب من حيوات الشباب ، وقد كتبته من إحساسي وحبي لشباب وطني» .

والمطلوب من كاتب أية مقالة أدبية ـ وهذه لها توصيف خاص وفّر بعضه المؤلف بسداد ـ تلك الذاتية المبنية على إحساس شخصي مسؤول . وإذا وضعنا في حسابنا أن ذاتية الدكتور فرج يدعمها علم النفس وفن التربية ـ وأنا لا أريد أن أجعلها علماً ـ نكون أمام قيمة حضارية هائلة ، وتتجلى هذه القيمة في النواحي التالية :

(١) الذاتية المثقفة فضلاً عن قيمة الموهبة فيها أكثر استخلاصاً لسبل التفكير السليم ، فما بالنا إذا دعمت بمأثورنا الإسلامي؟ (ص ٤٣) .

(٢) الذاتية المثقفة تدرك قبل غيرها أن التسليم بطاعة الله جزء من فطرة الإنسان ، وإذا استغلت إيمانها يكون بوسعها أن تحدد الهدف بثقة ، عن طريق العمل (ص ١٣) .

(٣) الذاتية المثقفة تكره الأنانية ، أي تؤثر الغيرية ، لأن هذه تعني المقدرة والسهولة في تقبلها . ثم تعني أيضاً حب الذات نفسها إذا لم تكن أنانية (ص ١٠) .

(٤) الذاتية المثقفة تقدر المسؤولية باتجاه الله والمليك والقادة أولي الأمر بعد الله ورسوله ، وذلك بالعمل الذي يناط بها دون الوقوف عند حد (ص ٤٢) .

(٥) الذاتية المثقفة تسمو عندما تكون ضميراً على الطريق ؛ فترفع ـ مثلاً ـ قشرة الموز تحت أقدام السابلة ، وتلك ثقة بالنفس مطلوبة (ص ٥٧) .

(٦) الذاتية المثقفة لا ترفض النقد ولا المعارضة ، لأنها من الضرورات العقلية ، ولأنها هي ذات ذكاء بصير (ص ٦٢) .

(٧) الذاتية المثقفة تمتلك من أجل تحقيق الأهداف النبيلة الإرادة القوية ، والعقل المنهجي ، والملاحظات الذكية ، والثقة بالنفس وتقبل النقد الذاتي . وتلك مع عوامل أخرى ـ حددها المؤلف ـ في شتى نظراته ، من أسباب النجاح .

تلك النظرات المتناثرة في الكتاب بعناوين مختلفة تقدم لنا وجهة نظر متكاملة ، أو فلسفة عمل ، وراءها تنظير مدروس وتوجيهٌ إيجابيٌّ عاقلٌ نحو بناء نفس الشاب قوية مفعمة بالأمل ، وبإرادة حرة تفسح مجالا للسكينة وتحمد للقدرة دورها ، رافضة التسليم بالهوى ومؤمنة بضرورة ترشيد الفراغ .

ولعل مقالته «كيف تنجح في هذه الحياة» (ص ص ٦٤ ـ ٦٧) تتضمن معظم جوانب وجهة نظر المؤلف ، وإن يكن هدفه في المحك الأول هو إعطاء

« الطالب » عدة وسائل كفيلة بأن توصله إلى هدفه وبحيث تجعل منه إنساناً ناجحاً . وهو لم يكتف برصد تلك الوسائل - وهي عشر - وإنما راح يلقي الأضواء الكافية على كل وسيلة .

غير أن ذلك إنما كان محاولة لتقريب الكتاب إلى القارئ من وجهة نظر تجمع الأسس العامة لإقامة محطات الأمل للشباب ، وهذه المحطات تمثلها أربع وثلاثون مقالة في أولها تقع : « أنتم » و« المواطن الصالح » و« ثقافتنا » تعنى كلها بأصحاب المحطات : من هم ، وما دورهم في الحياة ، وكيف ينبغي أن يكون سلوكهم .

وفي آخرها مقالتان « شخصيتك » و« كيف ترحل إلى نفسك » وهما محاولتان لتشكيل صورة الشاب الشخصية ، وفي ظننا أن مقالته « هذا الجيل » يمكن أن تلحق بالمقالتين المذكورتين من عدة جوانب أهمها أن الشخصية السوية هي التي يجب ألا تتملكها أنواع الغرور ، وأنها يجب ألا تصاب بحمى السرعة وإرادة الآلة حتى لا يفقد حساسية على بذل المجهود وقدرته بالتالي على الصبر الجميل والجهد العنيف (ص ص ٨٨ ، ٨٩) .

وتبقى مقالة دالة بعنوان « رسالة إلى نفسي » (ص ص ٧٣ - ٧٥) وهي مناجاة رقيقة يفتقدها أدبنا اليوم بعد أن طغت عليه المادة وأبعدته مطالب الحياة المعقدة عن التأمل ومحاسبة الذات أو مراجعتها فيما قدمت وأخرت :

« سامحك الله أيتها النفس ، تجذبينني إلى الانخفاض إلى الأرض وفعل الشر . . . أنسيتني تلك الأهوال التي سأتعرض لها في جهنم ! . . . أنسيت أيتها النفس حين كنت في الطريق المستقيم في هذه الدنيا سوف تسعدين سعادة كاملة في الحياة الآخرة ، وستتوفر لك متعة مطلقة مع أحبائك وأعزائك . . . أيتها النفس بالله عليك ارجعي واستغفري بارئك . . . إن الله مع الصابرين . . . اضبطي أهواءك وسيري في هذه الحياة بعيدة عن الدنايا والمظالم ، ردِّدي قول بارئك وخالقك ﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ فلتهنئي ولتسعدي أيتها النفس في الحياتين بإذن رب العزة الكبير المتعال . . . » .





★ عبد الكريم الخطيب ★

● الكتاب : شعراء ينبع وجهينة .
● المؤلف : عبد الكريم الخطيب .
● ط . الحضارة العربية بمصر ، (١٧٨) صفحة قطع كبير .

في سلسلة تراث الجزيرة العربية ، أصدر عبد الكريم الخطيب هذا الكتاب بدون تاريخ ، مستهدفاً به التعريف بشعراء ينتسبون إلى ينبع ، بالرغم من أن بعضهم كأبي دلف الخزرجي ، والشيخ محمد عبد المطلب المصري ، منشأ ومماتاً ذاعت شهرته وعلا صيته . وهنا تثار مشكلة البيئة التي ينهض فيها الشاعر ، ويغترف منها ويتأثر بما فيها ، ويصدر عما تصدر هي عنه ، حتى لنسأل : كم من مصر في البارودي وشوقي وخليل مطران ، وكم فيهم من مساقطهم ومنابتهم الأولى ؟ .

القضية خطيرة على أي حال ، وأخطر ما فيها أن المؤلف بنية طيبة يريد - كما صرح في مقدمة كتابه الموجزة - أن يسهم في تعريف القارئ السعودي والعربي بأدب يمثل جزءً من بلادنا المملكة العربية السعودية ، وهي منطقة الينبعيْن : ينبع النخل وينبع البحر ! .

ومهما يكن حكمنا على هذا الهدف ، ومهما يكن ما حققه الكتاب في الجملة ، فنحن أمام جهد يجب أن نقدره ، وأمام محاولة من المحاولات الطيبة التي تلقي الضوء على جوانب من تراث العرب .

وفي سبيل تحقيق الفائدة التي توخاها المؤلف قسَّم الكتاب إلى قسمين يوشكان على أن ينفصلا .. القسم الأول أو الفصل

الأول ـ عند المؤلف ـ بعنوان «ينبع»، وهو عنوان يفتقد الكثير مما ينبغي أن تقوم عليه دراسة حول بلد قديم ذي تاريخ مرموق، وليس يشفع للمؤلف تواضعه، أو إبداء التواضع، بالقياس إلى ما كتبه أمثال الدكتور عبد المنعم خفاجي، والدكتور محمد رجب البيومي، فما يكتب مهما يكن قدر كاتبه مستهدف أو خاضع للأخذ والرد، الأمر الذي يجعل الحقيقة العلمية عزيزة والوصول إليها صعب.

وحتى مع هذا القدر الكبير من التواضع من لدن المؤلف، والقدر الكبير من الفائدة التي أظفرنا بها خفاجي والبيومي وغيرهما، فإن ما جاء عن ينبع يحتاج إلى الأناة، وإلى المنهجة العلمية، وإلى حوار جاد وعنيف مع المصادر القديمة وبخاصة عندما نحتاج إلى المقارنة ومقارعة الرأي بالرأي.

ومع ذلك، يظل حظ ينبع من الفصل ضئيلاً للغاية، واستولى على مساحة الفصل كله عشرة شعراء، بعضهم درج بعيداً عن ينبع، وربما لم يلم بها إلا لماماً.

وأما القسم الثاني أو الفصل الثاني فبعنوان «قبيلة جهينة وشعراؤها» (ص ١١٠ ـ ١٧٦)، ويمكن أن يستقل بكتاب خاص عن جهينة، كما استقلت هذيل بكتاب عند أحمد كمال زكي، أو كما استقلت طيئ عند وفاء السنديوني وربيعة عند جابر الحيني.

على أن التاريخ ومظان البحث لم يعطيا إلا النزر اليسير للمؤلف، فبعد ذكر بعض منازل جهينة في الجاهلية والإسلام، قدم المؤلف قوائم ببطونها وأفخاذها وعشائرها وأبرز رجالاتها، معتمداً كتب الأنساب التقليدية مع نتف صغيرة من أخبارها، ثم قدم تحت عنوان «شعراء من جهينة» ثمانية عشر شاعراً، بالإضافة إلى شاعرة واحدة اسمها هند (ص ١٥٧)، وكانت أحبت وقتلها الحبُّ، وكانت تعيش في المدينة المنورة ـ وليس في ينبع ـ وترصد حبيبها وتراسله بالشعر، فلما قالت له:

فديتك فانظر نحو بابي نظرة
فإنك أهوى الناس كلهمُ عندي

كتب لها:

عليك بتقوى الله والصبر إنه
نهى عن فجور بالنساء موحد

ولما مات الحبيب تعففاً رثته أخته بأبيات ما سمعتها هند حتى صرخت وماتت، وقيل إنها دفنت إلى جوار حبيبها!.

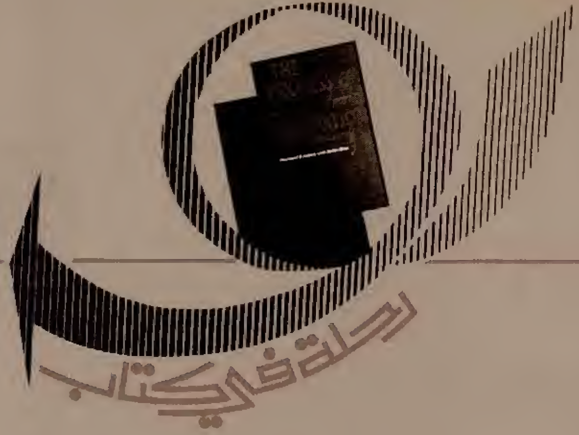
ومعذرة لهذا الاستطراد، وإن يكن الجاحظ يستروحه تجديداً للنشاط وحفزاً للهمم.. فإن تابعنا المؤلف نراه يذكر من شعر جهينة أبياتاً قالها غلام جهني (ص ١٥٣)، ومن قبل ذكر لبعض جهينة ثلاثة أبيات (ص ١٥١)، وفي بعض قراءاته عثر على أربعة أبيات مشروحة شرحاً لغوياً، وتعرض لحرب قامت بين كلب وقيس، وكان حميد بن بجدل ـ وربما كان من كلب ـ قد أحل قيساً بمحل الذل والهوان.. رصد المؤلف هذه الأبيات في كتابه بعنوان «قال بعض من جهينة» (ص ١٥٥).

وهذا الصنيع، يبيِّن مدى ما أخذ به المؤلف نفسه من مشقة وعنت ويشبهه تماماً دفاعه عن محمد عبد المطلب، ومحاولة إثبات أن له سبقاً على أحمد شوقي في كتابة الدراما الشعرية، سالكاً في ذلك مسلك محمد رجب البيومي الذي سمى الشيخ بشاعر البادية، ورغب هو في أن يسميه شاعر جهينة لمجرد أنه من الفرع الجهني الذي استقر في مصر بالصعيد، ومع ذلك فهو يرى أنه كان لهذا الشاعر خيال بدوي في التوليد والتصوير «وتلك منة أسداها شاعرنا ـ يقصد محمد عبد المطلب ـ إلى الأدب العربي» (ص ١٦٣).

ومن هذا القبيل قَطْعُهُ السياق التاريخيَّ الذي يسجل حيوات الشعراء الحسنيين ـ وهم من ذرية عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ في القرن الثاني الهجري، ليترجم لأبي دلف وهو من رجالات القرن الرابع معداً إياه ينبعياً، لأنه ولد في ينبع النخل والتاريخ يقول: إن قوام تجربته الشعرية ليست ينبعية بقدر ما هي إسلامية خُراسانية، عراقية، ساسانية، بويهية، هندية، صينية.

ونضيف إلى القائمة حسن عبد الرحيم المولود بالقصير عام ١٢٥٢ هـ، والمنسوب إلى قفط بصعيد مصر، على أنه عين في شبابه ولمدة عشر سنوات مساعداً لولاية ينبع ـ ربما ترضية لبعض أهله المقيمين بينبع، وكانوا أصحاب تجارة كبيرة ـ. وفي سنة ١٢٨٨ هـ، غادرها ولم يعد إليها حتى مات سنة ١٣٢١ هـ.. ومع ذلك له شعر يدل على ولعه بينبع ومغانيها وآبار مائها، وبها تفتقت شاعريته وتعلَّم العروض على يد رجل اسمه باسودان.

وفي رأيي أنه يمكن عدّ هذا الشاعر ـ وبالقدر نفسه أبي دلف ـ صورة للامتزاج العربي والأرومة الإسلامية، مما يزعج ذوي الأهواء والمتطاولين على الحضارة التي شكلها القرآن الكريم.



بقلم : رايموند آدمز ، وديفيد تشن
عرض وتحليل : ياسر الفهد

عملية التجديد التربوي

تعاني التربية في شتى بقاع العالم من معضلات كثيرة أهمها الجمود التربوي ، وعدم القدرة على التطور بشكل يمكّن من تلبية مختلف الحاجات التعليمية بصورة مناسبة . وعلى الرغم من أن إيجاد نظم تربوية بديلة عن النظم الحالية هو في رأي بعضهم الحل الجذري للمشكلة ، فإن التجديد والإصلاح التربويين يستطيعان الإسهام بصورة مؤكدة في تحسين العملية التربوية وسد بعض فجواتها . وبين أيدينا الآن كتاب أجنبي حديث أصدره المعهد الدولي للتخطيط التربوي في عام ١٩٨٢م ، وهو من تأليف (رايموند آدمز) ، و (ديفيد تشن) .

وقد سلك المؤلفان مسلكاً فريداً في المعالجة ، تقوم على أساس الجمع بين الأسلوب الشخصي ، والأسلوب المنهجي . وذلك خلافاً لما هو متبع في الأبحاث التي تجرى في مجال العلوم الاجتماعية . ولكن الأهم من ذلك تبني الكتاب طريقة البحث الإسهامي Participatory Research ، وهذا يعني اللجوء إلى التشاور مع أكبر عدد ممكن من الجهات والشخصيات العلمية .

وبالفعل فإن المؤلفين ، بالإضافة إلى جهدهما الخاص ، عمدا إلى مشاورة سبعة فرقاء بحث ، كما حصلا على مساعدة فنية من **المعهد الدولي للتخطيط التربوي** . ويدور الكتاب حول إدخال التجديد ، وتحقيق الإصلاح في النظم التربوية ، وهو موضوع حظي بشعبية كبيرة خلال العقدين الأخيرين . ويبين المؤلفان أن التجديد ليس نظاماً مغلقاً ، وإنما هو نظام تابع يخضع لتأثير البيئة الاجتماعية والسياسية .

وقد كان موضوع التجديد ، للأسف ، مهملاً إلى حد كبير في الماضي ، بحجة أن للتربية جوانب اقتصادية ، ومهنية ، وسياسية ، ودينية ، وأخلاقية ، يصعب حصرها وإخضاعها جميعها لإجراءات إصلاحية ، ناهيك عن وجود مصاعب أخرى داخل النظام التربوي نفسه . وهي تتجلى بالعناصر المقاومة للتغيير . ولكن لحسن الحظ ، فإن القناعة تعززت أخيراً بضرورة التخطيط من أجل تحقيق الإصلاح التربوي . وبما أن هناك نقصاً حاداً في المعلومات يحول دون إنجاز هذا الهدف ، فقد اتفق الباحثون والإداريون على ضرورة الاستناد إلى نتائج الأبحاث التربوية ، ولا ريب أن هذا ينطوي على تطور نوعي عظيم ، لأن الاعتماد في الماضي كان على التقارير ، ودراسات الحالات التي لا تقدم أكثر من الوصف الظاهري للمشكلات ، على عكس الأبحاث التي تغوص عميقاً في أغوار هذه المشكلات .

ويعرّف الكتاب التجديد بأنه (**أي تغيير دائم في نماذج السلوك عند أعضاء أي نظام اجتماعي محدد**) .

ويلفت المؤلفان نظرنا إلى أن التجديد أمر نسبي من الناحية المكانية . وهو يرتبط عادة ارتباطاً وثيقاً بالمكان ، لأن الجديد في بلد ما ، قد لا يكون جديداً في بلد آخر .

أما الإصلاح فيعرّفه الكتاب بأنه « تجديد على نطاق واسع » . وهذا يعني أن أي إصلاح يجب أن يسبقه تجديد . ومن الملاحظ أن التعريفين لا يتعرضان لكون التجديد أو الإصلاح جيداً أم سيئاً ، **ويرى المؤلفان أن عملية التجديد تمر بخمس مراحل :**

(أ) تعرف المشكلة . (ب) ظهور الحل أو مجموعة الحلول . (ج) وضع الحل موضع التطبيق العملي . (د) انتشار التجديد ضمن النظام المُستهدف . (هـ) وفي النهاية ، إما أن يتدعم التجديد ويمتصه النظام ، أو أن يتداعى ويدخل حيز النسيان .

وهذه المراحل تعني أنه بعد نشوء المشكلة التربوية يبرز حلها . ثم يتم



تقييم الحل وتجريبه ، وبعدها تنفيذه على نطاق واسع ، تمهيداً لإقراره بصورة رسمية ونهائية .

ويبين الكتاب أنه في كل مرحلة خلال عملية التجديد ، ينبغي اتخاذ قرارات بشأن :

(أ) الموظفون الذين ينبغي توظيفهم . (ب) تحديد ماهية العملية الحقيقية . (جـ) الاستراتيجية أو الطرق التي يتوجب اتباعها لتحقيق العملية . (د) الأجهزة والمعدات اللازمة . (هـ) التكاليف المالية . (و) زمن الإنجاز . (ز) الجدول الزمني للنشاطات المختلفة . (ح) الأساس المنطقي والفكري الذي يقوم عليه تنفيذ التجديد . (ط) تقييم النتائج أو الآثار الناتجة .

ويتوقف نجاح التجديد في رأي المؤلفين على عدة عوامل منها :

(١) درجة الدقة التي تم بها معالجة المشكلة الأصلية التي استدعت الحاجة إلى الحل .

(٢) توافر عدة حلول بديلة وحسن اختيار الأنجع منها .

(٣) ملاءمة التجريب والتقييم .

(٤) توفير الظروف المناسبة للتنفيذ .

تجارب في التجديد

يقدم لنا الكتاب صورة سريعة عن بعض تجارب التجديد في عدة أقطار آسيوية وإفريقية ، ففي **أندونيسيا** حيث كان الفقر المدقع ، ونقص الخبرة اللازمة لاستغلال الطاقات سائدين ، وأمية مستشرية بمعدل ٩٠٪ تقريباً ، وحيث أدى **الغزو الياباني** إلى تخريب عدد كبير من المدارس ، وجعلها غير صالحة للاستعمال ، تم وضع خطة لتحسين النظام التعليمي ، وتصميم برنامج بعيد المدى لإعادة بناء النظام برمّته . وقد انصب هذا ، بصورة أساسية ، على تغيير المناهج ، وتحسين الكتب المدرسية ، وتوفير التدريب في أثناء الخدمة للمعلمين . وتقضي الخطة بالبدء من مستوى غرفة الصف ، وبطريقة منظمة ومنهجية ، بحيث يتم الإصلاح خطوة بخطوة ، وبشكل لا يكون معه انتقال من خطوة إلى أخرى ، قبل أن تثبت التجربة صحة الخطوة السابقة ، كما أن الخطة تتجه نحو الاعتماد على الدلائل والشواهد العلمية ، ونتائج التطبيق العملي . وكان من أبرز نتائج الخطة المذكورة ، التي بُدئ تنفيذها في عام ١٩٧١ م ، بعد أن كانت المشكلة قد حددت بوضوح في عام ١٩٦٩ م ، الأخذ بمبدأ إجراء التعليم بواسطة سلسلة من الوحدات التعليمية . وهذا يعني تجزئة المنهاج في كل مادة إلى عدة أجزاء يمكن السيطرة عليها ، وتسمى الواحدة منها (وحدة التعلم Learning Unit) .

وتتألف كل وحدة من :

أ ـ كراس المعلم التوجيهي .

ب ـ مجموعة من نشاطات التعلم التي يتوجب على التلاميذ أن يمارسوها عند تحقيق أهداف التعلم .

جـ ـ ورقة عمل تمكّن التلميذ من تسجيل الحلول للمشكلات التي تتضمنها الوحدة .

د ـ وسيلة لتقييم مدى نجاح الطالب في إنجاز أهداف التعلم لكل وحدة .

ومن الأمثلة الأخرى التي أوردها الكتاب ، ما حدث في **ألمانيا الغربية** ، فعلى الرغم مما كان يتمتع به هذا القطر ، وما زال ، من وضع مالي متين ، واقتصاد قوي ، فقد كانت هناك بطالة مستشرية ، أثّرت إلى حد بعيد ، في أوضاع الذين كانوا يتخرجون من المدارس ، ولا سيما منهم غير المؤهلين بدرجة كافية . وقد أُنحي باللوم في ذلك على التربية ، بسبب عدم كفاية النظام التربوي الألماني ، الذي عجز عن تأهيل طلاب قادرين على الانخراط في المهن المختلفة ، ومنذ عام ١٩٧٥ م ، بُدئ بتنفيذ خطة للتجديد والإصلاح ، تقوم على أساس السماح للطلاب المتخرجين الذين يعجزون عن إيجاد عمل ، بالعودة إلى المدرسة لمدة سنة واحدة ، إذا شاؤوا ، من أجل التدريب على المهن والمهارات .

وكان من نتيجة الخطة أن نشأت الحاجة إلى وضع مناهج لدورات مهنية مكثفة وفعّالة . وعلى الرغم من أن نتائج البرنامج الإصلاحي الجديد لم تتضح بعد ، فإن المعنيين يتوقعون أن يؤدي البرنامج إلى إصلاح تدريجي في نظام التعليم بأكمله .

أما في **سريلانكا** ، فكانت هناك مشكلات تربوية كثيرة ، منها استشراء التسرب بنسبة ٦٠٪ ، لأسباب منها ازدياد الرسوم المدرسية ، الناجم عن تدهور الوضع الاقتصادي . وكان ٦٥٪ من المعلمين غير مؤهلين بدرجة كافية ، كما كان ٩٠٪ من سكان الأرياف أميين ، ناهيك عن أكاديمية المناهج وعدم تناسبها مع حاجات البلاد . ولمواجهة هذا الوضع التربوي الصعب ، تم وضع برنامج للتجديد والإصلاح يتضمن : (أ) تطوير مناهج جديدة للتعليم الابتدائي . (ب) إيلاء التعليم في الريف اهتماماً خاصاً . (جـ) توسيع مهام كليات تدريب المعلمين ، لتوفير المزيد

من التدريب في أثناء الخدمة، وتقديم خدمات تربوية إضافية للمعلمين الريفيين، على أساس الحاجة والطلب. (د) إنشاء مراكز لتوفير التعلم والتدريب، النظاميين وغير النظاميين على السواء، للشبان والكبار في الأرياف.

وفي **ماليزيا**، جرى تنفيذ برنامج تجديدي شديد الشبه بما جرى في سريلانكا. وبموجب ذلك أُعيد تشكيل المناهج بصورة كاملة للسنوات الثلاث الأولى في المدرسة الابتدائية. ويتوقع أن ينجم عن ذلك تغير في طرق التعلم. ويتضمن البرنامج، أيضاً، خططاً لرفع كفاية المعلمين، وحل مشكلة الريف التربوية.

وفي **نيوزيلانده**، كانت هناك مشكلة عدم القدرة على بناء ما يكفي من المدارس الثانوية الجديدة، وبالسرعة المطلوبة، لمواجهة السيل المتزايد من الطلاب الجدد. وعندما فكر المعنيون بحل هذه المشكلة، تطورت المسألة واتخذت أبعاداً جديدة، وأصبح المطروح كيفية بناء مدرسة المستقبل النموذجية.

وقد انعقد الاتفاق على أن **المدرسة يجب أن تستجيب للحاجات الاجتماعية والتربوية للسكان، وأن تكون قادرة، أيضاً، على التفاعل والتعاون مع البيئة الاجتماعية المحيطة بها**. وكذلك، أن تشكل مكاناً ملائماً يستطيع الأطفال والمعلمون والوالدون في ظله التعاون معاً، لما فيه صالح قضية التعليم. بالإضافة إلى ذلك، فإن البناء المدرسي ينبغي أن يسمح للأطفال والكبار القيام بالعمل الفردي، وبالعمل الجماعي المحدود. وبالعمل الجماعي الواسع، في آن واحد، وحسب الرغبة والحاجة، وذلك حتى يتمكن الطالب من تطوير معرفته وخبرته، ويغدو قادراً على فهم نفسه وفهم الناس الذين يعيش ويعمل معهم.

ونتيجة للمناقشات والمداولات التربوية الطويلة، انبثقت خطة للتجديدات والإصلاح، تقوم على استخدام طريقة الوحدات في البناء. وهي طريقة تسمح بسرعة الإنجاز وخفض التكاليف. وتولي الخطة موضوع حجم المدرسة اهتماماً كبيراً، فهذا الحجم يجب الا يكون له حد نهائي، والتصميم الهندسي ينبغي أن يسمح للمدرسة بالنمو والتوسع، أو التقلص والانكماش، حسب مقتضيات الحال. لقد انطلق برنامج الإصلاح التربوي في نيوزيلانده، أساساً، من تطوير طريقة جديدة أكثر فعالية لبناء المدارس. ولكنه اتسع بعد ذلك ليشمل أيضاً طرائق التعليم، وليتبنى فلسفة تربوية خاصة، تقوم على أن البناء المدرسي يجب أن يوفر إطاراً يسمح بالتعليم الجيد الناجح، دون أن يتدخل بدقائق هذا التعليم ويملي كيفية سيره.

أما في **غانا**، فقد جرى تنفيذ برنامج تجديدي وإصلاحي أساسه إدخال قدر من العمل التطبيقي في المناهج التي كانت توصف بأنها تقليدية وأكاديمية، وخاضعة لمستلزمات الامتحانات. وبموجب البرنامج الجديد يُخصص يوم واحد أو أكثر في الأسبوع يقوم خلاله الطلاب بعمل ذي مردود اقتصادي، إذ يقضون أوقاتهم في زراعة أو صنع شيء ما، أو في تقديم خدمات معينة، أو في إجراء نشاطات عملية تؤدي إلى نتائج محسوسة ومربحة، وتقود إلى السيطرة على بعض المهارات المنتجة. ولدى تنفيذ البرنامج تبين أن هناك حاجة لإصلاحات أخرى، تنظيمية وبنيوية، في النظام التعليمي الغاني. ومن بين الخطوات التجديدية التي تم إدخالها:

أ ــ الربط بين ما يجري في المدرسة، وبين الظروف التي يواجهها الطلاب بعد مغادرة المدرسة.

ب ــ قيام الطلاب في المدارس بعمل ما هو مفيد للمجتمع بأسره.

جـ ــ تدريب الأطفال على إحراز المهارات الضرورية التي تساعد على التطوير في المناطق الريفية.

د ــ تغيير مواقف المتخرجين من المدارس تجاه العمل وتشجيعهم على العمل في المهن العملية الحرفية المنتجة، بدلا من الوظائف المكتبية.

مشكلات التجديد

وينتهي الكتاب بفصل خاص، يلخص وجهة نظر المؤلفين حول التجديد ومشكلاته، ويورد بعض التعميمات والاستنتاجات الخاصة به. ويؤدي التخطيط دوراً أساسياً في التجديد، لأنه هو الذي يمهد له، مستبقاً الحوادث، وراسماً الحلول لمشكلات المستقبل قبل استفحالها. ولكن المخطط لا يستطيع أن يتنبأ بكل شيء، وبكل ما يتوقع حدوثه.

ومع ذلك فإن عليه، أن يتخذ قرارات معينة على أساس الواقع، بالاعتماد على سلسلة من الفرضيات ونظريات السبب والتأثير. وعندما يفكر المخطط في وضع خطة للتجديد، يجدر به أن يحسب حساباً لمشكلات كثيرة منها قدرة النظام التربوي على تحمل إجراءات التجديد وإمكانية تغطيته النفقات المترتبة عليه، ومدى توافر الأجهزة والمعدات اللازمة. كما أن عليه أن يتأكد من نتائج التجديد، فكثيراً ما يحل التجديد مشكلة، ويخلق في الوقت نفسه مشكلات أخرى. وهذا ما حدث مثلاً، بالنسبة لخطة البناء المدرسي التجديدية في نيوزيلانده. فقد أدت هذه الخطة إلى الإسراع في عملية البناء وتحسينها. ولكن من جهة أخرى، فإن إدخال نمط غير تقليدي في البناء، كان له تأثير سلبي في البنية الاجتماعية



للبلاد . وعلى العكس من ذلك ، فإن التجديد الذي يُستنبط لحل مشكلة ، كثيراً ما يحل مشكلات أخرى لم يكن يقصد منه حلها . وكمثال على ذلك ، خطة الوحدات التعليمية في أندونيسيا ، التي أسفر إدخالها عن حل مشكلات تربوية كثيرة لم تكن قد خطرت على بال الذين صمموا خطة التجديد .

ومن الأمور الأخرى التي يتوجب على المخططين أن يأخذوها في الحسبان ، ردود الفعل المتوقعة للجمهور تجاه التجديد ، ومدى قبول المعلمين له .

ويقدم المؤلفان أخيراً عدة تساؤلات هامة منها :

١ ـ في أية ظروف تصبح التجديدات مقبولة ؟

٢ ـ ما الشروط التي يجب توافرها حتى يستمر التجديد بعد مرحلة القبول ؟

٣ ـ ما سرعة سريان التجديد في النظام التربوي ؟

٤ ـ ما مقدار التغيير الذي يحدثه التجديد ؟

ويجيب المؤلفان عن هذه التساؤلات بنفسيهما إجابات افتراضية يقران بأنها قابلة للجدل ، وبأنها لا تعتمد على نتائج ثابتة ، فقبول التجديد ، يتوقف في رأيهما ، على عدة عوامل :

أ ـ مقدار القوة التي يمكن تعبئتها لدعمه .

ب ـ مدى تهديده لمصالح الجماعات المهيمنة ، فكلما قل التهديد ، ازداد القبول .

جـ ـ كون الفوائد والمنافع الناجمة عن التهديد أكبر من التكاليف المترتبة عليه ، فكلما كانت النتائج طيبة والمردود جيداً ، لاقى التجديد قبولا أوسع .

أما بالنسبة لاستمرار التجديد وبقائه على قيد الحياة ، فإن هذا يعتمد ، في رأي المؤلفين ، على عوامل عديدة ، منها :

أ ـ مصداقيته ، إذ إن اتساع الهوة بين الوعد النظري والإنجاز الحقيقي يقود إلى تقويض مصداقية التجديد ، وبالتالي إلى إضعاف استمراريته ، بحيث لا يكتب له الدوام طويلاً .

ب ـ نتائج تقييم التجديد ، وكون هذا التقيم إيجابياً .

جـ ـ مقدار توافر المواد والكوادر والأجهزة المطلوبة .

د ـ مدى قدرة التجديد على التكيف مع الظروف السائدة .

وبخصوص الوقت الذي يستغرقه تنفيذ التجديد ، فإن المؤلفين يريان أن ذلك يعتمد على تسلسل الحوادث وتتابعها واتساقها ، فكلما تحقق تناسق أفضل ، تمت عملية التجديد بسرعة أكبر . أما فيما يتعلق بمقدار التغيير الذي يمكن أن يولده التجديد ، فإن هذا يتوقف على درجة التقلب داخل النظام التربوي والنظام الاجتماعي بأكمله ، فمع ازدياد استقرار التربية والمجتمع ، تزداد المقاومة التي يلاقيها التغيير .

تعقيب

فيما يلي بعض الملاحظات حول كتاب (عملية التجديد التربوي) الذي عرضنا معظم أفكاره الرئيسة :

١ ـ إن مضمون هذا الكتاب هام جداً بالنسبة لنا بوصفنا دولا نامية ، تعاني من جمود النظم التربوية ، وعدم قدرتها على مسايرة العصر ، واللحاق بركب العلوم المتطورة باستمرار . ولا شك أن التجديد يمكن أن يسهم في حل كثير من المشكلات التي تثقل كاهل المؤسسات التربوية العربية .

٢ ـ إن من أكبر مثالب المناهج العربية أنها نظرية أكثر من اللزوم ، وأن الخيوط التي تربطها بالحياة العملية واهنة وضعيفة كخيوط العنكبوت . ويقدم الكتاب تجربة يمكن أن تفيدنا في هذا المجال ، وهي التجربة الغانية في التجديد التربوي ، التي تقوم على أساس قيام الطلاب بنشاطات عملية وأعمال منتجة كثيرة خلال العام الدراسي .

٣ ـ لم يقدم المؤلفان أساساً نظرياً قوياً للتجديد التربوي . وهذا أحد مثالب الكتاب الذي اعترفا به بنفسيهما صراحة .

٤ ـ لم يصنف المؤلفان التجديدات التربوية تصنيفاً واضحاً ، واكتفيا بالإشارة إلى وجود تجديدات كمية وتجديدات نوعية .

٥ ـ لم يقدم المؤلفان صورة واضحة عن نتائج وآثار التجديدات والإصلاحات التربوية التي تم تنفيذها في الدول الأفروآسيوية ، كأندونيسيا ، وماليزيا ، وسريلانكا ، وغيرها . ولعل الذنب في ذلك لا يقع على عاتق المؤلفين ، لأن نتائج المشروعات التجديدية لم تكن قد ظهرت بعد في تلك الدول بوضوح عند تأليف الكتاب .





ابن النديم وكتابه «الفهرست»

بقلم: عبد القادر عنداني

يقول ابن النديم ـ في مقدمة كتابه (الفهرست) ـ : «فهذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم : الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم ، وأخبار مصنفيها ، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم ، وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة»[1] .

وقد ترجم في كتابه لتسعمائة وستة وستين عالماً وفيلسوفاً ومبدعاً ومترجماً ؛ كتبوا بالعربية ، وذكر لكلِّ واحدٍ منهم أكثر من كتاب ألّفه في مجاله واختصاصه ، مع الإحاطة بتاريخ مولدهم ، وأعمارهم ، ووفاتهم ، والأماكن التي ينتسبون إليها ، والعلوم التي برعوا فيها .

الكاتب

وبعد هذا كله ، تبحث في كتب التراجم عن حياة ابن النديم ، فلا تظفرُ من ذلك بشيء له قيمة ، **فابن خلكان** لم يترجمْ له وصاحب **«فوات الوفيات»** ، لم يذكره فيما استدركه على **«وفيات الأعيان»** ، وأهملتْهُ كذلك أكثر كتب التراجم ، ومن ذكره منهم ، ترجم له ترجمةً ناقصةً لا تفي بالغرض ، ـ **فياقوت الحموي** ـ في كتابه ـ **معجم الأدباء** ـ قال عنه : **«محمد بن إسحق النديم ، كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب ، مصنف كتاب ـ الفهرست ـ الذي جوّد فيه ، واستوعب استيعاباً ، يدل على اطلاعه على فنون من العلم ؛ وتحققه لجميع الكتب ، ولا أبعدُ أن يكون وراقاً يبيع الكتب ، وذكر في مقدمة هذا الكتاب ؛ أنه صُنِّف في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وله من التصانيف ، فهرست الكتب ، وكتاب التشبيهات ، وكان شيعياً معتزلياً»**[2] .

هذا كل ما ذكره ياقوت ، ولا نعرف من هذه الترجمة متى كان مولده ، ولا في أي قطر كان ، وكيف كانت حياتُهُ ، وما نوع العلوم التي تعلّمها ، وعمّن أخذ ومتى توفي ؟!! . وكل الذي نعرفه ، أن ـ **ابن النجار** ـ في كتابه «ذيل تاريخ بغداد» قال : «إن ابن النديم ـ صنّف كتاب الفهرست ـ في شعبان سنة (٣٧٧ هـ) . ومات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة (٣٨٥ هـ) ، وقد يُفهمُ من قول ابن ـ النجار ـ أنه ألّف الكتاب في شعبان سنة (٣٧٧ هـ) ، والذي يظهر أنه إنما يريدُ أنه ينهيه في هذا الشهر من تلك السنة ، وكل عمدة الذين يترجمون له بعد هذين النصين ، إنما هو على كتاب ـ الفهرست ـ نفسه وما يستنتج منه ، والمتتبع للكتاب ، يرى أنه نصَّ في مواضع كثيرة على أنه ألّفه سنة (٣٧٧ هـ) ، فيقول ـ مثلاً ـ في آخر المقالة الأولى : «هذا آخرُ ما صنفناهُ من المقالة الأولى من كتاب ـ الفهرست ـ إلى يوم السبت مستهل شعبان سنة (٣٧٧ هـ)»[4] .

ولكننا نجدُ أنه نصَّ في مواضع مختلفة على أشياء حدثت بعد هذا التاريخ ، فيقول في ترجمة **«المرزباني»** إنه توفي سنة (٣٧٨ هـ) !! ، ويقول في وفاة **«ابن جني»** إنه مات سنة (٣٩٢ هـ) !! . وعن وفاة **«ابن نباتة التميمي»** إنه مات بعد الأربعمائة !! ، وهذا يخالف مخالفة تامة ما ذكره المؤلف من أنه ألّفه سنة (٣٧٧ هـ) ، وما نقله ـ ابن النجار ـ من أنه مات سنة (٣٨٥ هـ) .

والذي يظهر أن المؤلف كتب نسخته سنة (٣٧٧ هـ) ، وكان يترك فيها بياضاً ، يملؤه بما يجده بعد ذلك أو يضع على النسخة تعليقات في أزمنة مختلفة ، ويدلُّ على ذلك قوله في ترجمة ـ المرزباني ـ : «إن مولده في جمادى الآخرة سنة (٢٩٧ هـ) ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة

(٣٧٧ هـ) ... وتوفي سنة (٣٧٨ هـ)!! .

والظاهر أن الزمن الذي كتب فيه جملة – ويحيا إلى وقتنا هذا – غير الزمن الذي كتب فيه – وتوفي سنة ٣٧٨ هـ – وظل يعمل في نسخته إلى أن مات ، ثم كان العلماء بعده يتعاقبون عليه بالزيادات الذي وُجدت بعد هذا التاريخ ، وقد طلب المؤلف نفسه ذلك ممن يأتي بعده فيقول :

« وزعم اليزيدية أن له – الحسن بن علي – نحواً من مئة كتاب ، ولم نرها ، فإن رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها »[٥] !! .

اسم الكاتب

أما اسمه ، فيكاد يُجمعُ مَن ينقل عنه ، ومن يترجم له على أن اسمه – **محمد بن إسحق** – ، وبعضهم يقول – **محمد بن النديم** – وتارة يقولون : – قال **ابن النديم** – ويختلفون في كنيته ، فبعضهم يكنيه – **أبا الفتح** – وبعضهم يكنيه – **أبا الفرج** – ومولده على ما يظهر في **بغداد** ، – فابن **أبي أصيبعة** – في كتابه « طبقات الأطباء » يقول : – قال **محمد بن إسحق النديم البغدادي** في كتابه « الفهرست » – وقد نقل عنه – ابن أبي أصيبعة – في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » في الصفحات : – ٩١ و ٢٦٠ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٣٢٩ و ٤١٤ – وهو يترجمُ للأطباء العرب وغير العرب من الذين تعلموا العلوم القديمة ، واطلعوا على تصانيف اليونان والفرس والهند الموجودة بلغة العرب[٦] .

حياته

من العسير تحديد مولد – ابن النديم – وكل الذي نعرفه أنه يقول في ترجمة (**الصفواني**) : « لقيته سنة (٣٤٦ هـ) فهو – إذن – كان يعيش في هذه السنة ، وكان على الأقل شاباً يستطيعُ أن يصف ما يلق ، ويدون سنة لقياه بل أكثر من هذا يقول في ترجمة – **البردعي** – : رأيته سنة (٣٤٠ هـ) وكان بي أنساً » !! .

وقد ذكروا ، أنه كان **وراقاً** ، وتصفه بعض الكتب بأنه كان **كاتباً** ، وكلتا الحرفتين أعانتاه على تأليف هذا الكتاب ، فالوراقة حرفة احترفها كثير من العلماء ، ووظيفتها انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها ، فهذه المهمة كانت تقوم في ذلك العصر مقام الطباعة في عصرنا بل أكثر منها ، إذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت إشرافه ، ويصحح هذه النسخ ، حتى لا يقع فيها تحريف ، ويجلّدُهُ ويبيعهُ !! ، وقد اشتهرت الوراقة في عصر ابن النديم شهرة ذائعة ، والكتب التي نقلت في عصره تدل على جودة تصحيحها والعناية بها ، ومبلغ رقي هذه الصناعة !! . وقد اتخذ صناعة الوراقة كثير من الأدباء والعلماء ، ترجم لهم – ياقوت – في – معجم الأدباء – بل كان – ياقوت – نفسه وراقاً ينسخ الكتب ويبيعها ، وخلّف مكتبة كبيرة ، انتفع منها – ابن الأثير – صاحب كتاب – الكامل في التاريخ – .

وأما **الكتابة** فكانت حرفة ، يحترفها طائفة من الناس ، وكانت تتطلب معرفة بفنون مختلفة من العلوم ، وسعة في الاطلاع على النحو الذي أُلِّفَ فيه – صبح الأعشى للقلقشندي ونهاية الأرب **للنويري**[٧] – !! .

هاتان الصناعتان ، الوراقة والكتابة مكّنتا – ابن النديم – من سعة الاطلاع الذي برز في كتاب « الفهرست » فقد اطلع – ابن النديم – على كل ما أُلِّفَ باللغة العربية في كل فن ديني أو فلسفي أو تاريخي أو أدبي ، وفي العلوم الأساسية والإنسانية ، هذا إلى الدقة المتناهية في تحري الحق ، فما رآه ، يقول ، قد رأيته ، وما سمعه ينصُّ على أنه لم يره ، ويخلي نفسه من تبعته ! .

وكثير من الكتب ما كان لنا أن نعلم شيئاً عن أسمائها لولا ذكر ابن النديم لها ، لأنها ضاعت مع ما ضاع من نفائس التراث نتيجة الغزو المستمر للوطن العربي ، وقد وردت عبارة في كتاب – الفهرست – استنتج منها المستشرق « **فلوجل** » أن – ابن النديم – كان في – **القسطنطينية** – سنة (٣٧٧ هـ) ، وهي أنه ذكر عند الكلام على مذاهب أهل الصين وشيء من أخبارهم ، أنه لقي الراهب – النجراني – الوارد من بلاد الصين في سنة (٣٧٧ هـ) ، وكان قد مكث بها ست سنين ، إلى أن يقول : « فلقيته بدار الروم وراء البيعة ، فرأيت رجلاً شاباً ، حسن الهيئة ، قليل الكلام إلا أن يسأل ، فسألته » .

وقد استنتج « فلوجل » أن دار الروم هي – القسطنطينية – وأن البيعة هي الكنيسة الكبرى التي صارت فيا بعد مسجد « **أيا صوفيا** » !! . وهذا استنتاج غير صحيح لم يوافقه عليه المستشرقون ، فالمراد بدار الروم محلة كان يسكنها الروم في بغداد ، وبالبيعة بيعة لهم هناك ، كما سمى المصريون حارة من حارات القاهرة بحارة الروم ، والدليل على هذا أنه يقول : « إن **الجاثليق** الكبير أرسل هذا الراهب إلى الصين ، ثم عاد بعد ست سنين » فالظاهر ، أن الجاثليق ، هو جاثليق بغداد ، وأنه عاد إلى بغداد ، وأن المقابلة ، كانت بها لا بالقسطنطينية[٨] .

أهمية الفهرست ومكانته

والحق ، أن كتاب – الفهرست – ذخيرة لا تقدر ، غرضه أن يحصي جميع أنواع العلوم ويصفها ويبين مترجميها أو مؤلفيها ، ويذكر طرفاً من تاريخ حياتهم ويعين تاريخ وفاتهم ، **فكان هذا الكتاب على هذا النمط أجمع كتاب لإحصاء ما ألّف الناس إلى آخر القرن الرابع الهجري ، وأشمل وثيقة تبين ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العقلية والعلمية في ذلك العصر** ، وأكثر هذه الكتب قد ضاعت بتوالي النكبات على الأرض العربية والإسلامية ، ولا سيا غزو التتار لبغداد ، ولولا كتاب الفهرست لضاعت أسماؤها وأوصافها كما ضاعت معالمها ! .

شاهد على عصره

والناظر في كتاب الفهرست يعجب لهذا النشاط العلمي الذي كان في **العصر العباسي**

وكثرة المؤلفين والمترجمين في جميع نواحي العلم ، كما يُعجب بسعة اطلاع ابن النديم وحبه للوقوف على كل شيء حتى في أدق مسائل الأديان المختلفة والمذاهب المتنوعة . ويستقصي البحث عن أحوال الصين والهند ، كما يستقصي البحث عن الشام والعراق ، ويتحدث عن **أفلاطون** كما يتحدث عن **الفارابي** وهو في كل ذلك يقابل أصحاب النحل المختلفة ويسائلهم ويدقق في أخبارهم ، ثم يدون ما سمع !! لذلك كان الكتاب — بحق — مرجع كل باحث .

كان عمدة **ابن أبي أصيبعة** في كتابه « طبقات الأطباء » **والقفطي** في « أخبار الحكماء » ، **وجرجي زيدان** في « تاريخ التمدن الإسلامي » والمستشرق — **خولسن** — في بحثه عن الصابئة ، و — **فلوجل** — في بحثه عن — ماني — ولا يزال مورداً لا ينضب لكل منقب أو باحث !! .

أسلوبه

ولابن النديم أسلوب في كتابته غريب ، قلَّ من احتذاه من المؤلفين ، **وهو أسلوب اقتصادي يكره اللغو والمقدمات والإطالة في أداء المعنى** ، ويحب أن يندفع إلى صميم الموضوع من غير مواربة ولا تمهيد ، وخير نموذج لذلك فاتحة كتابه إذ يقول : « ربِّ يسر برحمتك . النفوس — أطال الله بقاءك — تشرئبُّ إلى النتائج دون المقدمات وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات ، فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات في صدر كتابنا هذا ، إذ كانت دالة على ما قصدنا في تأليفه » !! .

ثم يحصر ما يريده من أبواب الكتاب ، ويأخذ في الكلام بدقة وإيجاز حتى لا تستطيع أن تحذف جملة ، لأن معناها مكرر أو عباراتها مترادفة !! .

ثم هو صادق يتحرى الصدق ، ويميِّز بين ما رأى وما لم ير ، وينقل كل ذلك إلى القارئ في أمانة تستدعي الإعجاب ، ولم يحاول — ابن النديم — أن يزوق عبارته ويصقلها ، ولكنه استطاع أن يؤدي ما يريد في ضبط وإحكام !! .

ابن النديم .. والمؤرخون المعاصرون

إن الإغفال الذي لقيه — ابن النديم — عند المؤرخين القدامى لم يستمر في العصر الحديث ، ففي هذا القرن نال حقه من الشهرة والتقدير ، فقد ترجم له — **جرجي زيدان** — في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » فقال : هو أول من ألّف في آداب اللغة ، وقد عني بطبع هذا الأثر النفيس المستشرق « فلوجل » سنة ١٨٧١ م ، في **ليدن** ، في مجلد صفحاته (٢٦٠ صفحة) كبيرة غير الفهارس والشروح في اللغة الألمانية ، وهي نحو ذلك العدد ، وبعد طبع — الفهرست — عثروا على قطعة منه ساقطة من أول المقالة الخامسة صفحة (١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام ، وهم — **واصل بن عطاء ، والعلاف ، والنظام ، وثمامة ، والجاحظ ، وابن أبي داود ، وابن الرواندي ، والناشئ ، والجبائي ، والرماني ، وهشام بن الحكم ، وشيطان الطاق** — وغيرهم ، وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الألمانية سنة ١٨٨٩ م .

والفهرست ذخيرة أدب نفيسة ، لأنه حوى من أحوال آداب اللغة العربية في القرون الأولى ما لم يتعرض له غيره ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ »[٩] ! .

وقد ترجم له — **خير الدين الزركلي** — في كتابه « الأعلام » ، وترجمت له « **الموسوعة العربية الميسرة** » ، وترجم له **الدكتور عمر فروخ** في كتابه « **تاريخ الأدب العربي** » .

وفي كتاب — الفهرست — ملاحظات قيمة جداً في تاريخ العلوم وتاريخ التأليف ، والكتاب مقسمٌ عشر مقالات ، والمقالة تسمى جزءاً كما سماها في صفحة ٢٠٣ — ٣١٥ .

طبعاته

ونشر الفهرست — **غوستاف فلوجل** — عام ١٨٧١ م ، في **ليبسيك** ، وقد أعادت **مكتبة خياط** ببيروت طبعه بالتصوير عام ١٩٦٤ م ، وطبعته في **القاهرة** المطبعة التجارية عام ١٣٣٨ هـ ، والمطبعة الرحمانية سنة ١٣٤٨ هـ .

أقسامه

قسّم ابن النديم كتابه إلى عشر مقالات ، وقسّم كل مقالة إلى عدة فنون :

★ **فالمقالة الأولى** : وهي ثلاثة فنون ، **الفن الأول** في وصف لغات الأمم من العرب والعجم ، ونعوت أقلامها ، وأنواع خطوطها ، وأشكال كتاباتها ، **والفن الثاني** في أسماء كتب الشرائع المنزلة ، **والفن الثالث** في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وأسماء الكتب المصنفة في علومه ، وأخبار القراء وأسماء رواتهم ، والشواذ من قراءاتهم .

★ **والمقالة الثانية** : وهي ثلاثة فنون في **النحويين واللغويين** ، **الفن الأول** في ابتداء النحو ، وأخبار النحويين البصريين ، وفصحاء الأعراب ، وأسماء كتبهم ، **والفن الثاني** في أخبار النحويين واللغويين من الكوفيين ، وأسماء كتبهم ، **والفن الثالث** في ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم .

★ **والمقالة الثالثة** : هي ثلاثة فنون في **الأخبار والآداب والسيَر والأنساب** ، **الفن الأول** في أخبار الأخباريين والرواة والنسابين وأصحاب السيَر والأحداث وأسماء كتبهم ، **والفن الثاني** في أخبار الملوك والكتّاب والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم ، **والفن الثالث** في أخبار الندماء والجلساء والمغنين والمضحكين وأسماء كتبهم .

★ **والمقالة الرابعة** : وهي فنان في **الشعر والشعراء** ، **الفن الأول** في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية وصناع دواوينهم وأسماء رواتهم ، **والفن الثاني** في

طبقات الشعراء الإسلاميين والشعراء المحدثين إلى عصر المؤلف .

★ **والمقالة الخامسة** : وهي خمسة فنون في **الكلام والمتكلمين ، الفن الأول** في ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة ، وأسماء كتبهم ، **والفن الثاني** في أخبار متكلمي الشيعة الإمامية والزيدية ، وغيرهم من الغلاة الإسماعيلية وأسماء كتبهم ، **والفن الثالث** في أخبار متكلمي المجبرة والحشوية وأسماء كتبهم ، **والفن الرابع** في أخبار متكلمي الخوارج وأصنافهم وأسماء كتبهم ، **والفن الخامس** في أخبار السياح والزهاد والعبّاد والمتصوفة والمتكلمين على الوساوس والخطرات وأسماء كتبهم .

★ **والمقالة السادسة** : وهي ثمانية فنون **في الفقه والفقهاء والمحدثين ، الفن الأول** في أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم ، **والفن الثاني** في أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم ، **والفن الثالث** في أخبار الإمام الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم ، **والفن الرابع** في أخبار داود وأصحابه وأسماء كتبهم ، **والفن الخامس** في أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم ، **والفن السادس** في أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم ، **والفن السابع** في أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه وأسماء كتبهم ، **والفن الثامن** في أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم .

★ **والمقالة السابعة** : وهي ثلاثة فنون في **الفلسفة والعلوم القديمة ، الفن الأول** في أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم ونُقُولها وشروحها والموجود منها ، وما ذكر ولم يوجد ، وما وجد ثم عدم ، **والفن الثاني** في أخبار أصحاب التعاليم والمهندسين والإرثماطيقيين والموسيقيين والحساب والمنجمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات ، **والفن الثالث** في ابتداء الطب وأخبار المتطببين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ونقولها وتفاسيرها .

★ **والمقالة الثامنة** : هي ثلاثة فنون في **الأسماء والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة ، الفن الأول** في أخبار المسامرين والخرفين والمصورين وأسماء الكتب المصنفة في الأسماء والخرافات ، **والفن الثاني** في أخبار المعزمين والمشعبذين والسحرة وأسماء كتبهم ، **والفن الثالث** في الكتب المصنفة في معان شتى لا يعرف مصنفوها ولا مؤلفوها .

★ **والمقالة التاسعة** : وهي فنان في **المذاهب والاعتقادات ، الفن الأول** في وصف مذاهب الحرانية والكلدانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة ، ومذاهب الثنوية من المنانية والديصانية والخرمية والمرقيونية والمزدكية وغيرهم ، وأسماء كتبهم ، **والفن الثاني** في وصف المذاهب الغريبة الطريقة كمذاهب الهند والصين وغيرهم من أجناس الأمم .

★ **والمقالة العاشرة** : تحتوي على أخبار الكيميائيين والصنعونيين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم[10] .

هذا ، وقد قسّم ابن النديم ـ بعد تقسيمه كل مقالة إلى عدة فنون ـ الفن الواحد إلى عدة فصول لها عناوينها .

الهوامش

(١) الفهرست : ابن النديم ، المطبعة التجارية ، القاهرة ، عام ١٣٣٨ هـ ، ص (٨) .
(٢) معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، تحقيق مرجليوث ، دار المأمون ، القاهرة ، ج (١٨) ، ص (١٧) .
(٣) مقدمة الفهرست ، ص (٣) .
(٤) الفهرست ، ص (٦٤) .
(٥) مقدمة الفهرست ، ص (٤) .
(٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دون ذكر التاريخ .
(٧) مقدمة الفهرست ، ص (٥) .
(٨) مقدمة الفهرست ، ص (٥) .
(٩) تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، دار الهلال ، القاهرة ، عام ١٩٥٧ م ، الجزء الثاني ، ص (٣٦٥) .
(١٠) الفهرست ، ص (٩ و ١١) .



كسوة الكعبة المشرفة عبر العصور

تصوير: محمد بيبر

تعد كسوة الكعبة المشرفة من أهم مظاهر الاهتمام والتشريف والتبجيل للبيت الحرام .. ويرتبط تاريخ كسوة الكعبة بتاريخ الكعبة نفسها . إذ يرى بعض العلماء أن إسماعيل عليه السلام قد كسا الكعبة كما ذكر أيضا أن (عدنان بن أد) الجد الأعلى للرسول ﷺ هو أول من كساها ، ولكن الثابت أن (تبع الحميري) ملك اليمن هو أول من كساها بالخصف وهي (ثياب غلاظ) ثم كساها المعافير ثم كساها الملاء والوصائل ..



وبعد تبع كساها الكثيرون في الجاهلية وكان ذلك واجباً من الواجبات الدينية ، وكان مباحاً لكل من يريد أن يكسو الكعبة أن يفعل متى شاء ومن أي نوع شاء .. وكانت الكسوة تصنع من الخصف والوصائل ثياب مخططة ـ يمانية ـ والكرار والديباج والخز والنيارق العراقية .. والحبر اليماني والأنماط وبالقباطي ـ ثياب مصرية ـ وكلها أنواع من النسيج كانت معروفة في الجاهلية .

وكانت الكسوة توضع على الكعبة فوق بعضها فإذا ثقلت أو بليت أزيلت عنها وقسمت أو دفنت ، ومن ضمن ما يحكى عن الكسوة في الجاهلية أن (أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو المخزومي) أصاب ثراءً واسعاً فقال لقريش أنا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة .. فوافقت قريش على ذلك وظل يفعل حتى مات وسمته **قريش** (العدل) لأنه عدل بفعله قريش كلها .



في عهد الرسول والخلفاء

كان من الطبيعي أن لا يشارك **الرسول عليه الصلاة والسلام** ومعه المسلمون في كساء الكعبة قبل الفتح ذلك أن المشركين من قريش لم يتيحوا لهم هذا الأمر .. إلى أن تم فتح مكة فأبقى عليه الصلاة والسلام على كسوة الكعبة ولم يستبدلها حتى احترقت على يد امرأة كانت تريد تبخيرها فكساها **الرسول** ﷺ بالثياب اليمانية ، ثم كساها الخلفاء الراشدون من بعده بالقباطي.

بعد الخلفاء الراشدين

ثبت أن **معاوية بن أبي سفيان** كان يكسو الكعبة مرتين سنوياً





بالديباج يوم عاشوراء وبالقباطي في آخر شهر رمضان .. ثم كساها **يزيد ابن معاوية وابن الزبير وعبد الملك بن مروان** بالديباج وتراكمت الأكسية حتى خشي على الكعبة من تداعي بنائها حتى حج **المهدي العباسي** عام مائة وستين هجرية فأمر بألا يبقى عليها سوى كسوة واحدة وهو المتبع إلى الآن .

أما الخليفة **المأمون** فقد كسا الكعبة المشرفة ثلاث مرات في السنة .. بالديباج الأحمر يوم الثامن من ذي الحجة ، وبالقباطي الأبيض أول رجب ، وبالديباج في التاسع والعشرين من رمضان .. ثم كساها **الناصر العباسي** ـ وهو معاصر لصلاح الدين الأيوبي الذي فتحت القدس في حياته ـ ثوباً أخضر ثم ثوباً أسود ، ومنذ ذلك التاريخ احتفظ باللون الأسود للكسوة . وأول حاكم مصري سعى إلى كسوة الكعبة المشرفة بعد انقضاء دولة العباسيين هو (**الملك الظاهر بيبرس**) ، ثم كساها **الملك المظفر ملك اليمن** عام (٦٥٩ هـ) واستمر يكسوها بالتعاقب مع ملوك مصر .

وفي عام (٨١٠ هـ) أدخلت الستارة المنقوشة التي توضع على واجهة باب الكعبة والتي تسمى بـ (البرقع) ثم انقطعت ما بين سنتي (٨١٦ هـ ـ ٨١٨ هـ) ثم استؤنفت عام (٨١٩ هـ) حتى الآن .

وفي عام (٧٥١ هـ) أوقف **الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر** وقفاً خاصاً لكسوة الكعبة الخارجية السوداء مرة كل سنة ، وكسوة داخلية حمراء ، وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة مرة كل خمس سنوات .. ولكن الخديوي (**محمد علي باشا**) حل ذلك الوقف في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وأصبحت الكسوة تصنع على نفقة الحكومة .. واختصت **تركيا** ومن يتولى السلطنة من آل عثمان بكسوة الكعبة الداخلية وكسوة الحجرة النبوية الشريفة .

في العهد السعودي

انطلاقاً من اهتمام **المغفور له الملك عبد العزيز** مؤسس المملكة العربية السعودية برعاية الحرمين الشريفين فقد أمر جلالته في مستهل شهر محرم سنة (١٣٤٦ هـ) بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المعظمة وتم توفير كل ما يحتاج إليه العمل وافتتاح **مصنع كسوة الكعبة** في منتصف نفس العام ، وتم إنتاج أول كسوة للكعبة المشرفة في أم القرى ليصبح هذا الشرف العظيم للمملكة العربية السعودية واستمر المصنع حتى عام (١٣٥٧ هـ) ينتج ثوب الكعبة المشرفة ..





ورغبة في اتقان هذا العمل وإظهاره بالصورة التي تتلاءم مع قدسية الكعبة المشرفة صدر أمر جلالة المغفور له **الملك فيصل بن عبد العزيز** رحمه الله في عام (١٣٨٢ هـ) بتجديد مصنع الكسوة ، وفي عام (١٣٩٧ هـ) تم افتتاح المبنى الجديد **بأم الجود** ، وزود بماكينات تحضيرات النسيج الآلية وأحدث قسم النسيج الآلي مع الإبقاء على أسلوب الإنتاج اليدوي لما له من قيمة فنية عالية ومازال المصنع يواكب عجلة التطور وإحياء التراث العريق في آن واحد لينتج كسوة البيت في أبهى صورها ..

وصف كسوة الكعبة المشرفة

تنسج الكسوة من الحرير الطبيعي الخالص المصبوغ باللون الأسود وقد نقش عليه بطريقة الجاكار عبارات (لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ الله جل جلاله ـ سبحان الله وبحمد ـ سبحان الله العظيم) .. وبلغ ارتفاع الثوب (١٤) متر ويوجد في الثلث الأعلى من هذا الارتفاع حزام الكسوة بعرض (٩٥ سم) مكتوب عليه آيات قرآنية مختلفة بالخط الثلث المركب محاطة بإطار من الزخارف الإسلامية ويطرز الحزام بتطريز بارز مغطى بسلك فضي مطلي بالذهب .. ويحيط الحزام بالكسوة كلها ويبلغ طوله (٤٧) متر ويتألف من (١٦) قطعة كما يوجد تحت الحزام على الأركان (الصمدية) سورة الإخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية .. وعلى نفس الإرتفاع وتحت الحزام أيضا يوجد (٦) آيات من القرآن مكتوب كل منها داخل إطار منفصل وفي الفواصل بينهم يوجد شكل قنديل كتب عليه (ياحي ياقيوم) أو (يارحمن يارحيم) أو (الحمد لله رب العالمين) ..

وكل ما تحت الحزام مكتوب بالخط الثلث المركب ومطرز تطريز بارز ومغطي بأسلاك الفضة المطلية بالذهب وقد أحدث وضع هذه القطع في العهد السعودي ..

أما ستارة باب الكعبة ويطلق عليها (البرقع) فمصنوعة من نفس القماش الحرير الأسود ارتفاعها سبعة أمتار ونصف متر وعرضها أربعة أمتار مكتوب عليها آيات قرآنية وزخارف إسلامية كلها مطرزة تطريزاً بارزاً مغطى بأسلاك الفضة المطلية بالذهب .

وتبطن الكسوة كلها بقماش خام متين بما في ذلك الستارة وتتكون من خمس قطع أربعة منها تغطي كل واحدة وجه من وجوه الكعبة والخامسة هي الستارة التي توضع على الباب ويتم تجميع هذه القطع على الكعبة نفسها بعد خلع الثوب القديم .



مراحل صناعة الكسوة

●● **التصميم** : إن التصميمات الفنية والخطوط المكتوبة على الكسوة ليست ثابتة بل ينالها شيء من التغيير من حين إلى آخر بغية الحصول على ماهو أفضل .. ويقوم المصمم بعمل دراسات للزخارف والخطوط في الفن الإسلامي ويسجل أفكاره في « اسكتشات » سريعة ، يلي ذلك وضع تصميمات مدروسة ترسم رسماً دقيقاً في المساحة المطلوبة ويتم تلوينها وتحبيرها تمهيداً للتنفيذ .. وتشمل هذه العملية تصميم الزخارف والخطوط المطرزة على الحزام والستارة وتصميم الزخارف النسجية المنفذة على أقمشة الجاكار للكسوة الخارجية أو الداخلية ، وتُعد رسوم تنفيذية على ورق مربعات خاص بذلك يتم ترجمتها إلى ثقوب على ورق كرتون خاص يركب فيما بعد على ماكينة الجاكار حيث تحدث الثقوب حركة الخيوط إلى أسفل وإلى أعلى مشكلة نفس الزخارف المصممة . أما التصميمات التي يتم تطريزها على قماش الكسوة فيقوم بها قسم الطباعة .

●● **مرحلة الطباعة** : في قسم الطباعة يتم أولاً تجهيز المناسج .. والمنسج عبارة عن أربعة أضلاع من الخشب المتين يثبت عليها قماش خام ويشد عليه قماش أسود غير منقوش من قماش الكسوة ويقسم إلى تقسيمات مختلفة حسب التصميم المطلوب طباعته بعلامات ضبط .. وتتم الطباعة بأحبار تعد بالقسم من خلال ما يسمى بالشبلونات أو الشاشة الحريرية ، وهذه الشبلونات يتطلب إعدادها جهداً فنياً يضيق المجال في وصفه إلا أنه يمكن القول إنها تشبه قوالب الطباعة المعروفة لدى الكثيرين .. ولعل مما يستحق ذكره أن الطباعة تتم بطريقة يدوية نظراً لاتساع الرقعة المطلوبة .. وتعرف طباعة المنسوجات ذات الأبعاد الكبيرة بطباعة (البصمة) وهي نمط فريد يتطلب دقة وحذقاً .. وقد كانت التصميمات المنفذة بالتطريز تنقل إلى الأقمشة سابقاً بطريقة تسمى (الترب) وهي طريقة بدائية متبعة من قديم .. وقد أحدثت إدارة المصنع قسم الطباعة ضمن الجهود المستمرة لتطوير الإنتاج فأصبحت التصميمات الآن واضحة ودقيقة وثابتة بالنسبة للمطرز .. وهكذا تكون المناسج المطبوعة جاهزة لمرحلة التطوير .. ونرجىء الحديث عن هذه المرحلة لحين الإشارة إلى كيفية تصنيع قماش الكسوة نفسه .







●● **مرحلة الصباغة** : هي أول مراحل إنتاج القماش بالمصنع ، حيث ترد الخيوط الحريرية بلونها الطبيعي فيتم في قسم الصباغة صباغتها باللون المطلوب وهو الأسود بالنسبة للكسوة الخارجية للكعبة ، والأخضر للكسوة الداخلية ، والأحمر الداكن بالنسبة لحزام الغرفة النبوية الشريفة .. كما تصبغ الخيوط القطنية المستخدمة كحشو أو كتطريز مبدئي باللون الأصفر الذهبي ..

توزن الخيوط ويجهز لها كميات تتناسب مع وزنها من الصبغة والكيماويات ومواد التبيض أولاً في أحواض من الماء الساخن المضاف إليه بعض الكيماويات لإزالة الأصباغ أو الشوائب العالقة بها ثم تنقل من حوض إلى آخر عدة مرات حتى تتم عملية الغسيل والتبيض ، وفي النهاية تنقل إلى حوض الصباغة الذي توجد به الصبغة باللون المطلوب وعديد من الكيماويات المساعدة والمثبتة للون ضد ضوء الشمس والمطر والاحتكاك ، وتعصر في النهاية وتجفف لتخرج الخيوط مصبوغة صباغة ثابتة متجانسة .. وقد أشاد مندوبو شركات تصنيع الصبغات بالنتيجة الرائعة لعملية الصباغة لخيوط نسيج كسوة الكعبة التي تمكث عاماً كاملاً



معرضة للأشعة القوية لشمس مدينة مكة المكرمة وللأمطار ولاحتكاك أيدي الطائفين والمتعلقين بأستار الكعبة .

مراحل تحضير النسيج

في هذه المراحل يتم تجميع الخيوط الطولية للنسيج (**السداء**) بجانب بعضها البعض على أسطوانة تعرف بمطوة السداء وتسمى هذه المرحلة (**التسدية**) ثم تمرر الأطراف الأولى بهذه الخيوط داخل أسلاك الأمشاط الخاصة بأنوال النسيج (النير) وتسمى هذه المرحلة (**اللقى**) .. أما الخيوط العرضية للنسيج فتلف على بكر خاص تعرف (بالبوبينية) التي تثبت داخل المكوك وهو الذي يتحرك داخل الخيوط الطويلة (السداء) يميناً ويساراً مكوناً المنسوج ، وفي السابق كانت هذه الخطوات تتم بطريقة يدوية أما الآن وبعد التطورات المستمرة لعوامل الإنتاج فأصبحت تتم معظمها بطرق ميكانيكية متطورة ساعدت على زيادة الإنتاج بشكل كبير .. وبعد هذه المرحلة تأخذ هذه الخيوط طريقها إلى أقسام النسيج اليدوي أو الآلي .

●● **النسيج اليدوي** : القيمة الفنية للنسيج اليدوي معروفة عالمياً ، ويتهافت الكثيرون على اقتنائه مهما تطور النسيج المنتج آلياً .. وفي مصنع الكسوة يتكاتف قسم النسيج اليدوي الذي ينتج الثوب الخارجي للكعبة مع قسم الثوب الداخلي في إنتاج أقمشة الجاكار ..

عمل دائم دقيق وصبر يعمره الإيمان ونتيجة نسيج فني رائع يسبح مع الطائفين حول الكعبة المشرفة أن (لا إله إلا الله .. محمد رسول الله) هكذا خط عليه . كما يتم أيضا داخل قسمي النسيج اليدوي إنتاج النسيج السادة الذي سيطبع ويتم التطريز عليه فيما بعد .. كما يوجد نول لإنتاج أقمشة البطانة ويطلق عليه « **قماش القلع** » .

●● **النسيج الآلي** : قدر آخر من الخيوط المصبوغة والمجهزة للنسيج تتلاحم على الأنوال الآلية الحديثة فيتم إنتاج أقمشة الجاكار والسادة . فقد كان من الطبيعي مع زيادة الكميات المطلوبة من الأقمشة أن تتجه أنظار المسؤولين عن المصنع إلى أنوال النسيج الآلي ، ويستطيع الشباب السعودي تشغيل أحدث معدات النسيج الآلية ليواكب مصنع الكسوة حركة التقدم العلمي والتكنولوجي العالمية وتضاعف الإنتاج وتحمل الأيدي السعودية العاملة الشابة على عاتقها مسؤولية تطوير صناعة النسيج في المملكة حيث







يربطون بين عراقة وأصالة الماضي بإنتاج معاصر يمثل باكورة الإنتاج لصناعة النسيج المتطور .

مرحلة التطريز

بعد إنتاج الأقمشة ، وبعد أن تتم طباعة النسيج السادة منها كما أوضحنا سابقاً نصل إلى أهم مرحلة في عملية صناعة الكسوة وهي مرحلة (**التطريز**) التي تتم أولاً بوضع خيوط قطنية بكثافات مختلفة فوق الخطوط والزخارف المطبوعة على الأقمشة المشدودة على المنسج بحيث تشكل بروزاً عن مستوى سطح القماش ، ثم يطرز فوقها بخيوط متراصة من القطن الأصفر في اتجاهات متقابلة وبدقة بالغة ليتكون الهيكل الأساسي البارز للتصميم .. ثم يغطي هذا التطريز بأسلاك من الفضة المطلية بالذهب .. فيتكون في النهاية تطريز بارز مذهب يصل ارتفاعه فوق مستوى سطح القماش إلى (٢ سم) الأمر الذي يستحيل تنفيذه بأي ماكينة على الاطلاق .. وتعمل الأيدي دون ملل أو تعب في تنفيذ تحفة فنية رائعة يتجلى فيها روعة الإتقان ودقة التنفيذ .

ويتم أخيراً تجميع الأقمشة الجاكار بجنب بعضها البعض مع المحافظة على التصميم الموجود عليها في مجموعات بحيث تشكل كل مجموعة جانباً من جوانب الكسوة ، كما يثبت على كل جانب الآيات المطرزة على الارتفاعات المحددة لها ثم يبطن كل جانب بأقمشة القلع القوية فيزيد من متانتها وقوة تحملها .. وهذا ما ينطبق أيضاً على ستارة باب الكعبة فيتم تجميع خمس قطع مطرزة تشكل التصميم الموضوع بعضها بجانب بعض في اتجاه رأسي وتبطن أيضاً . وبهذا تصبح كسوة الكعبة جاهزة لوضعها على الكعبة المشرفة في التاسع من شهر ذي الحجة من كل عام ، يوم يقف الحجاج بعرفات حتى إذا أفاضوا وطافوا طواف الإفاضة حول البيت ظهرت الكعبة في حلتها الجديدة اللائقة بقداستها ومكانتها في نفوس المسلمين .

منتجات أخرى وجهد متواصل

كثيراً ما يوجه إلى المسؤولين والقائمين على العمل في مصنع الكسوة سؤال هو : **هل يقوم المصنع بإنتاج كسوة الكعبة فقط طول العام ؟**

والإجابة على هذا السؤال التي قد لا يعرفها الكثير هي : أن مصنع الكسوة يقوم بإنتاج الكسوة الداخلية للكعبة ، وكسوة الحجرة النبوية



المصنع .. في سطور وأرقام

●● بدأ العمل في إنتاج الكسوة بمكة المكرمة عام ١٣٤٦ هـ ، واستمر إلى ١٣٥٧ هـ ، ثم إعيد افتتاح المصنع عام ١٣٨٢ هـ واستمر حتى الآن .

●● بدأ العمل في المصنع (١٦) عاملا جميعهم من السعوديين ، ثم أخذ العدد في التزايد حتى أصبح الآن (٢٤٠) عاملاً منهم عشرة فنيين متعاقدين والباقون جميعا سعوديين .

●● **يتكون المصنع من ستة أقسام :**
★ بدأ المصنع بأقسام الحزام — النسيج اليدوي — الصباغة .
★ ثم استحدثت ثلاثة أقسام هي (قسم النسيج الآلي — قسم الطباعة — قسم الستارة الداخلية) وقد أنتج هذا القسم أحدث ستارة داخلية وضعت داخل الكعبة في شهر صفر عام ١٤٠٣هـ .

●● يصنع ثوب الكعبة من الحرير الخالص حيث تستورد مادته الخام من الخارج ويجرى صباغتها بالمصنع ويستهلك الثوب الواحد (٦٧٠) ستمائة وسبعين كيلو جراماً من الحرير ، وهي بعد النسيج تشكل مسطح ثوب الكعبة المشرفة الذي يبلغ (٦٥٨) متراً مربعاً ويتكون من (٤٧) طاقة قماش طول كل منها (١٤) متراً وعرضها (٩٥) سم .

●● القطع المذهبة المثبتة على الثوب — الحزام — ويتكون من (١٦) قطعة ، طولها معا حوالى (سبعة وأربعون متراً) وعرضها (٩٥ سم) — بالإضافة إلى (٤) صمدية و(٦) قطع آيات ماتحت الحزام وقطعة الإهداء و(١١) قنديلاً موضوعة بين أضلاع الكعبة الأربعة .

●● يبلغ طول ستارة الكعبة (٧,٥) متراً × ٤ متر عرضا ومشغولة جميعها بآيات قرآنية من السلك الذهبي والفضي .

●● يبلغ مجموع تكاليف الثوب الواحد (١٧) مليون ريال تقريباً بما في ذلك تكلفة الخامات وأجور العاملين والإداريين .

●● من المشاريع المستقبلية تطوير قسم النسيج الآلي ، وقسم الطباعة ، وقسم الستارة الداخلية .. كما وضعت الدراسات لإنشاء قسم طباعة ميكانيكي ، وتطوير قسم الصباغة لتحويله إلى قسم (ميكانيكي) .

☆ ☆

الشريفة ، كما يتم إعداد قطع كبيرة مطرزة على النمط الموجود على كسوة الكعبة المشرفة تهدى إلى كبار الزوار للمملكة والشخصيات الهامة تعبيراً عن روابط الأخوة بين أبناء العالم الإسلامي ، وتأكيداً للمعاني السامية التي تربط أبناء الدين الواحد والتي تسعى المملكة العربية السعودية بدورها الإسلامي القيادي دائما في كل المناسبات إلى إظهاره وإلى توحيد الصف وتوحيد كلمة المسلمين وتضامنهم .

ولأن مصنع كسوة الكعبة يمثل طليعة إنتاج الأقمشة المنقوشة والمطرزة على وجه الخصوص فقد أوجد المسؤولون عن إدارته قسماً للأعلام .. حيث يتم إنتاج أعلام المملكة العربية السعودية طبقا لنظام علم المملكة ، وطبقا للمواصفات الموضوعة من قبل **الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس** ، ويمثل تطريز هذه الأعلام نمطاً آخر في استخدام ماكينات التطريز التي تتميز بالدقة والإتقان وروعة الإخراج .

كما يتم إنتاج الأعلام المطبوعة بكميات لا بأس بها لتتزود بها مباني الدوائر الحكومية .. وإذا كان هذا القسم مازال في دور التكوين إلا أن الدراسات اللازمة لتطويره قد تم وضعها ويجري تنفيذها على مراحل ليشمل إنتاج ما يفي بحاجة المملكة ليس من أعلام المملكة فقط ولكن من أعلام الدول الصديقة التي يقوم رؤساؤها بزيارة المملكة أو يقدم منها وفود تشارك فيما يعقد من مؤتمرات أو محافل في المملكة بتوفيق الله .

والجدير بالذكر أن مصنع كسوة الكعبة المشرفة يتبع وزارة الحج والأوقاف بالمملكة .

★ ★ ★





★ خريطة اليابان ★

هيروشيما
.. ضحية الحرب التي تحولت إلى رمز للسلام

بقلم: د. مهندس مظفر شعبان

كان يوماً كباقي الأيام ... أشرقت الشمس على المدينة الصغيرة ، وهرول الناس إلى أعمالهم ... وفي السماء ، على ارتفاع عدة أميال أقبلت طائرة بدون مقاومة حتى أصبحت فوق قلب المدينة ، ثم لاح منها على البعد نور خاطف استدارت على إثره استدارة حادة ، وأطلقت لسرعتها العنان ...

كانت استدارتها الحادة المفاجئة على هذا النحو أمراً يثير الدهشة ، ولكن هذه الدهشة سرعان ما تلاشت بعد أربعين ثانية ، وذابت في نظرة حافلة بالعذاب والألم أعماها الوهج الذي غمر المدينة .

ولم يعد اليوم يوماً مثل كل الأيام ... كان يوم ٦ آب (أغسطس) عام ١٩٤٥م ، يوم بداية العصر الذري . وشهدت مدينة هيروشيما مصرعها ، بل مُسحت من الوجود .

في ومضة الانفجار مات خمسون ألفاً ، ولكن من أفلتوا من هذا الموت الخاطف عاشوا ليواجهوا ساعات أشد هولا ، وذاقوا فيها أبشع ألوان العذاب قبل أن يتداركهم الله برحمته .

هيروشيما .. الموقع والشعب

تقع **اليابان** في أقصى شرقي آسيا ، وهي مكوّنة من أربع جزر رئيسية هي : **هوكايدو** (في الشمال) ، **وهونشو** (في الوسط) ، ثم **شيكوكو وكيوشو** (في الجنوب) ، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة جداً من الجزر الصغيرة . وتمثل الجزيرة هونشو (ومعناها الجزيرة الأساسية) أهم جزر اليابان ، وهي تضم أكثر فعالياتها ، وفيها أكبر المدن مثل : **طوكيو وأوساكا وكيوتو** وغيرها .

تقع محافظة هيروشيما (ومعناها الجزيرة العريضة) ، في منتصف الجزء الغربي من جزيرة هونشو ، وهي تبعد ٢١٠ أميال عن أوساكا ، ويحدها من الجنوب البحر الداخلي ، وهو متسع من المياه التي تتخللها جزر صغيرة بأشكال رائعة تمتد بين هونشو وجزيرتي شيكوكو وكيوشو في الجنوب لمسافة (٥٠٠ كم) ، وهو في الحقيقة سلسلة من خمسة بحار ترتبط معاً بالقنوات ، وهذه إحدى أجمل مياه في العالم . ويبلغ عرض البحر في أوسع نقطة من الشمال إلى الجنوب (٦٤ كم) ، وفي أضيق نقطة (٧ كم) .



وقد ترك وجود منطقة هيروشيما بالقرب من البحر الداخلي فوائده العديدة على سكان المنطقة ، إذ إن الطقس هنا لطيف جداً ، والكائنات البحرية متوافرة بكثرة ، مما أدى إلى ازدهار الصناعة والثقافة التي تصاحب التجارة البحرية . وقد بنيت المدن والقرى من قديم الأزمنة على طول الشاطئ الممتد من أوساكا حتى أقصى الغرب . ومع أن هيروشيما ليست قريبة من أوساكا وكيوتو ، إلا أنها تأثرت كثيراً بثقافة هاتين المدينتين .

بصورة عامة ، أهالي هيروشيما صريحون ، ومرحون ، ومسالمون ، وتغلب عليهم الطيبة ، وهذا ليس مستغرباً لأنهم يتأثرون كثيراً بطبيعة الطقس وطرق النقل البري والبحري المتطورة التي هي إحدى خصائص هيروشيما . والجدير بالذكر أن نسبة كبيرة من المهاجرين الذين غادروا اليابان خلال المئة سنة الأخيرة تنتمي إلى هذه المنطقة .

تاريخها

يرجع تاريخ هيروشيما إلى القرن السادس عشر الميلادي ، حيث شيّد الأمير الإقطاعي **موري ثيروموتو** قلعته التي تحمل اسم المدينة مقابل خليج هيروشيما ، وهي الآن من أهم المدن على ساحل البحر الداخلي ، إذ تمثل مركزاً ثقافياً وصناعياً وتجارياً ينبض بالحياة ويعج بالحركة والنشاط .

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ، اجتاح اليابان شعور قومي جارف ذو توجه عسكري كرد فعل للتدخل الأميركي عام ١٨٥٤ م ، الذي أجبر الحكومة اليابانية ــ بالقوة ــ على فتح حدودها في وجه الملاحة الدولية . وفي عام ١٨٨٠ م ، أجري مسح طوبوغرافي ومائي شامل للمنطقة . . . كانت طرق المواصلات في المنطقة ضيقة وضعيفة ، والصناعة متطورة ، ولم يكن هناك موانئ قريبة من المنطقة .

عندئذ وضع مشروع كبير يشتمل على مد شبكة من الطرق وبناء **ميناء أوجينا** (ميناء هيروشيما الحالي) . وقد حصل المشروع على اعتمادات هامة ، نظراً لإمكانية الاستفادة منه في الأغراض العسكرية .

ومع أن المشروع اصطدم ببعض العقبات ، إذ عارضه صيادو الأسماك المحليون ، إلا أن



★ صورة لهيروشيما بعد انفجار القنبلة الذرية ، وتبين الأرقام نسبة التدمير ★


★ هيروشيما صباح ٦ آب (أغسطس) ١٩٤٥م ★

الصين ، قررت الحكومة اليابانية أن تجعل من هيروشيما نقطة الانطلاق للهجوم على الصين .

وضمن الاستعدادات العسكرية الجارية ، أعيد تخطيط مسار سكة الحديد بحيث شملت مدينة هيروشيما ، حيث تم وصلها مع أوساكا ، كما أنشئ خط حديدي للأغراض العسكرية يربط بين محطة هيروشيما وميناء أوجينا في أقل من أسبوعين . وقد شملت الاستعدادات العسكرية الأخرى إنشاء قاعدة بحرية رئيسية في **كوري** ، على بعد حوالي ٢٠ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة هيروشيما ، وعند مدخل خليجها . وقد تحوّل ميناء كوري إلى ميناء عسكري ذي حوض خاص للسفن وأصبح أحد أهم خمس قواعد للبحرية اليابانية .

في بداية الأزمة الصينية ــ اليابانية (١٨٩٤ ــ ١٨٩٥ م) ، كانت القوات اليابانية تتجمع في هيروشيما قبل أن تغادرها بحراً . ونظراً لنقص الإمكانات كان كثير من الجنود يقضون لياليهم في هيروشيما وفي القرى المجاورة ، مما أدى إلى تشجيع التجارة ، فاندفع التجار إلى المدينة بشكل لم يسبق له مثيل ، وخلق جواً محموماً في المدينة وفي ضواحيها .

وفي أقل من سنة انتهت الحرب لصالح اليابان ، إلا أن الإنشاءات العسكرية في هيروشيما استمرت على شكل مدارس عسكرية



★ انفجرت القنبلة الذرية فوق هذا المبنى ★

المشروع أكمل بعد تسع سنوات ، أي في عام ١٨٨٩ م . وهكذا أنشئت في المنطقة شبكة من الطرق ، بالإضافة إلى ميناء قادر على استقبال البواخر التي تمخر المحيط . وخلال الحرب الصينية ــ اليابانية ، وفي الحربين العالميتين ، ازدادت أهمية ميناء أوجينا بشكل كبير .

وقد أدت الصعوبات والخلافات بين الإمبراطوريتين الصينية واليابانية حول شبه الجزيرة الكورية إلى توتر العلاقات بين البلدين بشكل حاد . ولدى التحضير للحرب مع



★ أمام مدينة هيروشيما تقع جزيرة مياجيما وهي واحدة من أجمل مناطق اليابان ★



★ حديقة مياجيما المطلة على مدينة هيروشيما ★

ومستشفيات ومحطات عسكرية ومستودعات . وخلال الحرب الروسية ـ اليابانية التي اندلعت عام ١٩٠٤ م ، لعبت هيروشيما دور قاعدة نقل رئيسية للجنود والإمدادات ، كما أنشئ فيها معامل للأسلحة . وكذلك ، خلال الحرب العالمية الأولى ، تم إنشاء مجموعة جديدة من أبنية الدعم العسكرية . وقد نشطت جهود القطاع الخاص الصناعية في ضواحي هيروشيما وفي المناطق المحيطة بها ، علماً أن قسماً كبيراً من المعامل الجديدة التي أنشئت تخصص في صنع الأسلحة .

من ناحية أخرى ، فقد ازدهرت كذلك المنشآت الصناعية غير العسكرية مستفيدة من الازدهار الاقتصادي الحاصل .

وعندما وقعت الأزمة الثانية مع الصين في النصف الثاني من ثلاثينات القرن العشرين الميلادي ، سنّ البرلمان الياباني قانون التعبئة العام ، ووضعت الأمة كلها في حالة تأهب واستعداد . وقد بلغت الاستعدادات ذروتها في مدينة هيروشيما ، حيث كانت تتم عمليات تجميع القطعات التي شكلت مؤخراً ، مما يحول هيروشيما إلى حصن متقدم .

في ذلك الوقت كانت جميع المنشآت الصناعية تتحول إلى الإنتاج الحربي ، وفي عام ١٩٤٢ م ، بلغ عدد المصانع في هيروشيما وضواحيها ٤٣٠٠ مصنع ، وهو ضعف الرقم الذي كان موجوداً فيها قبل أربع سنوات .

في نيسان (أبريل) عام ١٩٤٥ م ، كانت الدوائر تدور على اليابان ، إلا أن القيادة العليا رفضت إنهاء الحرب وقررت جر الحلفاء إلى حرب فاصلة على الأرض اليابانية . في ذلك الوقت كانت الدولة مقسمة إلى جبهتين : الجبهة الغربية وقيادتها مركزة في هيروشيما ، والجبهة الشرقية وقيادتها في طوكيو ، علماً أن الإنزال الأميريكي على جزر اليابان الرئيسية ، كان متوقعاً في الجزء الغربي ، وكانت الاستعدادات جارية لملاقاته . إلا أن هذا التكتيك اليائس ـ الذي تم اعتماده بعد الغارات الجوية الأميريكية ـ تبخر في الهواء في آب (أغسطس) من العام ذاته بعد إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما .



الضربة

في أواخر عام ١٩٤٤ م ، كانت القوات اليابانية قد أرغمت على الانسحاب من معظم المناطق التي احتلتها في السنتين السابقتين . مع أن الحرب كانت تدور بعيداً عن جزر اليابان الرئيسية ، إلا أن الطائرات الأميريكية الضخمة من طراز ب ـ ٢٩ كانت تشن حملة تدمير منظمة لمدن اليابان الرئيسية وتحولها إلى أكوام من الخراب . . . كان كثير من الناس بدون مأوى وفي كثير من الأحيان بدون طعام . . . كان الإنتاج الحربي متوقفاً على الرغم من تجنيد كل الشباب . ومع ذلك كانت الحكومة اليابانية التي يسيطر عليها العسكريون تنادي بضرورة متابعة القتال ، إلى النهاية . . . إلى آخر رجل ، وامرأة . . . وطفل .

ومع حلول منتصف تموز (يوليو) عام ١٩٤٥ م ، كان عدد كبير من مدن اليابان الصغيرة قد أصبح قاعاً صفصفاً . وفي ذلك الوقت توقفت المقاتلات اليابانية عن اعتراض الطائرات الأميريكية . وبذلك أصبحت طائرات ب ـ ٢٩ حرة الحركة في سماء اليابان .

وفي هذه الظروف كان من المستغرب أن تنجو هيروشيما حتى بداية آب (أغسطس) من أية غارة جوية باستثناء بعض القنابل التي ألقيت عليها . وابتدأ أهالي هيروشيما يتساءلون عن السبب ، إلا أن أحداً في اليابان كلها لم يكن يعرف أن القيادة الأميريكية في واشنطن قد أبلغت قياداتها في المحيط الهادي بتجنب قصف مدن **كيوتو** ، و**هيروشيما** ، و**كوكورا** ، و**نيفاتا** ، التي تم اختيارها كأهداف للقصف النووي . وفيما بعد شطبت كيوتو واستعيض عنها **بناغازاكي** . لقد تعمدت القوات الأميريكية ذلك كي تحدد مدى الأضرار التي ستنتج عن استعمال السلاح الرهيب الذي تقرر استعماله للمرة الأولى في التاريخ . . . لقد أريد لهيروشيما

★ حديقة السلام وتضم متحف السلام وشعلة السلام ومجموعة من النصب التذكارية ★



أن تكون مخبراً لأبحاث القنبلة الذرية . . .

في الساعة الثانية و ٤٥ دقيقة من صباح ٦ آب (أغسطس) ، انطلقت الاينولا غاي (وهو اسم طائرة ب ـ ٢٩ التي حملت القنبلة الذرية الأولى) بقيادة الكولونيل **تيبتس** فحلقت فوق قاعدتها في جزر **ماريانا** ثم استوت في الجو واتجهت شمالا نحو إمبراطورية « الشمس المشرقة » . كانت الأوامر المعطاة لقائد الطائرة تقضي أن يتجه أولا إلى هيروشيما ، فإن وجد أن الأحوال الجوية غير ملائمة فعليه أن يتوجه إلى ناغازاكي وإلا فإلى مدينة كوكورا . وقد اتفق أن تحلق طائرة ب ـ ٢٩ فوق كل من هذه المدن الثلاث للتثبت من حالة الرؤية ، ولسوف ترافق الأينولا غاي طائرتان أخريان تقل إحداهما جماعة من العلماء ، والثانية تحمل أوائل للتصوير على أن تقف طائرة ثالثة على أهبة الاستعداد في محطة إيواجيا للحلول محل الأينولا غاي فيما لو دعت الحاجة إلى ذلك . . . وهكذا ابتدأت رحلة الموت التي كتب لها أن تغيِّر مجرى التاريخ . . .

في الساعة ٦,٤٠ ، اقتربت الأينولا غاي من اليابان ، فابتدأت بتعديل ارتفاعها بحيث يصبح مناسباً للقصف . وسرعان ما ظهرت هيروشيما في الأفق بشكلها المميَّز . . . وفجأة ، نبض جهاز اللاسلكي وجاءت الإشارة من الطائرة الأخرى : الأحوال الجوية مناسبة . . . اضرب . في تلك اللحظة تقرر مصير هيروشيما . . . مصير نصف مليون إنسان .

هيروشيما .. لقاء مع الجحيم

في ذلك الصباح ، كان عدد سكان هيروشيما يقدر بـ ٤٠٠ ألف نسمة ، منهم ٢٤٠ ألفاً سكان هيروشيما الأصليون ، و ٦٠ ألفاً آخرون هربوا إليها من المدن اليابانية الأخرى ، وكان عدد الجنود والعسكريين حوالي ٩٠ ألفاً ، بالإضافة إلى عشرة آلاف من المتطوعين والطلاب الذين كُلِّفوا بأعمال مختلفة .

بعد الانفجار بلحظة أو لحظتين خيم على المدينة صمت أشبه بصمت القبور . . . كانت المدينة ميتة بكل ما في الكلمة من معنى . . .

وقد كشفت التحريات أنه ضمن الدائرة المصيرية الواقعة في نصف قطر ١٥٠٠ قدم من مركز الانفجار ، كان هناك ٣٤٨٣ شخصاً في لحظة الانفجار ، من هؤلاء مات على الفور (أو في اليوم ذاته) ٨٨ بالمئة ، حيث كانت جثث القتلى منتشرة في كل مكان ، أما الذين نجوا من الموت فكانت شعورهم محترقة ، وجلودهم مسلوخة ، ودماؤهم نازفة ، وأظافرهم مقلوعة ، وملابسهم ممزقة .

أدى الانفجار إلى تدمير ٦٢٠٠٠ مبنى (من أصل ٩٠٠٠٠ كانت موجودة) ، وكذلك تحطمت كل وسائل النقل والخدمات ، كما قتل معظم الأطباء والممرضات ، ولم يبق سوى ٣ مستشفيات من بين ٥٥ ، كانت موجودة قبل الانفجار . . . لقد عاشت هيروشيما الجحيم بعينه .

لم تظهر مأساة هيروشيما بما فيها من فظاعة إلا فيما بعد . كان الضحايا يتساقطون دون سبب ظاهر . كان الإشعاع يفتك كالطاعون بالذين نجوا من الكارثة . وبعد سنين أعلن مجلس مدينة هيروشيما أن ٢٩٣ ألف شخص من أصل ٤٠٠ ألف كانوا موجودين وقتها في هيروشيما ، ماتوا خلال خمس سنوات من الانفجار الذري ، هذا عدا التشوهات التي حصلت ، وعدا التلوث الذري الذي أصاب المنطقة .

هيروشيما اليوم

مع أن هيروشيما كانت أول مدينة تعرضت للقصف الذري في العالم ، ومع أن القنبلة الذرية أزالت معالم المدينة وحوّلتها إلى دمار ورماد بما فيها من بشر وحضارة في لمح البصر ، إلا أن الزائر اليوم سيعجب حتماً لرؤيتها ، إذ نهضت من جديد من بين الأنقاض ، فباتت الآن من أحدث المدن وأجملها ، ولم يعد هناك أي فرق بينها وبين أية مدينة أخرى في اليابان .

كذلك ، فقد استعادت هيروشيما مكانتها الصناعية والزراعية التي كانت تحتلها قبل الحرب ، كما أن ميناءها يمثل واحداً من أهم الموانئ في اليابان .

وقد ازداد عدد سكانها حتى أصبح ٥٤٠ ألف نسمة في عام ١٩٦٨ م ، وهي تُعد الآن المدينة الحادية عشرة في اليابان من حيث عدد السكان ، إذ يبلغ حوالي المليون نسمة .

★ قلعة هيروشيما ، بنيت عام ١٥٨٩م وقد دمر برجها نتيجة القصف الذري . وأعيد بناؤها عام ١٩٥٨ ★



تشتهر هيروشيما اليوم «بزراعة» المحار، وهي تنتج ٧٥٪ من إنتاج المحار الياباني كله، ويُعد منظر القوارب الصغيرة المستعملة لزراعة المحار أو لصيدها من المناظر المألوفة التي تضيف سحراً خاصاً لمنطقة هيروشيما.

وتعود زراعة المحار هنا إلى القرن السابع عشر الميلادي، لأن هذه الصناعة تناسب شروط البيئة المتوفرة. ومحار هيروشيما مشهور بطعمه، وهو يصدر إلى جميع أنحاء اليابان وإلى الخارج بعد تعليبه، وهو يُعد من أشهر العناصر التي يعتمد عليها المطبخ الياباني.

وكما في سائر أنحاء اليابان، تتوافر في هيروشيما الكثير من المصانع، إلا أن هيروشيما تتميّز بشكل خاص بصناعة إبر الخياطة، ويتم هنا إنتاج ٩٦٪ من إنتاج اليابان كلها. ففي بداية القرن الثامن عشر الميلادي، أدخلت صناعة الإبر إلى هيروشيما من الصين، وقد انتشرت هذه الصناعة بشكل خاص بين أفراد الطبقة الدنيا من **الساموراي** (طبقة المحاربين) بتشجيع من السلطات المحلية الحاكمة. وفي النصف الثاني من ثلاثينات القرن الحالي ابتدأت صناعة إبر آلات الخياطة كذلك.

واليوم تصنع هيروشيما ٣٠٠٠ مليون إبرة خياطة عادية، و ١٠٠ مليون إبرة لآلات الخياطة، يصدر حوالي ٧٠٪ منها إلى أميريكا الشمالية والجنوبية، وإلى جنوب شرقي آسيا، وإلى الشرق الأوسط.

تشتهر هيروشيما أيضاً بإنتاج فُرش الدهان، حيث تتم صناعتها في مدينة صغيرة بالقرب من هيروشيما اسمها «**كومانو**»، حيث يعمل أكثر من ٦٠٠٠ شخص في صناعة الفراشي، وهناك أكثر من ١٠٠ نوع من الصناعات المرتبطة بها. وهذه المدينة الصغيرة تنتج ٢٠ مليون فرشاة للدهان سنوياً، و ٢٣ مليون فرشاة للكتابة. وهذه الأرقام تمثل ٩٠٪ من الإنتاج الياباني المماثل كله.

مدينة السلام

بعد سنة من إلقاء القنبلة، كانت هيروشيما



ما تزال كومة من الأنقاض والأنقاض، حتى اجتمعت مجموعة من الناجين بالقرب من منطقة المركز وأجروا احتفالا للسلام، حيث صلوا لأرواح أكثر من ٢٠٠ ألف ضحية، سقطت في ذلك اليوم المشؤوم، وأعلنوا أنهم يكرسون حياتهم لقضية السلام وللجهود التي تمنع قيام حرب أخرى.

وفي السنة الثانية، وفي السادس من آب (أغسطس) عقد اجتماع للاحتفال بالذكرى المؤلمة، وذلك برعاية سلطة المدينة، حيث أعلن محافظ المدينة تصريحاً موجهاً إلى جميع أمم العالم. وقد دوى هذا الإعلان في جميع أنحاء العالم حث فيه جميع محبي السلام في العالم على النضال في سبيل «حتى لا تتكرر مأساة هيروشيما». ومن يومها أصبحت هيروشيما رمزاً للسلام في العالم.

في عام ١٩٧٠م، في الفترة من ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) حتى ٢ كانون الأول (ديسمبر) عقد مؤتمر في هيروشيما تحت شعار «**شروط السلام في العصر النووي**». وقد شملت قائمة المشاركين الفيزيائيين، والفلاسفة وممثلين عن حركات السلام في اليابان والخارج. وبجهود هذه النخبة تحوّل الاحتفال السنوي في ٦ آب (أغسطس) من كل عام إلى قوة حقيقية من أجل السلام في العالم.

وقد جاء في إعلان السلام الذي ألقاه محافظ مدينة هيروشيما **تاكيشي أراكي** في ٦ آب (أغسطس) عام ١٩٨١م، ما يلي:

«لترقد الأرواح بسلام، لأننا قررنا أن لا نكرر الشر. وهذه الكلمات تمثل الشعار الذي كرسناه لضحايا القنبلة الذرية. وفي هذا الشعار ننادي بضرورة إلغاء الأسلحة النووية والقضاء على الحروب.

«إلا أن الدول النووية، وعلى رأسها **الولايات المتحدة الأميريكية والاتحاد السوفييتي**، مستمرة في سباق التسلح النووي الذي لن يؤدي سوى إلى تدعيم التسابق. وبالتالي فإن الإنسانية اليوم تواجه خطراً حقيقياً بالفناء.

«إن امتلاك السلاح النووي لا يشكل ضمانة حقيقية لأمن الجنس البشري... إن نزع السلاح النووي، بشكل كامل، هو وحده الذي يضمن الأمن ويمهد السبيل إلى السلام الحقيقي. وعلينا أن ندرك هذه الحقيقة على الدوام».

وهكذا، في ٦ آب (أغسطس) عام ١٩٤٥م، ألقيت القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما، وبعدها بثلاثة أيام، ألقيت القنبلة الثانية على ناغازاكي. وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة اتخذت اليابان قرارها بالاستسلام، ووضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها.

وفي نشوة الانتصار، ضاعت معالم المأساة، ولكنها بقيت تعتصر القلوب وتذهل العقول وتستصرخ ضمير العالم أن لا للسلاح النووي، لا تنسوا عِبرَ التاريخ.

ومع أن هيروشيما تمثل مأساة متعددة الوجوه والجوانب والعِبَر، إلا أن هذه المدينة بدون شك دفعت ثمناً باهظاً لحماسة العلماء ــ الذين نجحوا في شطر الذرة ــ، ولتدبير السياسيين الذين يتصارعون لكسب مناطق النفوذ، وللعسكريين الذين يسعون إلى السيطرة والتسلط...

لقد كانت هيروشيما ضحية... ضحية الحرب بكل ما في الكلمة من معنى.

المراجع

١ ــ موسوعة الحرب العالمية الثانية.

٢ ــ د. مظفر شعبان. العصر النووي: هكذا كانت البداية، مجلة الكويت، العدد ٢٥.

٣ ــ Hiroshima: Military Capital, Atomic Bomb, City of Peace. The East Nov. 1981.

٤ ــ The Pacific War Research Society. The Day Man Lost Hiroshima. Kadonsha Int. Ltd 1972.



التنمية الزراعية

على ضوء الخطة السعودية الثالثة (١٩٨٠ - ١٩٨٥م)

ودور القطاع الخاص

بقلم : عبد ضمد الركابي

عكست الخطة التنموية الثالثة في المملكة العربية السعودية في برامجها الزراعية ، أهداف السياسة الزراعية التي تتطلع إلى تنمية القطاع الزراعي ، وتعظيم دوره في الناتج المحلي ، وقد جاءت الخطوات اللاحقة على طريق التنفيذ أكثر إيجابية في نقاط التأكيد ، بسبب الحوافز الكثيرة التي أولتها إدارة التنمية .

تهدف خطة التنمية في ميدان التنمية الزراعية إلى تحقيق مستوى معقول من الاكتفاء الذاتي من الأغذية الرئيسية ، وهذا الهدف لا شك سيأتي متلاصقاً مع هدف آخر ، هو تنويع مصادر الدخل القومي ، وأهداف أخرى تتوخى تحقيق استغلال أمثل للموارد الزراعية والحيوانية والبحرية . وهذه جميعاً ترتبط بهدف أساسي ، هو تنمية الموارد البشرية من الريف السعودي ، مما يجعلها قادرة على استيعاب وإدارة أي تغير هيكلي في وضع القطاع الزراعي .

وتتمثل البرامج الرئيسية التي يقوم القطاع العام والخاص بتنفيذ فقراتها ، بعدد من المشاريع المتنوعة ، التي تعالج كافة جوانب العملية الزراعية .

فمن المشاريع التي يجري تنفيذها كأساس لمشاريع التنمية ، ذلك الذي يتعلق بالإنشاءات الإدارية ، والخدمية ، وبعض البنى الارتكازية .

أما في ميدان الإنتاج ، فيسعى إلى إقامة مستلزمات التنمية الزراعية المادية من تجهيزات إلى آلات ، تعمل في استصلاح الأرض ، وتهيئتها للإنتاج ، وزراعتها وفق الأسس الحديثة في الزراعة المكثفة لرأس المال للتوسع في المزارع التجارية .

كما أن هذه التغيرات المطلوبة في القطاع الزراعي ، لا يمكن أن تقام بدون تنمية خبرة محلية متناسبة مع هذا النمط الجديد في الإنتاج من تدريب كوادر بشرية ، وخلق مهارات زراعية وحيوانية ، إلى إيجاد البحوث الاقتصادية التطبيقية ، وخلق مركز نشيط في الريف ، للبحث العلمي الذي يستهدف تطويع الأنماط الإنتاجية ، وتدجين الأنواع المنتجة من النباتات والحيوانات ، ثم إبداع طرق لتحسين الأنواع الموجودة في البيئة من زراعية ، وحيوانية ، وسمكية ، لزيادة إمكاناتها ومخزونها الاحتياطي تمهيداً للتوسع في إنتاجها .

الاستثمارات الزراعية

كشفت نتائج الدراسات الأولية والمتقدمة للموارد الزراعية والحيوانية والسمكية في المملكة العربية السعودية ، عن وجود طاقات كبيرة معطلة في الثروة الزراعية بصورة عامة ، مما أعطى فكرة واضحة عن تطور الطاقة الاستيعابية للاستثمار في ميدان الزراعة .

لقد أصبح الكثير من المعلومات التي بنيت على أساس محدودية الطاقة الاستعانية للاستثمار من القطاع الزراعي في المملكة ، لا تفيد في الدراسات الجديدة للجدوى الاقتصادية للمشاريع الزراعية ، وبالأخص بعد أن أنضجت معطيات الخطة الأولى والثانية في التنمية الزراعية السعودية ، والبرنامج الإنمائي الذي سبقهما ، والذي نجم عن استصلاح الأراضي القابلة للزراعة والموارد المائية وغيرها من الإنجازات الأولية ، التي من شأنها أن تمهد للاستثمارات اللاحقة كما تم بالفعل . وبالنسبة للتوسع في الرقعة الزراعية ، فقد حددت أهداف طموحة لاستصلاح الأراضي ، في إطار المساحات التي حددت سابقاً بثلاثة ملايين هكتار من الأراضي ، على ضوء توفر مصادر المياه اللازمة لزراعتها . وقد جرت أغلب أراضي التوسع في إطار هذا الرقم الذي حدد في **برامج التنمية الأولى** في المملكة . وفي مطلع الثمانينات ، استثمرت الأراضي المستصلحة في المنطقة ، وفي جنوب شرقي الرياض من قبل القطاع الخاص والوزارات ، وتم تحديث المزارع في الواحات القديمة في البلاد ، بعد أن أصبحت الاستثمارات الزراعية التي يقوم بها القطاع الخاص ذات عائد مجز ، بفضل الدعم الحكومي والتسهيلات الأخرى .

المياه

أما الاستثمارات في مشاريع البنية الأساسية ، فقد ظهرت نتاج تنمية الموارد المائية بدءً من مطلع عقد الثمانينات ، ومن أهمها :

التوسع في الطاقات التخزينية المائية ، وتنظيم عمليات الري ، والتحكم في المناطق التي تتعرض إلى الفيضانات . فقد تم إنشاء (٤٠) سداً[1] في هذه الفترة ، بلغت السعة التخزينية لها (٢٢٤) مليون متر مكعب من المياه .

فقد شهدت منطقة الصخور الرسوبية عدداً كبيراً من هذه السدود ، إذ بلغت بحدود (٢٠) سداً وأخرى تحت الإنشاء . ففي **وادي حنيفة** وهو من أكبر الأودية في هذه المنطقة ، شيد أكبر سد بلغت الطاقة التخزينية له بحدود ١,٣ مليون متر مكعب من المياه ، وعند إتمام بقية السدود ، سيكون بمقدور وزارة الزراعة والمياه التحكم بكميات المياه السطحية وترشيدها لأغراض الري . كما أن مصادر المياه الأخرى وبالذات ذات المصدر الصناعي كمياه التحلية ومياه الصرف الصحي المنقاة ، قد حظيت باهتمام أكبر ، إذ إن أغلب كميات المياه الإضافية التي سيحصل عليها حتى عام ٢٠٠٠ م ، من هذين المصدرين . وطبقاً للمعلومات التي وردت من مصادر رسمية من وزارة التخطيط ، فإنه توجد كميات من المياه الضخمة في أراضي المملكة ، من شأنها أن تغطي احتياجات البلاد لقرون عديدة أخرى ، مما يشير إلى أن آفاق التنمية الزراعية في المملكة واسعة ، وأن أهدافاً طموحة للأمن الغذائي يمكن طرحها على طريق التنفيذ .



القطاع الخاص

كان الرأسمال الخاص إلى وقت قريب، لا يميل إلى الاستثمار في قطاع الزراعة، بل إن المنتجين الزراعيين أنفسهم أخذوا يستثمرون رؤوس أموالهم ذات المنشأ الزراعي، في القطاعات الأخرى سريعة المردود كالعقارات، والتجارة، والمال، وغيرها من ميادين الاستثمار الأخرى. إلا أن السياسة الزراعية التي تبلورت توجهاتها في العقد الأخير، استطاعت أن تحدث تغيرات أساسية في اتجاهات الاستثمار، وأصبح القطاع الزراعي بموجبها أحد ميادين الاستثمار المجزية. ذلك بفضل الدعم الحكومي للمنتجات الزراعية، وللتسهيلات المختلفة التي يحصل عليها المزارع. فمن إجمالي مبالغ ١٨ مليار ريال، أنفقت على القطاع الزراعي ضمن نفقات الخطة الثالثة عام ١٩٨٤ م، قُدمت قروض للمزارعين بحدود ٥ مليارات ريال سعودي، بالإضافة إلى مبالغ أخرى كدعم للمزارع، وصلت إلى ٢,٥ مليار ريال.

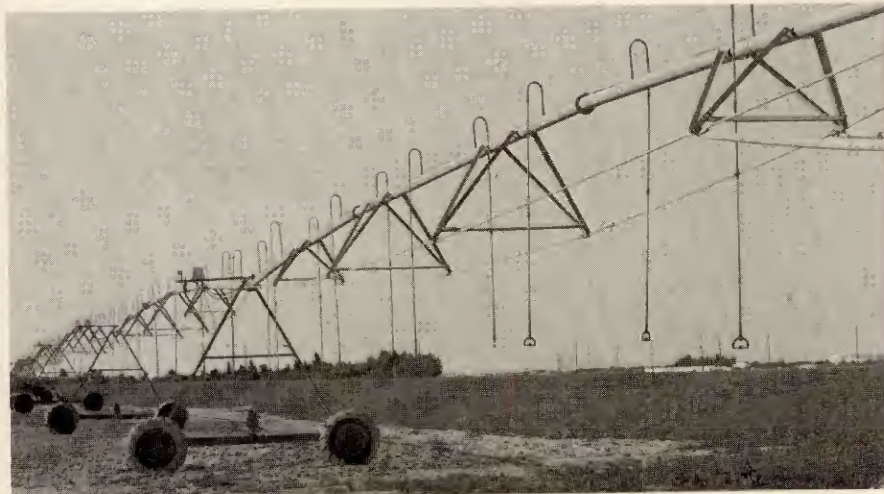
لقد كان للدعم والتسهيلات التي يحصل عليها المستثمر في القطاع الزراعي، أثر واضح في انتشار المزارع التجارية الكبيرة، التي تعمل على أسس المشروع الاقتصادي الحديث. وهذا يعني أن الحيازات الزراعية الأخرى لا بد من أن تسير بهذا الاتجاه، أي تحديث وسائل إنتاجها، وتوسع رقعتها للارتفاع بإنتاجها، وإلا فإنها سوف لا تجد تلك العوائد المجزية التي تعوض جهودها.

وإذا أخذنا أحد أهم مؤسسات تمويل القطاع الزراعي وهو **البنك الزراعي**، لوجدنا أن عملياته قد تضاعفت خلال سنتين، فقد ارتفع حجم إقراضه للمزارعين من ٢,٥٣١ مليار ريال عام ٨٠/١٩٨١م، إلى ٤,١٦٦ مليار ريال عام ٨٢/١٩٨٣.

وأخيراً إن تحول الاستثمارات الخاصة التي ظلت إلى فترة قريبة وقفاً على القطاعات التقليدية للاستثمار في السعودية وهي التجارة، والعقار، والخدمات، وغيرها من القطاعات، التي تزدحم منها رؤوس الأموال. ولا شك أن لهذا التوسع آثاراً كبيرة على كفاءة استغلال الموارد المالية داخل البلاد وخارجها. حيث إنه بالإضافة إلى اطمئنان أصحاب الأموال على استثمارات حقيقية وأكيدة المردود، فإنه يساعد من الجهة الأخرى على التخفيف من ارتفاع الأسعار، وتقليل حدة المضاربات في العقارات، والأسهم، وفي مقابل ذلك، إن ظاهرة المزارع التجارية الكبيرة المساهمة، يطرح نموذجاً جديداً لتعبئة الادخارات الوطنية في الريف السعودي، الذي يفتقر إلى المؤسسات الاقتصادية التي تقع في متناول رغبة سكان المدن، إذ إن انتشار الشركات الزراعية المساهمة في الريف السعودي، سوف يساعد على إنماء الرأسمال الخاص لأصحاب المزارع الصغيرة، وذوي الدخول المتوسطة والمحدودة في الريف، من خلال شراء الأسهم، والتخلي على الوحدات الزراعية القزمية التي أصبحت غير اقتصادية حالياً، بعد انتشار نمط الإنتاج الزراعي الحديث الذي يستخدم التكنولوجيا المتقدمة في الإنتاج.

وهذا الاتجاه أكدته **خطة التنمية الرابعة** (١٩٨٥ ـ ١٩٩٠ م)، وورد كأحد الأسس الاستراتيجية الأولى التي ترتكز عليها الخطة، والذي يشير إلى تشجيع الاستثمار في المشاريع الزراعية الكبيرة المجدية، والتي تقوم على أساس التكنولوجيا المتقدمة، ويراد لها أن تنشأ من قبل القطاع الخاص على شكل شركات، بالإضافة إلى الاستثمارات الفردية التي هي الأخرى لا شك سوف تنشأ على أساس الزراعة الحديثة.

وإن المحصلة النهائية لهذا التوسع الاستثماري في ميدان القطاع الزراعي، لا شك سيكون ذا منفعة كبيرة للاقتصاد الوطني كما أوضحنا، بالإضافة إلى إيجاد التشابك للقطاع الزراعي مع قطاعات الاقتصاد الوطني الأخرى، وجعله في عين الوقت قادراً على القيام بدوره الأساسي في الاقتصاد الوطني، ومنها الأمن الغذائي.



الهوامش

(١) **المجلة**: بالاتصال بالجهات المختصة في وزارة الزراعة، علمنا أن السدود التي أنشئت والتي ما زالت قيد التنفيذ، قد بلغت (١٦٠) سداً بنهاية الخطة الخمسية الثالثة.

المصادر

(١) ج.هـ. ستيفنسن: زراعة الواحة في وسط وشرق شبه الجزيرة العربية، جامعة الكويت كانون الثاني (يناير)، سنة ١٩٧٩م، ص ١١.

(٢) عبد ضمد الركابي: أضواء على الخطة السعودية الثانية، الاقتصادي الخليجي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، عدد ٤، سنة ١٩٨٤م، ص ٢٨.

(٣) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية: المؤشرات الاقتصادية للبلاد العربية، عدد ٤، عمان أكتوبر (تشرين الأول)، سنة ١٩٨٣م، ص ٢٢.

(٤) وزارة المالية والاقتصاد الوطني: مصلحة الإحصاءات العامة، الكتاب الإحصائي السنوي، عدد ١٧، سنة ١٩٨١م، ص ١٣.

(٥) وزارة التخطيط: خطة التنمية الثالثة (١٩٨٠ ـ ١٩٨٥م)، المملكة العربية السعودية.

(٦) صندوق النقد العربي: الدول العربية، بيانات وإحصاءات اقتصادية ١٩٧٥ ـ ١٩٨٢م، أبو ظبي، أبريل (نيسان) عام ١٩٨٤م، ص ٣.

اشتعال

شعر: عبدالكريم الناعم

بسطْتُ روحي على جمرِ الظلالِ، فإنْ … رأيتَ ناراً فقُلْ: روحي على النارِ

تَمرَّدَتْ.. فسعيرٌ كيفما اتّجهتْ … وخَانَسَتْ.. فجحيمٌ، عابثٌ، ضارِ

أوْقَفْتُها في مقام (الأنسِ) فارتجفتْ … ريشَ العصافيرِ محموماً بتيَّارِ

أوْقَفتُها في مقام (النَّأي) فاغتربَتْ … مَنْ فتّقَ الوردَ أو أجرى السنى الجاري؟

أوْقفتُها في مقام (الجَهْل) فاضطربَتْ … هل يعرفُ الموجُ إرسائي وإبحاري؟

ضاقتْ بيَ الدورةُ الكبرى فأشْعلَني … أني قرأْتُ الذي تُبدي يدُ الباري

* * *

للحلم يقظةُ إيحاش دخلتُ بها … قبل الدخول فأنَّتْ كلُ أوتاري

يا يقظة الموتِ ما أبْقيتِ لي رُطَباً … أرَقْتِ كأسي على صحراءِ إعصاري

إغماضةُ العينِ، ترْكُ الدارِ، مسألة الـ … آتي، وماذا؟ وهل؟ والمُدهش الساري

في كل شيء. بما يومي. ومسألةُ الـ … وُصولِ مَن واصلٌ حتى الشذى العاري؟!

للحسِّ شفرةُ سكينٍ، فكيف بما … لا يعرف الشوقُ عنهُ غيرَ أخبارِ؟!

نوافذُ العالم الوضّاءِ مُظلمةٌ … وظلمةُ الكونِ مصباحٌ لأشعاري

الصحوُ: حُلمٌ، وسُكْرُ الموت: يقظتُه … فأيُّ عَلٍّ لهذا الطائر الناري؟!

من كان يحملُ موتاً في تنفُّسِهِ … فكيفَ يعبقُ فيهِ الشمسُ الغاري؟!

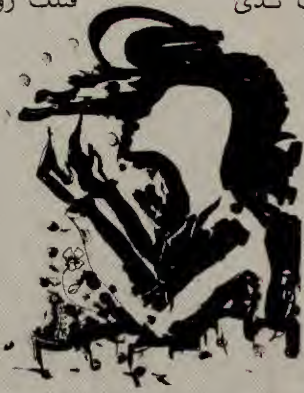
كلُ المفاتنِ: تَوْقٌ، والحدود: كما … باعَدْتَ ريَّ الندى طلْقاً بآذار

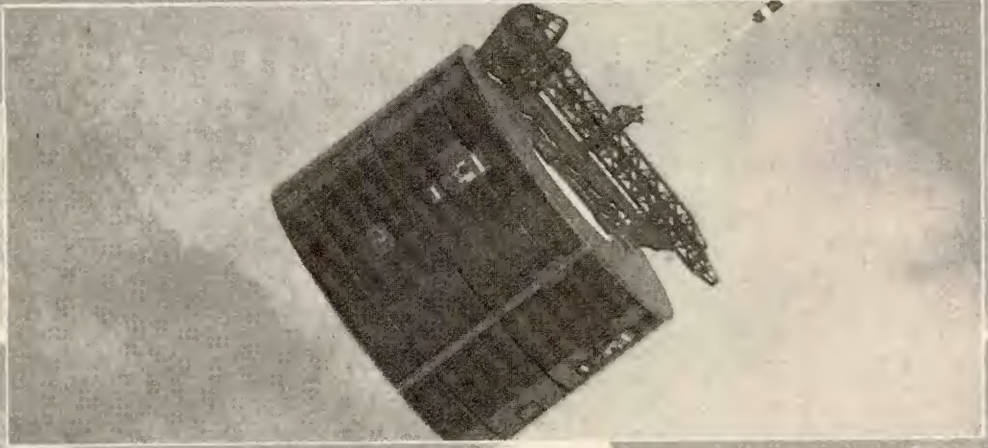
تمضي مع الحسِّ، أو للعقلِ، كلُ صبا … يُردي فيعنو أحاديثاً لسمّارِ

فكيف تعدو محطاتي وأتْبَعُها … وكلُ ما خلّفتْ ألواح تذكارِ؟

أخلو إليها على وَهْنٍ فتنكأُ بي … غُضارَ رحلتِها في كوبِ غضّارِ

فإنْ وجدتَ على زهر اللهيب نَدَى … فتلك روحي تُسَاقي زهرةَ النارِ





حرب النجوم
بين الحقيقة والخيال

بقلم: مهندس جمال مصطفى همام

تردد وكالات الأنباء هذه الأيام اصطلاح حرب النجوم STARS WAR تعبيراً عن البرنامج الذي يتبناه الرئيس ريجان لتطوير جيل جديد من الأسلحة وذلك تحت برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي STRATEGIC DEFENSE INITIATIVE التي أعلنها في مارس (آذار) عام ١٩٨٣م، والتي تهدف إلى دفع برنامج تطوير جيل جديد من الأسلحة وهي:

١) أسلحة أشعة الليزر
LASER BEAM WEAPONS.

٢) أسلحة الشعاع الإلكتروني
ELECTRON BEAM WEAPONS.

٣) أسلحة الشعاع البروتوني
PRO TON BEAM WEAPONS.

٤) أسلحة الشعاع المتعادل
NEUTRAL PARLICLE WEAPONS.

٥) مدافع المادة
MATTER GUNS.

٦) الأقمار الصناعية المقاتلة
FIGHTING SATELLITES.

والجدير بالذكر أن الآراء انقسمت حول مبادرة الدفاع الاستراتيجي في ثلاثة اتجاهات وهي:

★ **الاتجاه الأول:** ويتبناه العلماء، وبالذات في مجال الفيزياء والطبيعة النووية ومعظمهم يعمل لدى الشركات الغربية الكبرى المنتجة للأسلحة، وهم يحاولون إقناع السياسيين والعسكريين بإمكانية إنتاج جيل جديد من الأسلحة، وذلك في محاولة لإصدار عقود جديدة تؤدي لتحقيق أرباح خرافية للشركات المنتجة لهذه الأسلحة.

★ **الاتجاه الثاني:** ويتبناه السياسيون ويتزعمهم **الرئيس ريجان**، ويقوم على تبني المناداة بأن نجاح العلماء في إنتاج هذا الجيل الجديد من الأسلحة، يؤدي إلى أن تصبح الولايات المتحدة والعالم الغربي، قلعة منيعة لا يمكن اختراقها بالصواريخ النووية السوفييتية، وبالتالي فإنه يترك **الاتحاد السوفييتي** متخلفاً بما لا يقل عن ١٥ سنة عن الولايات المتحدة، ويضعه في موقف تفاوضي ضعيف للغاية في مفاوضات الحد من انتشار الأسلحة النووية.

★ **الاتجاه الثالث:** وهو يمثل وجهة نظر العلماء والعسكريين المعارضين، وبالذات من مر منهم بتجارب الحروب السابقة، وهم الفئة

التي سنحاول مناقشة وجهة نظرها في هذا المقال، على أساس أنها أكثر الفئات واقعية وبعداً عن جموح الخيال العلمي، ولا يوجد حافز مادي كما هو حادث للشركات المنتجة لهذه الأسلحة.

المعارضون لحرب النجوم

يمكن تلخيص وجهة نظر المعارضين لحرب النجوم في النقاط التالية:

١) تهدف جميع الأسلحة من وجهة النظر العسكرية إلى نقل قدر من الطاقة المدمرة DESTRUCTIVE ENERGY لمسافة بعيدة بأكثر ما يمكن من الدقة لتحطيم أو تحييد الهدف.

والمسألة أيضاً تعتمد على **فاعلية السلاح** PRACTICALITY في ظروف المعركة الفعلية، ونجاح السلاح يعتمد على مدى نجاحه في تحقيق التدمير الفعلي للهدف تحت ظروف المعركة الفعلية.

٢) برغم أن الشركات المنتجة للأسلحة



تتحدث عن الطاقة الرهيبة لأسلحة حرب النجوم، أو بمعنى أدق عن **كثافة الطاقة** ENERGY DENSITY للأشعة التي تطلقها هذه الأسلحة، مما يجعل البعض يعتقد أن هذه الأسلحة أصبحت ممكنة، بل وتعطي قدرات تدميرية خرافية.

ولكن هذه الأرقام تعطي انطباعاً خاطئاً للأسباب التالية:

(أ) من المعروف أن القدرة POWER هي محصلة ضرب الطاقة ENERGY في الزمن بالثواني وتقاس بالواط إذا كانت الطاقة مقاسة بالجول. فإذا ذكر أن كثافة الطاقة لشعاع الليزر هي ١٠ بلايين وات لكل سنتيمتر مربع وذلك يعادل مليون ميجاواط وهو أيضاً يساوي ٢٠ ضعف القدرة الكهربائية لجميع محطات القدرة في بلد مثل إنجلترا، أي إنه رقم ظاهري مرعب.

(ب) ولكن يجب أن نسأل أنفسنا عن المدة الزمنية التي يستغرقها هذا الشعاع، هنا نجد أنها حوالي واحد على عشرة ملايين من الثانية.

(ج) كما أنه يغطي مساحة لا تزيد عن واحد على ألف من السنتيمتر، لذلك فإن قدرة شعاع الليزر السابق تعادل تقريباً ما يعادل ١٠٠ جول من الطاقة وهي قدر طاقة مصباح منزلي عادي يضاء لمدة ثانية تقريباً.

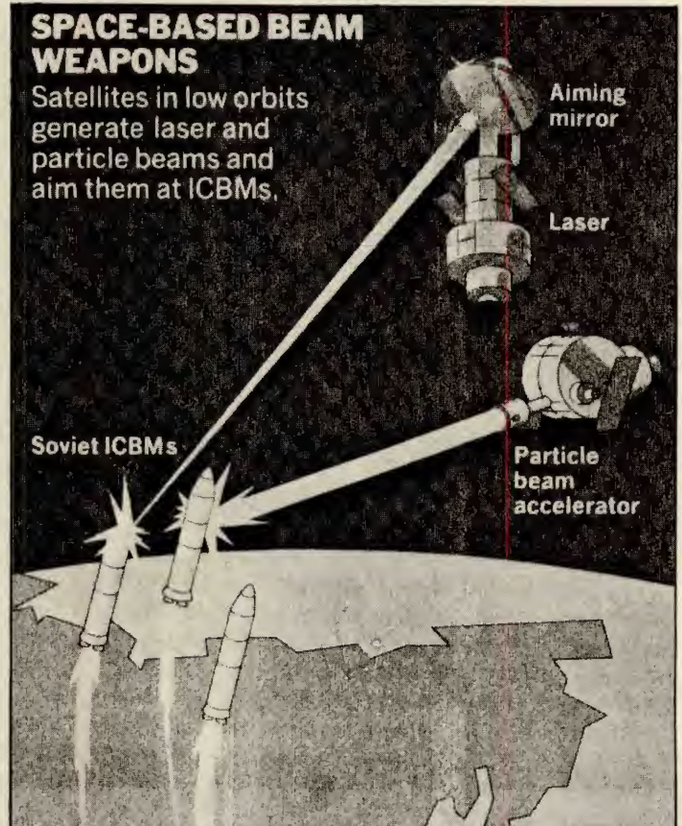
لذلك فمن المهم عند مقارنة قدرة شعاع الليزر بقدرة طلقة من الطاقة BOLT OF ENERGY أن نتذكر عاملين هامين هما:

★ الزمن الذي تؤثر فيه هذه الطلقة.

★ المساحة التي تؤثر فيها.

لأن كلًّا من العاملين السابقين يحددان القدرة التدميرية الفعلية لأي سلاح يطلق الأشعة BEAM WEAPONS.

الشكل رقم (١)



الشكل رقم (٢)



وعلى ضوء المعايير السابقة سيتم تقييم أسلحة حرب النجوم .

أسلحة أشعة الليزر

نشرت المجلات بعض التصورات لاستخدام أسلحة الليزر ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) استخدام مولد أشعة الليزر محمولا على محطة فضائية ، شكل رقم (١) ، وهو يطلق الشعاع على القذيفة ، إما في مرحلة التسارع أو بعد خروجها من الغلاف الجوي .

(٢) توليد أشعة الليزر على محطة أرضية وعكسها بواسطة مرايا عاكسة محمولة على قمرين صناعيين ، الأول على ارتفاع عال والآخر على ارتفاع منخفض . انظر شكل رقم (٢) .

(٣) استخدام طاقة التفجير النووي كمصدر للقدرة اللازمة للحصول على ليزر أشعة إكس . انظر شكل رقم (٣) ، وذلك يعني تدمير كل من مدفع الليزر والهدف معاً .

وبتطبيق العوامل السابقة لتقييم أسلحة أشعة الليزر التي أعلن عنها والتي تمثل وجهة نظر العسكريين ، نلاحظ ما يلي :

(أ) حتى بمضاعفة طاقة أسلحة الليزر بمقدار مئة ضعف عما هو موجود الآن ، فلا يمكن اعتبارها أسلحة فعلية بالمقاييس السابقة .

(ب) سهولة انعكاس أشعة الليزر بأي سطح لامع ، فإذا قام العدو بطلاء قذائفه بمادة لامعة ، فإن أشعة الليزر تنعكس وتفقد تأثيرها ، كما يمكن استعمال صواريخ تدور حول محورها .

(جـ) أشعة الليزر تتشتت بسهولة تامة إذا مرّت في دخان أو ضباب أو في السحب عند الظروف الجوية السيئة ، أي أنه يكفي السوفييت أن يعلنوا الحرب أثناء الظروف الجوية السيئة في الشتاء مثلاً ، لضمان وصول القذائف لأهدافها وكذلك ستائر الدخان الصناعية ، بل ويمكن استعمال **صواريخ طوافة** CRUISE MISSILES تطير على ارتفاعات منخفضة فلا يمكن تتبعها بواسطة المحطات الفضائية .

(د) بعد ذلك يوجد مشكلة رئيسية وهي مشكلة تتبع الهدف والتصويب عليه بشعاع يقل قطره عن مليمتر واحد لإصابة هدف على بعد عدة كيلومترات يتطلب دقة عالية لإصابة الهدف ، وهذه الدقة تحتاج لتكنولوجيا متطورة غير موجودة حالياً .

أشعة الجسيمات المشحونة

وهي نوعان من الأسلحة ، وهما :

(١) أسلحة الشعاع الإلكتروني

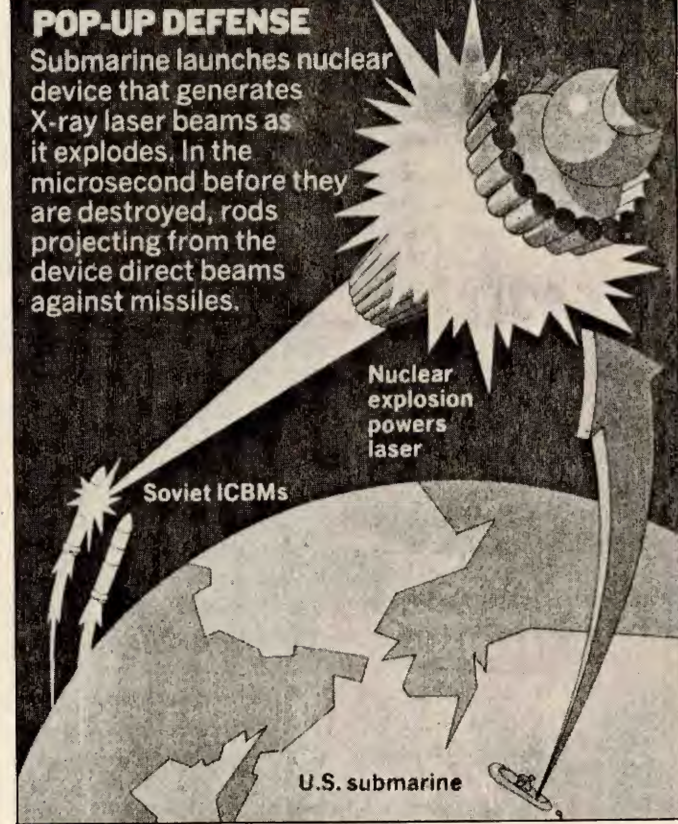
ELECTRON BEAM WEAPONS.

(٢) أسلحة الشعاع البروتوني

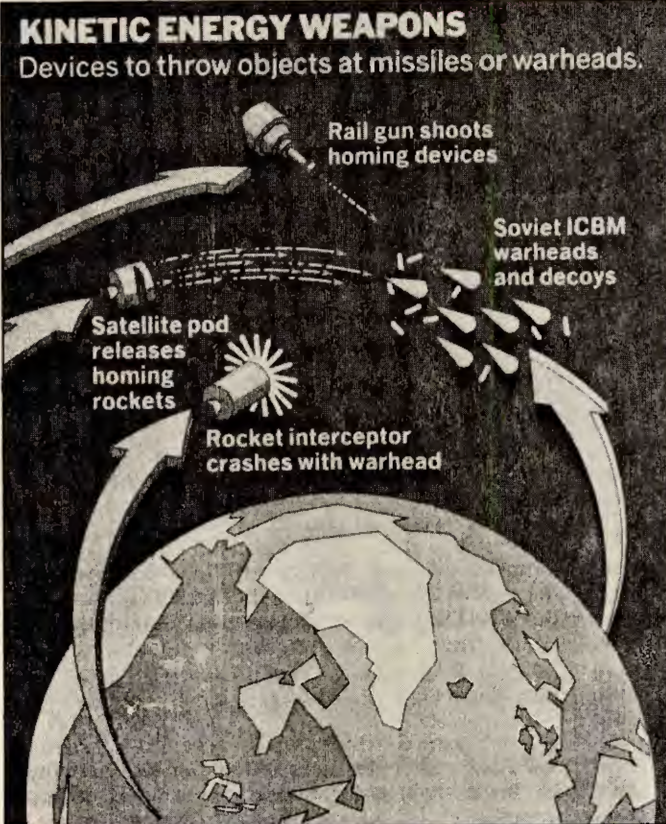
PROTON BEAM WEAPONS.

والنوع الأول يطلق سيلاً من الإلكترونيات (ذات الشحنة السالبة) من مدفع إلكتروني يعتمد على توليد سيل من الإلكترونيات ثم إحداث تسارع لها ، للوصول لسرعة عالية بهدف اختراق وتدمير الصواريخ ذات الرؤوس النووية .

الشكل رقم (٣)



الشكل رقم (٤)



أما النوع الثاني فهو يشابه ذلك ولكنه يعتمد على توليد سيل من البروتونات وإحداث تسارع لها في مدفع بروتوني .

وكلا النوعين من الأسلحة يجب حملها في أقمار صناعية على مدارات عالية بهدف التصويب على الصواريخ بعد خروجها من الغلاف الجوي الأرضي . انظر شكل رقم (١) .

كما أن كلا النوعين لهما العيوب التالية كأسلحة :

(أ) المدى المؤثر ضعيف للغاية داخل الغلاف الجوي حتى في الظروف الجوية الممتازة ، لذا لا يظهر تأثيرهما كأسلحة إلا في الفضاء الخارجي .

(ب) كلا النوعين من الأسلحة يتأثر بالمجال المغناطيسي للكرة الأرضية مما يؤدي لانحناء الشعاع BEAM BENDING مما يتطلب جهاز تصويب POINTING SYSTEM ذا تصميم خاص قادر على أخذ هذا الانحناء في الاعتبار ، وهي عملية شاقة للغاية .

(جـ) تؤدي الخاصية السابقة وهي سهولة تأثرها بالمجال المغناطيسي إلى سهولة التأثير عليها بأي مجال مغناطيسي صناعي INTERVENTING MAGNETIC FIELD مما يؤدي لإعاقة كلا النوعين من الأسلحة .

(د) يمكن بسهولة إحداث اضطراب مغناطيسي بواسطة تفجير قنبلة ذرية في الطبقات العليا ، وهو اضطراب يدوم فترة طويلة ، وبالتالي يمكن أن يؤدي لفشل أسلحة الأشعة المشحونة CHARGED BEAM WEAPONS بجميع أنواعها بما فيها الأشعة المتعادلة .

مدافع المادة

وهي تعتمد على تسارع جسيمات في أجهزة تسارع خاصة إلى سرعات عالية ولكنها لا تزيد عن ٣٪ من سرعة الضوء ، وأحياناً تصل إلى ١٠٪ في المشروعات الطموحة .

ومن المعروف أن اختراق الدروع يعتمد



كثيراً على سرعة القذيفة ، أو بمعنى أدق على طاقة الحركة لها ، حيث إن طاقة الحركة = نصف الكتلة × مربع السرعة .

لذلك فإن هذا النوع من الأسلحة يعتبر مقبولا من العسكريين من ناحية المبدأ ، فمثلاً إذا أمكن إجراء تسارع لطلقة وزنها جرام واحد إلى سرعة حوالي ١٠٪ من سرعة الضوء فإن قدرتها التدميرية تعادل ١٠٠٠ كيلوجرام من مادة T.N.T. ، وقد وضعت بعض التصميمات لمدافع المادة يمكن أن تعطي تسارعاً للطلقة يعادل ٥٠.٠٠٠ (خمسين ألف) مقدار عجلة الجاذبية الأرضية ، أي GRAVITY ACCELERATION ويرمز لها بالرمز G **لكن المشاكل التي ما زالت تواجه العلماء هي :**

(١) لا تتوفر مواد هندسية لبناء أجهزة المادة MATTER ACCELERATOR أو مدافع المادة ، حيث إن القوى المؤثرة عليها ضخمة للغاية ، وتحتاج إلى جيل جديد من السبائك عالية المتانة .

(٢) إن إطلاق طلقة بهذه السرعة داخل الغلاف الجوي يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة والضغط المحيط بالطلقة إلى ظروف تشابه الظروف الموجودة داخل النجوم ، لذلك فإن الشركات تقترح أن يكون مدفع المادة محمولا بواسطة قمر صناعي . (انظر شكل رقم ٤) .

(٣) ضرورة موازنة قوة الجاذبية الأرضية أثناء مرحلة التسارع ، وهذا يستدعي أيضاً إلى ضرورة حمل مدفع المادة في سفينة فضائية . (انظر شكل رقم ٤) .

(٤) يبلغ نصف القطر المحتمل لهذه المدافع ما يزيد عن كيلومترين ولك أن تتصور المشاكل الناتجة عن محاولة وضعه في مدار فضائي .

الأقمار الصناعية المقاتلة

توجد كثير من المشروعات للأقمار الصناعية المقاتلة ، سواء التي تحمل أنواع الأسلحة السابقة ، أو التي تزود بأسلحة تقليدية أو نووية ، لكن المعارضين يثيرون النقاط التالية :

(١) إن الأقمار الصناعية المقاتلة يمكن بسهولة تدميرها أو إعاقتها أو حتى خطفها بواسطة سفن الفضاء التي تماثل المكوك الفضائي .

(٢) لا يمكن الوثوق من درجة استعدادها READINESS وفعاليتها EFFECTIVESS ، فالعسكريون يحبون دائماً التفتيش عن السلاح والتأكد من فعاليته في أوقات السلام استعداداً لرد الفعل السريع في أوقات الحرب ، وهم لا يثقون كثيراً في الأقمار الصناعية في هذا الصدد .

(٣) صعوبة الصيانة والإصلاح لوجودها في الفضاء .

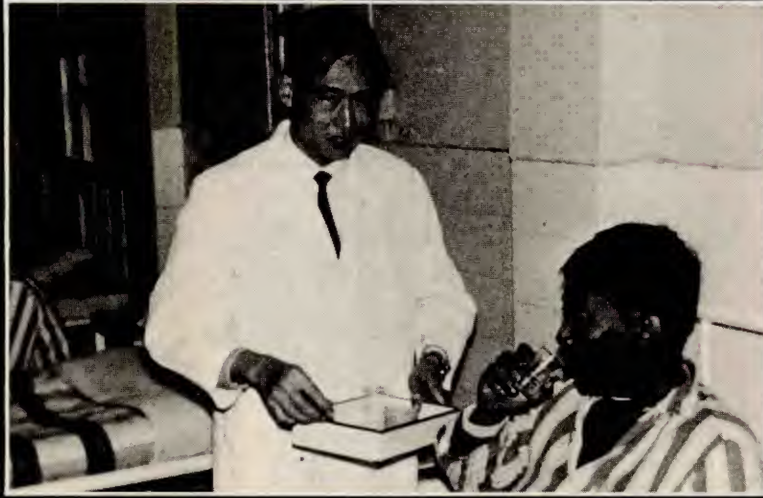
مما سبق نرى أن كثيراً من المعارضين في الولايات المتحدة وأوروبا ما زالوا غير مقتنعين بأسلحة حرب النجوم ، وعلى العلماء إقناعهم بفعالية هذه الأجهزة كأسلحة أو كنظم دفاعية ، ونعتقد أن الطريق ما زال طويلاً للوصول إلى ذلك ، لكنه ليس مستحيلاً .

ونتيجة هذه المناقشة ستحدد لنا نوع التكنولوجيا المطلوبة لتطوير أنظمتنا الدفاعية في المستقبل القريب .



دراسة نفسية عن :
المخدرات
وأخطارها على الشباب

بقلم : د . ماهر محمود الهواري



★ أحد المدمنين أثناء العلاج ★

يعد إدمان المسكرات والمخدرات من أخطر الظواهر الاجتماعية في القرن العشرين ، حيث يهدد انتشارها كيان المجتمع ، وتؤثر في تركيبه ، كما تؤثر على قيمه ومستقبل الأفراد والمجتمعات بل ويهددها بالانهيار ، ومما يزيد في خطورتها سهولة انتشارها وسرعة إدمانها ووجود إغراء مادي كبير للمتاجرين فيها ، ووجود عدة جوانب متشابكة للمشكلة من حيث نواحيها الطبية والاجتماعية والنفسية .

ويرى بعض الباحثين أن الآثار النفسية والاجتماعية للمخدرات والمسكرات تفوق الآثار الجسمية (وولك ٣٧٤) ولهذا سوف يكون موضوع التركيز في موضوعنا هذا عن الآثار النفسية والاجتماعية لها .

تعريفات

●● الإدمان : Addiction يعرف الإدمان بأنه حالة يعاني فيها الإنسان من وجود رغبة ملحة عند تعاطي مادة ما بصورة متصلة أو دورية (**عكاشة ص ٧**) ، ووراء هذا التعاطي رغبة في الشعور بآثار نفسية معينة أو لتجنب آثار مزعجة عند عدم استعمال المادة . وفي الإدمان يكون الاعتماد نفسياً وعضوياً ، ويؤدي التعاطي إلى تغيرات سلوكية تؤثر على توافق الفرد وتؤدي إلى فشله في أداء دوره الاجتماعي والوظيفي ، بالإضافة إلى عدم قدرته على الامتناع عن هذه المادة حيث تظهر أعراض انسحاب العقار ، ومن هذه الأعراض عرق بارد واشتهاء شديد وارتعاشات وتقلصات وقلق شديد وقيء وإسهال وأرق وتثاؤب وشعور بالرعب ومحاولات للانتحار ، وباختصار هي خبرة لا تطاق تدفع بالمدمن إلى التصرف بأي شكل للحصول على المخدر .

●● التعود : Habituation هو رغبة مستمرة في تناول المادة بحيث يشعر الإنسان بالراحة عند تناولها ، وفي التعود هناك اعتماد نفسي فقط ، وبالرغم من أن التعود ليس له أساس بيوكيميائي لكنه مع ذلك قاهر تماماً (**كاشدان ص ٧٤**) ومنع العقار يؤدي إلى اشتهاء نفسي شديد وإلى مشاعر بالقلق الشديد .

ونظرا لوجود تداخل بين مفهومي الإدمان والتعود واختلاف بعض الباحثين في استخدامها ، فقد قررت هيئة الصحة العالمية WHO ضم مصطلحي التعود والإدمان في مصطلح واحد هو الاعتماد Dependence .

أسباب الإدمان

هناك عوامل نفسية من المهم التنبه إليها في إرشاد الأفراد سواء في الأسرة أو المدرسة . وتتوقف نتيجة أو محصلة مواجهة هذه العوامل على أسس بناء الشخصية لدى الفرد . فقد يستطيع الفرد مواجهة هذه العوامل والتغلب عليها . أو قد يصاب باضطراب نفسي أو

سلوكي أو قد يؤدي به الأمر إلى تناول الكحول أو المخدرات والإدمان عليها .

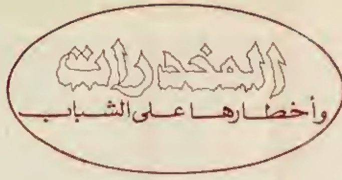
ويتصف موضوع إدمان العقاقير من الناحية النفسية بأنه نمط سلوكي يظهر عند الأشخاص الذين تتميز شخصياتهم بصفات معينة كالاتكالية وعدم القدرة على تحمل الإحباط ، **وعموما فإن استخدام العقاقير عرض يدل على سوء قيام الشخصية بوظائفها** (كاشدان ص ٨٢) ، وعادة يكون المتعاطي شخصاً قد تعرض في طفولته إلى اضطراب في علاقاته مع كلا الوالدين وغيرهما من الأشخاص المهمين في حياته الطفلية . وفي معظم الحالات تكون علاقاته غير سوية مع البالغين وغالبا يمر المدمن بمرحلتي الطفولة والمراهقة حيث يشعر بكراهية شديدة تؤدي إلى التمرد على الوالدين وتقاليد المجتمع .

ومن العوامل النفسية التي تساعد على الإدمان ما يلي :

●● **القلق والتوتر** : القلق خبرة انفعالية شديدة الإزعاج ، وبعض الأشخاص لا يستطيعون التخلص من القلق باتخاذ قرار ولا يستطيعون مواجهة أنفسهم (سلطان ٢٩٢) فيبحثون عن وسيلة للاسترخاء أو الهروب من الواقع لعدم قدرتهم على تحمل القلق والإحباط (وولك ٣٤٧ ـ ٣٥٦) فإذا عثروا على الخمر أو المخدرات بطريق الصدفة أو إغراء بعض الأصدقاء أو أي طريق آخر ، فقد يشعرون بالاسترخاء والراحة المؤقتة مما تؤدي إلى التعزيز الذي يدفعهم إلى تكرار الخبرة ، وهكذا حتى يصلوا إلى مرحلة الإدمان .

●● **الشعور بالنقص وعدم الأهمية** : المسكرات والمخدرات تعطي إحساساً بالأهمية الكاذبة ، فيتوهم الفرد نفسه وقد صرع جميع أعدائه ، وتخلق شعوراً بالتعالي والعظمة ، فيختلق القصص عن بطولاته المزيفة .

●● **التمرد على الأسرة والجماعة** : إن إهمال الآباء لتربية أبنائهم ، وعدم وجود جو عاطفي مشبع بالحب والتفهم ، قد يؤدي إلى عدم تقبل الأبناء للتوجيهات والمعايير التي يحاول الآباء التزام أبنائهم بها ، وهي في الأصل طبعا معايير المجتمع وأخلاقياته ، ويأخذ التمرد ضد



الوالدين أي مظهر من المظاهر ، ومنها الإدمان ـ والإدمان أيضا يتيح نوعا من العدوان السلبي ، نتيجة ما يسببه الأبناء لأسرهم من خزي وعار نتيجة الإقدام على الإدمان (سلطان ٢٩٣)

●● **البحث عن اللذة الموهومة** : إن الشخص الذي يتعاطى المسكرات أو المخدرات يكون أكثر قابلية للايحاء من غيره ، لذلك من السهل التأثير عليه للاعتقاد بشيء بعيد عن الحقيقة تماماً وهنا مكمن الخطر ، فهو سوف يقنع نفسه أو يقنعه الآخرون بأن اللذة والسعادة هي شعور حقيقي وليس متوهما (وولك ٣٤٧ ـ ٣٥٦) .

●● **مقاومة الكف وحرية التعبير** : يعاني بعض الأشخاص من صراعات شديدة ، مما يضطرون معه إلى استخدام الكف (الامتناع) كوسيلة لمقاومة هذه الصراعات ولكن الكف ليس وسيلة سليمة للتغلب على الصراعات بل إنه يزيد من شدتها . فالخمر والمخدرات تعطي شعوراً بالحرية الداخلية وحرية التعبير بطريقة غير محددة نسبيا (وولك ٣٤٧ ـ ٣٥٦) ولكنها على أي حال وسيلة مؤقتة وأضرارها أكثر من فوائدها .

●● **الإحباط والفشل** : إن تربية الأبناء لابد أن تأخذ في اعتبارها ، عدم تحقيق كل رغبات الإنسان وتوقع الفشل في بعض الأحيان وإدراك أن الفشل مهما كانت قسوته ليس نهاية الحياة ، ولكنه قد يكون مقدمة لنجاح أكبر إذا استفاد الفرد من دروس الفشل هذه .

والتربية التي تقوم على التدليل وعلى الأخذ دون العطاء ، قد تؤدي عند مواجهة واقع الحياة ، إلى الإحساس المستمر والشديد بالإحباط حيث لا يستطيع بعض الأفراد التخلص منه . وتناول العقار قد يتيح لهم الإحساس الكاذب ولو مؤقتا بالتغلب على أسباب الإحباط والنجاح المزيف .

●● **اللا اجتماعية وتحدي المجتمع** : هؤلاء الأشخاص الذين يتصفون باللا اجتماعية وعدم القدرة على التوافق الحقيقي مع المجتمع ومتطلباته ، ويجدون متعتهم المشوهة في تحدي المجتمع ، مثل هؤلاء الأشخاص قد يجدون ضالتهم في الخمر والمخدرات ، فهي وسيلتهم لإثبات تحدي المجتمع وعدم الالتزام بمتطلباته ويتصف هؤلاء الأشخاص بعدم الشعور بالذنب ، وعدم الشعور بالمسؤولية ، وعدم القدرة على تحمل الإحباطات ، ولا يهتمون بنتائج أفعالهم . ومن هؤلاء الأشخاص **السيكوباثيين** ولكن ليس كل المدمنين سيكوباثيين (سلطان ٢٩٣) .

●● **بعض حالات الإكتئاب** : قد لا يستطيع بعض الأشخاص مواجهة حالات الاكتئاب لموت عزيز أو انهيار اقتصادي أو فشل أو غير ذلك من المشكلات إلا بالإقدام على تناول المخدرات ، وعادة يتم ذلك بتضليل من زميل أو صديق ، ومن الواضح أن مثل هؤلاء الأشخاص لم يختطوا لأنفسهم أسلوباً في الحياة يتسم بالشجاعة والقدرة على مواجهة المشكلات وتحمل الإحباطات ـ فالأمر مرجعه كما سبق أن قلنا إلى شخصية الإنسان ، كذلك البعد عن الإيمان الحقيقي بالله ، هذا الإيمان الذي يدفع الفرد إلى تحمل المكاره والصبر عليها والرضا بقضاء الله .

●● **عوامل اجتماعية** : إن العوامل النفسية قد لا تكون وحدها قادرة على دفع الفرد للإدمان ولكن وجود عوامل اجتماعية يعتبر مشجعا كبيراً على ذلك ومن هذه العوامل التعاطي في المناسبات الاجتماعية وأصدقاء السوء والأسرة المنهارة وغير ذلك من العوامل الاجتماعية .

●● **ضعف الوازع الديني** : لا شك أن ضعف الوازع الديني يعد من أهم العوامل على الإطلاق التي تساعد على الطريق المنحرف . فالمؤمن الحق قادر بدون شك على تحمل الإحباطات والتغلب على القلق ومواجهة

الاكتئاب وغير ذلك . ومهما بلغت شدة هذه العوامل ، فإنها لا توازي شيئاً أمام قوة إيمان الفرد والتزامه بعدم معصية الله سبحانه وتعالى .

نظريات تفسير الإدمان

اختلفت النظريات في تفسير أسباب الإدمان وفيما يلي نعرض آراء أهم النظريات في علم النفس حول هذا الموضوع :

نظرية التحليل النفسي : ترى نظرية التحليل النفسي أن الإدمان يرجع إلى حالة ثبوت في **المرحلة الفمية** وبعبارة أخرى أن المدمن شخص قد توقف نموه النفسي عند السنة الأولى من العمر فأصبح سلوكه وانفعالاته ومشاعره وأفكاره تتسم بالطفلية . فهو في حاجة إلى رعاية الآخرين ، وهو شخص اتكالي سلبي ضعيف القدرة على تحمل الإحباط والألم والتوترات . وسلوكه متمركز حول الفم ، أي الشرب والأكل والتدخين .

ويرى التحليل النفسي أن المدمن يعاني سراً من فزع لا يستطيع مواجهته ولا يعلم حقيقته . وتناول الكحول أو المخدرات يقلل الصراع ويتيح له الهروب المؤقت ، ويخفف من نقد المرء لذاته ويرفع من تقديره لها . كما يسمح له بالتعبير عن الحاجات الطفلية اللاشعورية وإشباعها . فالكحول أو العقار وتناوله محاولة من الفرد للتخفيف من التوترات والصراعات ولكنها بالطبع محاولات فاشلة تزيد الأمر سوءاً ويواجه المدمن أيضاً مشاعر عدوانية لا يستطيع التعبير عنها لفرط اتكاليته وسلبيته . ويتيح الكحول والعقار عدة وظائف منها : إطلاق العدوانية ، التبرير (وولك ٣٤٧ ـ ٣٥٦) فيقول لنفسه هذا من تأثير المخدر وليس من فعلي أنا ، وكذلك الانتقام من الأسرة (عن طريق ما يسببه لها من جرح أو العدوان السلبي) ، العدوان نحو الذات ، التخفيف من الشعور بالذنب . ويرى المحللون النفسيون أن الكحول وغيره من المخدرات والقمار بل والتدخين أيضا تتضمن شيئاً من اللذة والارتياح من الألم ، أي « الماسوكية » .

●● **النظرية السلوكية** : ترى النظرية السلوكية أن الإدمان كغيره من أنواع السلوك عبارة عن سلوك متعلق بإحدى وسائل التعلم ، وبما يثبت هذا التعلم ، ويقويه التعزيز ، أي ما يحصل عليه الفرد من إرضاء أو ارتياح أو لذة .

ومن وسائل التعلم التي قد يتم بها التعاطي :

(١) **رؤية نماذج والديه** : (في أحد البحوث تبين أن نسبة الإدمان بين الآباء والأبناء تتراوح بين ٣٠ ـ ٣٥٪ (**سوين** ص ٥١٣) .

(٢) إن الآباء لم يقدموا النماذج الكافية كأن يكون الأب ضعيفاً أو مهملاً ، أو حدثت وفاة أو انفصال ، وبالتالي لم يجد الطفل النموذج القوي المستقيم الذي يمكن أن يتبناه .

(٣) ويرى (**ماورو**) أن الفرد المعرض للإدمان يمكن أن يتعلمه من أول خبرة حضرها إذا كانت الخبرة سارة قليلاً أو كثيراً ثم يظل يبحث عن استمرار هذه الخبرة .

أما الفرد غير المعرض للإدمان فإذا كانت الخبرة غير سارة فإنه لن يكررها مرة أخرى (سوين ص ٥٤٠)

(٤) يمكن النظر إلى موضوع الإدمان بوصفه عادة شرطية أي تعلم ، تم تدعيمه عن طريق اللذة أو المتعة ، وارتبط ذلك باستخدام العقاقير أو الكحول . وعموماً بالتدعيم الإيجابي القادر على خلق عادة قوية .

(٥) أما المهدئات فالخوف من الامتناع هو الذي يدفع الفرد إلى الاستمرار فيها فهو إذن استجابة تجنب شرطية .

★ آثار الحقن على القدم لأحد مدمني المخدرات ★



شخصية المدمن

تتصف شخصية المدمن بعدم النضج العاطفي ، فهو يسلك ، ويتصرف كالأطفال ، سريع التقلب ، متمركز حول ذاته ، عاجز عن حل مشكلاته ، عاجز عن إقامة علاقات مثمرة ومستمرة مع الآخرين ، لا يستطيع تحمل الإحباط ، فلا يستطيع تحمل الألم أو الشعور بالفشل أو خيبة الأمل .. بل سرعان ما يقع في هوة السلوك المنحرف الذي ينتهي به إلى الإدمان .. **وبصفة عامة تتصف شخصية المدمن بالسلبية والاعتماد على الآخرين فليس له شخصية مستقلة** .

هذا ، **ويمكن تصنيف شخصية المدمن حسب الأنماط الأربعة التالية** : (عادل صادق ص ٣٠) :

●● **الشخصية الاكتئابية** : وتتصف هذه الشخصية بالحزن المسيطر عليها ، وفقد الرغبة والحماس ، والشعور باليأس والقنوط ، وعدم جدوى الحياة . ويحاول الفرد مقاومة هذه المشاعر بإحدى المواد المخدرة أو المنشطة أو المهدئة ، بشكل متقطع أو مستمر فيؤدي به الأمر إلى الإدمان .

●● **الشخصية الانطوائية** : هذا الشخص الخجول ، الشديد الحساسية ، المحب للعزلة ، والذي يهرب من الناس والمجتمعات لأنه لا يقدر على مواجهتهم ، فيحاول اللجوء إلى مادة تزيل الحواجز بينه وبين الناس ، وتجعله مؤتلفاً معهم .. فيقع في الإدمان .

●● **الشخصية القلقة** : هذا الشخص القلق المتوتر ، سهل الاستثارة ، عديم الصبر ، متعجل للأمور ، هذه الصفات تعرضه للخطأ والاحتكاك بالآخرين ، ويكتشف عن طريق الصدفة أو النصيحة الضالة أن إحدى المواد تجعله مسترخياً .. وعن طريق التعزيز يصبح مدمناً .

●● **الشخصية السيكوباتية** : يتصف هذا الشخص منذ طفولته بالعناد والعدوانية ، والسلوك المنحرف فيكذب ويسرق ويهرب من المدرسة ، ويؤذي الآخرين ، ولا يهتم إلا

بتحقيق ملذاته .. مثل هذه الشخصية سرعان ما تقع في هاوية الإدمان .

الآثار النفسية للإدمان

الإدمان كما سبق أن ذكرنا مشكلة متعددة الجوانب : نفسية واجتماعية واقتصادية وصحية . وسنقتصر حديثنا الآن عن الآثار النفسية للإدمان والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

** **التمركز حول الذات** : يهتم المدمن اهتماماً كبيراً بذاته ، وتتمركز حولها اهتماماته ، فكل همه إرضاء مطالبه الذاتية في الشراب أو تعاطي العقار فهو يتقبل أي شيء وأي موقف وأي إهانة أو إذلال من أجل إرضاء نفسه وتوفير العقار الذي لا يستطيع الاستغناء عنه .

** **الأفكار الاضطهادية** : يعاني المدمن من أفكار اضطهادية خطيرة ، يتهم زوجته بالخيانة ، ويتهم الناس بتدبير المؤامرات ضده ، حتى هؤلاء الذين يساعدونه يتهمهم بأنهم يفعلون ذلك لغرض معين يسيء إليه .

** **تضارب المشاعر** : مشاعر المدمن ليست ثابتة ، فهو قد يشعر بالحب نحو أولاده ثم يضيق بهم وبمتطلباتهم ، فهو أولى بالنقود لإنفاقها على العقار ، ويشعر بالعداوة نحو زوجته وأصدقائه ، وقد يطلب المساعدة والعلاج منهم ثم يرفضها .

** **عدم الثبات أو التذبذب** : فهو شخص لا يعتمد عليه في أي شيء سواء في الأسرة أو العمل

** **قلة الاستبصار** : المدمن يصبح مستهتراً ، قليل الاستبصار ، بل يقدم دائما تبريرات لسلوكه وتصرفاته ، فهو يقدم على المخدر لأن الناس تضطهده ، ويسرق لأنه لا يأخذ حقه ، وهكذا .

** **التعالي والتبجح** : يتصف المدمن بالتبجح والعظمة الكاذبة ، فهو وحده الذي يفهم الحياة فهماً حقيقياً عن طريق الشراب أو المخدر ، وبالطبع كل هذا يخفي تحته مشاعر شديدة بالنقص ، ويصبح عدوانياً نحو أسرته ونحو أصدقائه .

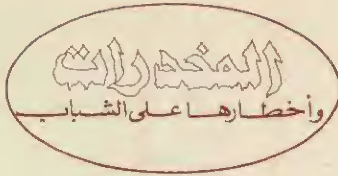
** **حالات الاكتئاب** : يعاني المدمن من مشاعر عميقة بالإثم ، نظراً لما وصلت إليه حالته ، وقد يشعر بالندم والاحتقار لنفسه ، وقد يعذب نفسه (**حالة الماسوكية**) .

** **زيادة الانسحاب من المجتمع** : إذا كان المدمن يقبل على المخدر لكي ينسى مشكلاته الشخصية كما يدعي فإن التعاطي للأسف لا يحل مشكلاته ، بل يزيدها ويزيد انسحابه من المجتمع .. ويصبح عالمه فقط ذاته والعقار . أما الناس والموضوعات الأخرى فهي أشياء هامشية .

** **التدهور الخلقي** : يحاول المدمن الحصول على العقار بأية وسيلة ، فيضطر إلى الإخلال بشرفه ، أو بيع عرضه ، أو الشحاذة ، والسرقة والاحتيال مما ينتهي به إلى السجن .

** **الهلاوس والبذاءات** : وقد تظهر هلاوس في بعض الحالات وأغلبها هلاوس سمعية حيث يسمع أصواتاً تهدده وتتهمه وتحتقره وتثير فيه الخوف والفزع وتضع الخطط لعقابه وتعذيبه ثم يسمع وقع الأقدام وشحذ السكاكين . وكذلك قد تسيطر عليه أفكار هذائية متمشية مع الهلاوس فيعتقد أن الأعداء يتعقبونه وينفذون تهديداتهم ، ويستعد هو لمهاجمة العدو الوهمي فيرتكب إحدى الجرائم .

** **الانتحار أو الموت** : ينتهي الأمر بالمدمن إلى الانتحار تخلصاً من العذاب الذي لا يحتمل بسبب مشاكل الإدمان ، أو الموت لتدهور صحته وتكاثر الأمراض الناتجة عن الإدمان .



خاتمة

●● لكي تكون مكافحة المسكرات والمخدرات عملاً مثمراً ، فإنه لا يكفي النصح من المدرسين والآباء بالبعد عن المخدرات ، ولكن من المفضل دائماً التوعية الصحية بأضرارها على الفرد والمجتمع مع إعطاء الفرصة للطلاب للتساؤل ، ويكون دور المدرس أو الأب ليس دور من يعطي القرارات ، ولكن دور الموجه والمرشد الذي يتقبل المناقشة بهدوء ويرد على الآراء بموضوعية .

●● من الضروري جدا تنمية التمسك بالوازع الديني بعد طغيان العلم والتكنولوجيا الحديثة . لقد وجد أحد الباحثين أنه كلما كان الفرد أقل تمسكاً بالدين والقيم كان أكثر تعرضاً لتقبل خبرات الخمر والمخدر (وولك ٣٤٧ وما بعدها)

●● تنظيم ندوات يشترك فيها المتخصصون في الجوانب النفسية والاجتماعية والطبية والشرعية للمخدرات .

●● نشر مقالات توعية في الصحف والمجلات .

●● تنظم تمثيليات ومسلسلات تليفزيونية وإذاعية توضح أضرار المخدرات .

●● إعداد نشرات مبسطة توضح بأسلوب سهل أخطار المخدرات .

●● إعداد بحوث علمية .

●● مشاركة جميع الهيئات في التوعية خصوصاً أئمة وخطباء المساجد لما لهم من تقدير واحترام وقدرة على التأثير في الناس .

وبالله التوفيق .

المراجع

1- Wolk, D. J.: Youth and Drugs: Guidelines for teachers. IN, Gary S. Belkin: (ED) counseling & direction in theory and practice: Kendal/Hunt publishing Co. Dubuque, Iowa. P. 347-356. 1976

٢ ـ أحمد عكاشة : الإدمان خطر . القاهرة ١٩٨٥ .

٣ ـ ريتشاردسوين : علم الأمراض النفسية والعقلية . ترجمة أحمد سلامة . النهضة العربية بالقاهرة ١٩٧٩ .

٤ ـ شيلدون كاشدان : علم نفس الشواذ . ترجمة أحمد سلامة . دار الشروق . بيروت ـ القاهرة ١٩٨٤م

٥ ـ عادل صادق : الإدمان له علاج . القاهرة ١٩٨٦

٦ ـ عماد الدين سلطان : الطب النفسي . دار النهضة العربية . القاهرة (بدون تاريخ)

الالتفات عند ابن الأثير

رؤية نقدية

بقلم : محمد عادل سليمان

ليس أدل على ثراء علوم التراث من تلاقح الآراء بالأفكار الجديدة والاعتراضات الخصبية الجادة . فالبلاغة فن العربية ، وذاكرة تراثها لأنها ترتفد من ثجاجات الذوق الوهبي والتوتر الحاد في الفطرة الناقدة ، وتعتمد ـ كذلك ـ على التذوق الجمالي للنص في ممارسة النقد .

والبلاغة ـ التي كانت ومضات في كتب السابقين على «عبد القاهر الجرجاني» ـ بدأت تأخذ ملامح جديدة عند «الرازي ، والزمخشري» ثم تأصلت قوانين ، وبرزت خطوطا أكثر تعقيداً عند «السكاكي» وكان «عبد القاهر» ـ بحق ـ رائداً من روادها الأفذاذ إن لم يكن رائدها بلا نزاع .

واعتراضات «ابن الأثير» نقطة ضوء في تيار البلاغة العربية . وهذه الاعتراضات ـ وإن تكن مردودة في أكثرها ـ فتحت آفاقاً في البحث البلاغي يمكن أن تقول في لهجة حسور .. هذا هو الطريق ... فاقتحموا ..

ولو لم يكن لابن الأثير فضل في اعتراضاته غير هذه الإشارة للاقتحام لكفى ، ومن هنا جاءت القيمة الفنية لهذه الاعتراضات .

وإذا كان لنا أن ننظر في هذه الاعتراضات ، ونبحث وجوه القول لنا أو الرد عليها ، فليس لنا ذنب في ذلك ، فإن «ابن الأثير» نفسه فتح أمامنا باب الاجتراء والجسارة .

وليس الغرض أن نضع من قيمة «ابن الأثير» أو أن نغض من قدر اعتراضاته ، أو أن ننبه على نقوله من غيره ، بل الهدف أن نبرز مدى صواب أو خطأ هذه الاعتراضات في مناقشة هادئة ، وحوار جدلي رفيق .

فابن الأثير ، علم من أعلام البلاغة والنقد ، واعتراضاته البلاغية النقدية تقفنا على مقدار تذوقه هذا الفن ، وتمثله لآراء من سبقه ، ولست فرداً في تناول «ابن الأثير» فقد سبق إلى ذلك «**ابن أبي الحديد**»[1] في كتابه «الفلك الدائر» والدكتور «**أحمد الحوفي**» ، والدكتور «**بدوي طبانة**» ، والدكتور «**محمد زغلول سلام**» ، ولكني أصدر عن ذوقي المتفرد ، وتذوقي الجمالي ، وأثور عن رؤية شاهدة وفهم عميق بلا زهو ولا ادعاء .

البداية

يرى «ابن الأثير أن «الالتفات» خلاصة «علم البيان» التي حولها يدندن ، وإليها تستند البلاغة[2] . في هذا الرأي لابن الأثير نظر ، إذ معنى ذلك ـ وخلاصة الشيء لبه وعصيره ـ أن الأسلوب الذي لا التفات فيه خال من لب البيان وعصاريه ، أي .. أنه كلام فارغ

المحتوى ، أجوف المضمون ، قشر بلا لباب ، عود هش بلا عصير ! !
وهذا ما لم يقل به أحد غير « ابن الأثير » ! !

أقسام الالتفات

وقد قسم «ابن الأثير» الالتفات ثلاثة أقسام

(١) الرجوع من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة .

(٢) عن مستقبل إلى الأمر ، وعن ماض إلى الأمر .

(٣) الإخبار عن الماضي بالمستقبل ، وعن المستقبل بالماضي[٣] .

واعترض « ابن الأثير » على البلغاء الذين يرون أن الانتقال عن الغيبة إلى الخطاب ، وعن الخطاب إلى الغيبة عادة العرب في أساليب كلامهم ، فقال ــ معترضاً ــ : وهذا القول عكازة العميان[٤] .

وقد يكون اعتراضه هذا مقبولا لو أن الإجابة التي قال عنها البلغاء كانت عن **«سر الالتفات»** ، لكن كلامهم هذا ــ عن الانتقال في « الالتفات » عن الغيبة إلى الخطاب ، وعن الخطاب إلى الغيبة ، وأنه من عادة العرب ــ ليس عن سر الالتفات كما فهم « ابن الأثير » ، بل عن أسلوب الالتفات في كلام العرب ، وفرق كبير بين أسلوب الكلام الذي هو شكله وإطاره الخارجي ، وبين سر الكلام الذي هو روحه ونبضه الداخلي .

فالانتقال من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة هو فعلاً من عادة العرب في أساليب كلامهم ، وإذن . . فلا حق لابن الأثير في هذا الاعتراض ! ! ، وليس قوله : ونحن إنما نسأل عن السبب الذي قصدت العرب ذلك من أجله ــ يريد السبب والسر الذي قصدت العرب الالتفات من أجله ــ مبرراً للاعتراض .

اعتراضه على الزمخشري

وقد اعترض « ابن الأثير » على « الزمخشري » الذي يرى « أن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام ، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه »[٥] .

ووجه اعتراض « ابن الأثير » . . أن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه ، فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد ، فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع ، وهذا قدح في الكلام لا وصف له ، إذ لو كان الأسلوب حسناً لما مل السامع ، ولما احتاج إلى تلوين في الأسلوب لتجديد النشاط ، ولو سلمنا للزمخشري ما ذهب إليه لكان إنما يوجد ذلك ــ الملل ــ في الكلام المطول ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك .

وأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من **القرآن الكريم** ، ويكون مجموع الجانبين مما يبلغ عشرة ألفاظ ، أو أقل من ذلك ، ومفهوم كلام « الزمخشري » في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب . . إنما يستعمل قصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه لا قصد الاستعمال الأحسن .

وعلى هذا . . فإذا وجدنا كلاماً قد استعمل في جميعه الإيجاز ، ولم ينتقل عنه ، أو استعمل فيه جميعه الإطناب ولم ينتقل عنه ، وكان كلا الطرفين واقعاً في مواقعه قلنا . . هذا ليس بحسن إذ لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه ، وما أعلم كيف ذهب على مثل « الزمخشري » مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة[٦] ؟ .

والرأي ــ عندي ــ ما قاله « الزمخشري » ، **فالرجوع من أسلوب إلى أسلوب يكمن سره في تلوين الشكل وتعميق المضمون معاً** ، **فمن ناحية الشكل** تدخل نظرة « الزمخشري » أن ذلك تفنن ، وتطرية للنشاط ، وإيقاظ للإصغاء ، بدليل أنه يمكن ألا يكون في الكلام التفات أصلاً حتى فيما فيه التفات دون أن يختل المعنى أو يتمزق النسق .

فنحن حين نتحدث إلى إنسان ما بأسلوب الغيبة قد يتوهم أن الحديث ليس له أو عنه ، فينشغل عنا بشيء ما كورود خاطرة مثلاً ، أو تمثل خيال ، أو سنوح فكرة ، فإذا أردنا أن نشده إلينا ، ونهزه عن شواغل خواطره ، ونقطعه من حدائق خياله ، ونخرجه من دوائر فكره وجهنا الحديث إليه بأسلوب الخطاب ، فنلفته إلينا في نشاط وهمة ، ونغريه بالإصغاء إلينا في انتباه يقظ واهتمام راكز .

ولا وجه لاعتراض « ابن الأثير » على كلام « الزمخشري » فليس في كلام الزمخشري ــ حين قال عن الانتقال إنه تفنن وتطرية وإيقاظ ــ ما يشير إلى القدح في الكلام إلا على فهم « ابن الأثير » ، ذلك لأنه ليس في كلام الزمخشري ما يدل نصاً بتصريح ، ولا تلميحاً بإشارة على أن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب ــ تفنناً ــ يكون لملل في السامع ، ولا أن تطرية نشاط السامع وإيقاظ الإصغاء يكون لطول الكلام أو قصره ، أو لقبح الأسلوب وعدم حسنه .

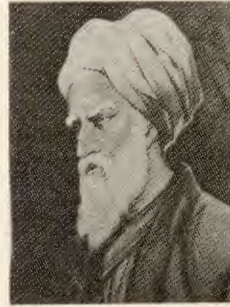
بل نفهم من كلام « الزمخشري » أن التفنن يكون براعة في البيان ، وحركة في التعبير ، ونفهم أيضاً أن تطرية السامع إنما يقصد بها التوجه إليه ــ مباشرة ــ بالخطاب في المدح مثلاً ، أو في التخصيص ، ونفهم كذلك أن إيقاظ الإصغاء شدٌّ لانتباه السامع ، ودفع للشواغل عنه .

ثم إن قول « ابن الأثير » في الاعتراض . . « إنه يترتب على كلام « الزمخشري » قبح الكلام إذا لم يكن فيه التفات مهما يكن هذا الكلام واقعاً في مواقعه » يعتبر هذا القول من ابن الأثير رداً على ابن الأثير نفسه لأنه يرى أن الالتفات خلاصة علم البيان . . كما تقدم .

ثم إن كلام « الزمخشري » عن نوع واحد من أنواع الالتفات هو الالتفات أو هو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب فحسب ، وليس عن جميع أنواع الالتفات ، وهذا كله من ناحية الشكل .

ومن ناحية المضمون . . أرى أن لكل موضع من مواضع الالتفات سراً خاصاً بالموقف ذاته ، فالالتفات ليس في تغير الأسلوب وتحوله وانتقاله من غيبة إلى خطاب أو غير ذلك من ألوان الالتفات ، بل


★ د . بدوي طبانة ★


★ الرازي ★

فيما يكمن وراء ذلك من موقف مقتض ، وسر لافت ، فالالتفات ليس من المتحدث بل من المخاطب ، وإنما هو من المتحدث لفت وليس التفاتاً ، والالتفات إنما هو حركة المخاطب حين يشده تغير الأسلوب وتلونه من حال إلى حال ، فهما ــ إذن ــ حركتان : حركة لفت وتكون من المتحدث للمخاطب في تحول الأسلوب ، وحركة التفات وتكون من المخاطب إلى المتحدث في حال الانشداد إلى حديثه ، وعندما يتيقظ السامع في الإصغاء إليه .

شواهد من القرآن الكريم

هذا .. وقد تناول « ابن الأثير » في « الالتفات » آيات كريمة من كتاب الله تعالى ، ونحن نلتقط هنا آيتين منها عَرْضاً لرأيه فيهما ، وتحاوراً معه كما نفهم نحن من الآيتين الكريمتين .

أولى هاتين الآيتين قول الله تعالى مَطْلَعَ « سورة الإسراء » « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »[٧] .

يقول « ابن الأثير » .. قال ــ أولا ــ : « سبحان الذي أسرى » بلفظ الواحد ، ثم قال : « باركنا حوله لنريه من آياتنا » بلفظ الجمع ، ثم قال : « إنه هو السميع البصير » وهو خطاب غائب .

ثم أردف « ابن الأثير » لما بدأ الكلام « بسبحان » ردفه بقول « الذي أسرى » إذ لا يجوز « الذي أسرينا » فلما جاء بلفظ الواحد ــ يقصد « أسرى هو » ــ ، والله تعالى أعظم العظماء ، وهو أولى بخطاب العظم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الأول ــ يقصد « أسرى هو » ــ بالثاني ، فقال : « باركنا » ، ثم قال : « لنريه من آياتنا » ، فجاء بذلك على نسق « باركنا » ، ثم قال : « إنه هو » عطفاً ــ يقصد رجوعاً وعوداً ــ على « أسرى » ، وذلك موضع متوسط الصفة ، لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره ، وتلك حال متوسطة ، فخرج بهما عن خطاب العظم في نفسه إلى خطاب غائب[٨] .

ونستطيع أن نعترض على « ابن الأثير » في عدة مواطن من فهمه للآية الكريمة ، فقد ذكر أنه لا يجوز « أسرينا » ، ولكنه لم يذكر لم لا يجوز ذلك ؟

والسبب في أنه لا يجوز « سبحان الذي أسرينا » ــ في فقهي للآية الكريمة ــ أن « سبحان » مصدر الفعل « سبح » ، أو اسم فعل ماض بمعنى تقدس وتنزه ، وهو ــ بالمصدرية أو اسمية الفعل ــ يعمل عمل الفعل ، وفاعله مضاف إليه ــ من إضافة المصدر أو اسم الفعل إلى فاعله ــ ، والفاعل هنا اسم موصول للمفرد ، وجملة « أسرى » التي هي صلة الموصول للمفرد لا يكون الفاعل فيها إلا بلفظ المفرد ، إذ لو قال : « سبحان الذي أسرينا » لكان « سبحان » ــ الذي هو مصدر بمعنى التقديس والتنزيه ــ للمُسْرَى به وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس لله سبحانه وتعالى ، لأنه ــ حينئذ لا بد أن يكون الكلام « سبحان الذي أسرينا به » وهو مردود لأنه ظاهر الفساد ، إذ هو خلاف المراد لأن الرب سبحانه لا يقدس عبده .

وقول « ابن الأثير » إن « باركنا » استدراك الأول بالثاني لا يليق . بمقام الأدب في حضرة الله تعالى ! ! وقوله « لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره » كلام إنسان لا يفهم الفرق بين الله الحق السميع الذي يهب السمع وبين الخلق الذي وهبه الله السمع ، وتعبير « ابن الأثير » بقوله « يشاركه فيهما غيره » تعبير يوحي بالمشاركة بل يصرح بمشاركة العبد لربه في بعض صفاته ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وعندي .. أن سر الالتفات في هذه الآية الكريمة أمران :

١ ــ أن الفصل في الكلام بين « أسرى ، وباركنا » قد جعل إيراد فاعل « بارك » ضميراً مستتراً للغائب أمراً مستحيلاً ، لأن مباركة ما حول المسجد الأقصى حينئذ لا تكون لله ــ أيضاً ــ بل تكون لمن أُسْرِيَ به ، أو تكون للمسجد الأقصى لأنه أقرب مذكور ، فلو قال : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله » لكان الذي بارك ــ أعني فاعل « بارك » ــ هو المُسْرَى به ، أو هو **المسجد الأقصى** ، لأن « بارك » صلة الموصول الثاني المفرد ، وفاعلها المفرد يتوجه إلى الموصول ، ويعود إليه مباشرة ، كما تقول في الكلام : « نجح الذي اجتهد » ، فإن فاعل « اجتهد » يتوجه بالضرورة إلى الموصول .

٢ ــ هذا .. ولم يقع الحديث ــ بدءاً ــ بأسلوب التكلم ، فلم يقل الله : سبحاني ، ولم يقل كذلك سبحاني أسريتُ بعبدي ، بل وقع .. سبحان الذي أسرى بعبده لأن المقام هنا ، والكيفية التي حدث بها الإسراء والمعراج في تجاوز **الطباق** ، واختراق الحجب إلى **سدرة المنتهى** كل هذه أمور غيبية فوق طاقة البشر ، لا يعلم كنهها وحقيقة سرها غير الله ورسوله ، والحديث عن هذا المقام الغيبي بصيغة التكلم « سبحاني » يكون فيه توجيه الحس إلى المتكلم الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، ولا يكون الكلام توجيهاً للحس إلى الحدث ، فإذا انصرف الحس عن الحدث إلى المتكلم « سبحاني » ، وقف



★ د . أحمد الحوفي ★

المخاطبون في مقام الحيرة ذاهلين ، ومن هنا . . ناسب أن يكون الحديث بأسلوب الغيبة توافقاً مع الكيفية الغيبية في مرائي ومشاهد الإسراء والمعراج .

ثم . . لما ذكر المسجد الأقصى ــ وهو من المدركات الحسية ــ وذكر نعمة البركة ، وهي من المنن العظمى ، ناسب أن يأتي ضمير العظمة للمنعم سبحانه فقال : « باركنا » .

ثم . . لما كان مقام البركة مقام جمال محس منظور في النماء والزرع والحياة الخصيبة والعيش الرغد حول المسجد الأقصى ناسب ذلك أن ينسب الله البركة إلى ذاته تعالى بضمير العظمة ، بل بضمير البركة والجمال ، فقال : باركنا .

٣ ــ أو . . أنه لما كان الإسراء والمعراج لله وحده ــ لا يدعي ذلك أحد من خلقه ، ولا يزعم مخلوق ما أنه هو الذي أسرى برسول الله **صلى الله عليه وسلم** ــ جاء الكلام بأسلوب الغيبة عند أمن الادعاء من الخلق ، ثم لما كانت البركة المحسة مظنة ادعاء الخلق ، وأنهم الذين يزرعون ويحصدون ، ويغرسون ويجنون في جهد وعرق ناسب أن يبرز ضمير العظمة في « باركنا » ليجبه كل مدع وزاعم ، وليعلن في جلال علو العظمة ، ومن هنا برز في « باركنا » ما كان مستكناً في « سبحان الذي أسرى بعبده » .

والآية الأخرى التي نشتجر فيها وحولها مع « ابن الأثير » في حوار جدلي هي قول الله تعالى : «**ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح ، وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم**»[(٩)] .

وهما ــ كما نرى ــ آيتان لا آية واحدة ، يرى « ابن الأثير » أن فائدة الالتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله تعالى : « أوحى » وما قبلها إلى « زينا » . أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظاً ولا رجوماً ، فلما صار الكلام إلى الحديث عن سماء الدنيا عدل عن خطاب الغائب ــ يقصد « ابن الأثير » بخطاب الغائب أسلوب الغائب ــ إلى خطاب النفس ــ يقصد أسلوب التكلم ، أو أن الله يخاطب ذاته بذاته ــ لأن اعتقاد غير المتشرعين ــ بل لأن التصديق بأن النجوم في السماء الدنيا ، وأنها حفظ وزينة ــ مهم من مهمات الاعتقاد ، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه[(١٠)] .

ولكني أرى أن هذه الآيات . . أو هاتين الآيتين يوضحهما ، ويمنحنا سر الالتفات فيهما ما قبلهما من آيات ، فقبل هاتين الآيتين يقول الله تعالى : «**قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين**» .

ثم بعد هذه الآيات مباشرة «**ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا : أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها**» .

إلى هنا . . والسياق على نسق واحد في أسلوب الغيبة ، ثم بعد هذا يأتي قوله تعالى : «**وزينا السماء الدنيا بمصابيح**» ، فالتفت الأسلوب من الغيبة في « خلق ، له ، جعل ، بارك ، قدر ، استوى ، سوى ، أوحى » إلى التكلم في « زينا » .

وسر هذا الالتفات ــ كما أفهم ــ أن خلق الأرض في يومين ، وجعل الرواسي من فوقها ، والبركة فيها ، وتقدير الأقوات ، ثم الاستواء إلى السماء وهي دخان ، وأمر الله للسماء وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، وقضاءه سبع سموات في يومين ، وإيحاءه في كل سماء أمرها ، كل هذه إخبار بما كان في الغيب قبل الخلق الفعلي والتكوين الشهودي ، فناسب أن يكون ذلك كله بضمير الغائب فقال : خلق ، جعل ، بارك ، قدر ، استوى ، قال ، قضى ، أوحى » .

ثم لما برز الخلق في تزيين السماء الدنيا برز المستتر في الأول فظهر في الثاني « زينا » ، فبروز ضمير العظمة للخالق سبحانه ناسب بروز المخلوق عن غيب العدم إلى شهادة الوجود .

ثبت المراجع والمصادر ، والهوامش

(١) ابن أبي الحديد : عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي الشيعي الفقيه الشاعر ، ولد في غرة ذي الحجة ٥٨٦ هجرية ، وتوفي في جمادى الآخرة ٦٥٦ هجرية ــ الفلك الدائر ، ص ٢١ ط ثانية منشورات دار الرفاعي .

(٢) المثل السائر لابن الأثير ، ط ق ص ١٦٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٥ وما يليها .

(٤) نفسه ص ١٦٥ .

(٥) نفسه ص ١٦٥ .

(٦) نفسه ص ١٦٥ .

(٧) الإسراء : ١ .

(٨) المثل السائر : ١٦٦ .

(٩) فصلت : ١١ ، ١٢ .

(١٠) المثل السائر : ١٦٦ .

قصة قصيرة

النهر

تأليف : أندوني ساماراكي
ترجمة : د. نعيم عطية

كانت الأوامر صريحة ، الاستحمام في النهر محظور ، بل والاقتراب منه بمسافة تقل عن عشرين متراً محظور أيضاً . كانت العبارات قاطعة ولا تحتمل لبساً . وكل من يخالف هذه الأوامر سوف يقدم للمحاكمة العسكرية .

تلا عليهم رئيس الكتيبة بنفسه هذه الأوامر منذ بضعة أيام . استدعى الكتيبة كلها إلى اجتماع عام ، وقرأ عليهم الأوامر . كانت صادرة من قيادة المنطقة ! ومن ثم لم تكن تحتمل تهاوناً أو هزلا .

منذ ثلاثة أسابيع تقريباً عسكروا هنا بالقرب من النهر . وعلى الضفة الأخرى ، في الناحية المواجهة يعسكر الأعداء ، أو الآخرون كما كان كثيرون يسمونهم .

حطوا الرحال ثلاثة أسابيع واستقر بهم المقام هناك . من المؤكد ، أن هذه الحالة لن تستمر طويلاً . ولكن الهدوء كان يسود في الوقت الحاضر .

بامتداد النهر ، على الجانبين ، مساحات شاسعة من الغابات الممتدة بعيداً عن الضفتين . غابات كثيفة . وفي هذه الغابات هنا وهناك عسكرَ الطرفان .

كانت المعلومات التي لديهم تقول : إن للآخرين كتيبتين رابضتين هناك .



ومع ذلك لم يكن يبدو عليهما أي تأهب للهجوم. ولكن من يدري ماذا كان هؤلاء الأعداء ينتوون، وماذا كانوا تحت هذا السكون الظاهري يخفون. وعلى أي حال، فقد راحت نقاط المراقبة في كل من الجانبين تتابع الموقف من مكامنها تحت الأشجار، مستعدة لكل احتمال.

ثلاثة أسابيع! كيف مضت هذه الأسابيع الثلاثة! لم يكن لفترة الاسترخاء تلك مثيل طوال هذه الحرب التي امتدت إلى ما يقرب من عامين ونصف.

كان الجو بارداً عندما جاءوا إلى ضفة النهر. لكن الطقس ما لبث بعد بضعة أيام أن اعتدل، فالربيع قد هلّ.

أول من تسلل إلى النهر، كان جاويشاً. تسلل ذات صباح، غمس جسده في الماء، ثم بعد قليل، عاد يزحف إلى رفاقه وقد استقرت في ضلوعه رصاصتان. ولم يعش سوى بضع ساعات.

في اليوم التالي، ذهب إلى هناك جنديان من جنود المشاة، ولم يرهما بعد ذلك أحد قط.

سُمِعَت فحسب طلقات رصاص. ثم عاد فخيم الصمت.

وإزاء ذلك، صدرت أوامر القيادة.

ومع ذلك، فقد ظل النهر إغراء كبيراً. كانوا يسمعون خرير مياهه، ويشتاقون إليه. في هاتين السنتين ونصف السنة، أكلتهم القذارة، ونسوا عديداً من المتع. وها هم الآن، يصادفون النهر في طريقهم. ولكن أوامر القيادة.

في تلك الليلة، كز على أسنانه، وقال لنفسه: فلتذهب إلى الشيطان أوامر القيادة.

تقلّب يميناً ويساراً، ولكنه لم يعرف طعم الراحة. كان صوت النهر يفد إلى أسماعه من بعيد، ويقض مضجعه.

سوف يذهب إليه، في صبيحة اليوم التالي. دون أدنى شك، سوف يذهب إليه.. ولتذهب إلى الشيطان أوامر القيادة.

كان بقية جنود المشاة نياماً. وفي نهاية المطاف، راح في النوم بدوره. رأى حلماً، كابوساً. أول الأمر بدا له كما هو: نهراً، ماثلاً أمامه ينتظره. وهو على الشط، كان عارياً لا يجرؤ على النزول إليه - كما لو كانت تمسك به يد غير مرئية. ثم تحول النهر إلى هيئة امرأة. امرأة شابة سمراء، ممشوقة القوام، رقدت على بساط أخضر، تنتظره. ولم يكن هو بقادر أن يقترب منها، كما لو كانت تغله عن ذلك يد غير مرئية.

استيقظ منهكاً. لم تكن تباشير النهار قد لاحت بعد.

وصل إلى الشط، فراح ينظر إليه. ينظر إلى النهر! إذن، كان لهذا النهر وجود؟ في بعض الأحيان، كان فكره يشك أن يكون له في الحقيقة وجود. ظن أنه ربما كان من صنع خيالهم فحسب، أو ربما كان إحساساً جماعياً متوهمًا.

سنحت له في ذلك اليوم فرصة، فذهب إلى النهر. كان الصباح رائعاً! تمنى أن يحالفه الحظ، وألا يفطن لوجوده أحد.. فيغمس جسمه في النهر ويلج مياهه ولو برهة خاطفة، أما بعد ذلك فليحدث ما يحدث فهذا أمر لا يكترث به، ولا يعنيه في شيء.

ترك ملابسه على الشط عند شجرة وأسند إلى جزعها بندقيته. ألقى من حوله نظرتين أخيرتين. الأولى إلى الوراء، حتى يطمئن إلى أنه ليس ثمة أحد من رفاقه يتعقبه، والثانية إلى الأمام، إلى الضفة الأخرى، خشية أن يكون من الآخرين هناك رقيب. ثم نزل إلى الماء.

منذ اللحظة التي دلف جسده العاري إلى اللجة، هذا الجسد الذي عانى سنتين ونصف من العذاب، وتلقى الآن إصابتين خلفتا عليه بصمتين، أحس منذ تلك اللحظة أنه إنسان آخر، كما لو كانت تغلغلت إلى أعماقه يد مسحت عنه هاتين السنتين والنصف بكل ما حفلتا به من عناء.

راح يسبح تارة على بطنه وتارة ينقلب سابحاً على ظهره، مستسلماً للتيار

يحمله أينما سار . بل وراح يغوص بين الفينة والفينة في الماء .

أحس جندي المشاة هذا الآن أنه قد عاد إلى صباه . وهو وإن كان في الرابعة والعشرين من عمره فحسب ، إلا أن العامين والنصف الأخيرة من عمره قد تركت في كيانه بصمات غائرة .

عن يمينه ، وعن يساره ، على كل من الضفتين إلى جواره ، زفرت أطيار ، وراحت تبعث إليه بالتحية من عليائها ، وهي تمر بين حين وآخر طائرة من فوقه .

أمامه ، الآن ، سرى غصن يجرفه التيار . فعمد إلى اللحاق به بغطسة واحدة ، مدّ يده ونجح فيما آلاه على نفسه . خرج من الماء بمحاذاة الغصن تماماً . ولكن في اللحظة ذاتها رأى رأساً أمامه على مبعدة ثلاثين متراً .

توقف ، وأمعن النظر .

وذلك الرجل الذي كان يسبح هناك رآه . توقف بدوره . وتبادلا النظر .

وفي التو ، أصبح من جديد ذلك الذي كان عليه من قبل . أصبح جندياً من جنود المشاة ، أمضى عامين ونصف بالخدمة العسكرية ، ونال نوطاً حربياً ، وترك بندقيته عند الشجرة .

لم يكن باستطاعته أن يتبين ما إذا كان ذلك الذي يواجهه من رفاقه ، أو من الآخرين ، وكيف يتبين ذلك ، وهو لا يرى إلا رأساً فحسب؟ ربما كان لواحد من رفاقه ، وربما كان لواحد من الآخرين أيضاً .

لبضع ثوان ، وقف الاثنان في اللجة بلا حراك . ثم قطعت الصمت عطسة . كان هو الذي عطس ، وكعادته أطلق وهو يعطس بعض السباب . وعندئذ أخذ الآخر قبالته يسبح بقوة نحو الشاطئ المواجه . ولكنه بدوره لم يضع وقتاً . سبح إلى شاطئه بكل قوته . خرج من الماء قبل الآخر . وجرى نحو الشجرة التي ترك عندها بندقيته . وأمسك بها . خرج الآخر من الماء ، وجرى بدوره يأخذ بندقيته .

شرع بندقيته ، وصوبها . كان من السهل عليه أن يطلق رصاصة تستقر في رأسه . وقد كان الآخر هدفاً سهلاً وهو يجري هناك قبالته عارياً ، على مبعدة لا تزيد عن عشرين متراً .

كلا ، لم يضغط على الزناد . كان الآخر يقف هناك عارياً كما ولدته أمه . وهو هنا أيضاً يقف عارياً كما ولدته أمه .

لم يكن باستطاعته أن يضغط على الزناد ، كانا هما الاثنان عاريين . إنسانان عاريان ، كما جاءا إلى الحياة وإلى الدنيا . عاريان من كل ملبس ، عاريان من كل اسم ، عاريان من كل جنسية ، عاريان من كل سترة عسكرية .

لم يستطع أن يضغط على الزناد . لم يعد النهر يفصل بينهما الآن ، بل كان يوحِّد بينهما ، ويلم شملهما .

لم يستطع أن يضغط على الزناد ، وصار الآخر إنساناً آخر الآن . لم يعد له اسم مفرد ، بل صار له اسم جمعي ، صار اسمه «الإنسان» ولا صفة غير ذلك تضاف ، صار اسمه «الإنسان» فحسب .

نكس بندقيته . نكس رأسه . لم ير شيئاً حتى النهاية . ولمح فحسب عدداً من الطير تصطفق أجنحته مرتعبة وقد دوت من الشاطئ الآخر الطلقة . خر على ركبتيه راكعاً ، ثم سقط، وفي التراب انكفأ وجهه .



قصة قصيرة

بقلم: جهاد عبدالجبار الكبيسي

النخلة والفئران

على مر الدهور كانت علماً لتلك القرية، وبقدر ما كانت مطمح عشق لأهاليها كانت مطمعاً لغيرهم من الدواب والجوارح واللصوص.

جذور عمرها تضرب في باطن التاريخ، جذعها السامق يطاول نجوم السماء، السعف الأخضر فيها ينشر ظلاله خيمة حنان يتفيأ ظلها المتعبون، وما تحمل من تمر عطاء للسائل والمحروم، ما بخلت عثاكيلها على طالب، فإن تأخر، سارعت تستنزل خيرها غير ممنة.

قامت هذه النخلة من قبل أن توضع لبنة لأي دار في تلك القرية، فلما نهضت مبانيها، ودبت على أرضها الحياة، كانت هذه الشجرة الطيبة عنواناً لها، يستدل بها على القرية.

وبرغم إندثار أجيال، وتوالد أجيال، وبرغم كل محاولات الغير ممن يكرهون الخضرة والحياة، فقد ظلت هذه النخلة ناهضة قبالة السماء بشموخ وكبرياء.

محاولات عديدة ومتنوعة بذلت لإقصائها، بحجج وعلل لا نهاية لها، اشتدت وألحت في الآونة الأخيرة.

مرة لأنها نتوء بارز يشوه منظر القرية والقرى المجاورة.. وأخرى لأنها تعيق نمو النباتات الصغيرة المجاورة لها.. وثالثة لأنها تمنع الشمس عن الشجيرات التي حولها.. ورابعة لأنها شاخت وطعنت في السن ولا بد أن تحل محلها أخرى.. وخامسة لأن القائمين على رعايتها لا يعطونها حقها من الرعاية والعناية. ثم كان آخرها لأنها تقف حائلة في الطريق المزمع إنشاؤه والموصل إلى القرية والقرى التي بعدها.

لكن كل هذه الأباطيل لم تكن إلا دعاوى يتستر بها من يضمرون الشر لهذه النخلة العريقة المعطاء. ودون أن يحول دون حقدهم عليها تاريخها الحافل وما يتداول بين الناس من أقاصيص وحكايات، وما يتحدث به الناس كثير، كثير.

لذلك فحينما حل بالنخلة البلاء الجديد، لم يكن مفاجأة، بل كان أمراً متوقعاً، فلا يتعرض لقذف الحجارة من الأشجار إلا المثمرة، وأما البلاء الجديد فقد تمثل بالفئران البرية التي شوهدت حول النخلة تعمل قوارضها في جذورها وجذعها، ثم ما فتئت أن ازدادت أعداد هذه الفئران مع توالي الأيام، حتى تحولت هجماتها إلى عمليات منظمة، لكن الأمر غير المفهوم كان في مصدر هذه الفئران المتوحشة.

من أين أتت؟

ولماذا تركز هجماتها على هذه النخلة بالذات؟

هل الأمر مجرد مصادفة؟

أم أنه مدبر؟

قال البعض إنها قادمة من جهة الشرق.

وقال البعض الآخر بل هي من جهة الغرب.

ورأى فريق ثالث أنها من حيوانات تلك البيئة، وأنها قد خرجت إلى سطح الأرض من جوفها بعد انحسار مياه النهر.

وأكد فريق رابع أن يداً معادية كانت وراء إطلاق هذه الفئران، وأنها استجلبت من الخارج خصيصاً لقضم النخلة.

وكان بدهياً أمام صمود هذه النخلة بوجه هذه الهجمات الشرسة للفئران الوحشية، وإصرارها على البقاء ناهضة بشموخها وكبريائها، أن تتحول إلى تاريخ وأن تنسج حولها الأساطير، وتروى عنها الحكايات. قال واحد: إنه رأى ذات يوم بأم عينه سعفها الأخضر يتحور إلى أذرع قريبة الشبه من الأذرع الآدمية، وتضرب الفئران المتسلقة جذعها. وقال آخر:

إنه رآها تنفض شوشتها كلما تجمعت فوق رأسها الفئران، لتطوح بها من عل وتصرعها أرضاً. وقال ثالث: إنه سمع بأذنه صوتها لأكثر من ليلة وهي تنتحب بعد أن استطاعت الفئران قرض بعض فسائلها التي تحتضنها، وإن بكاءها كان شبيهاً ببكاء الأم النائحة على وليدها.

أكد رابع: أنه رأى رؤية العين عثاكيل بلحها الأخضر يحمر حتى يصبح قانياً بلون الدم، وأنه حين أطال النظر غير مصدق لاحظ قطرات دماء تتساقط من ذلك البلح الدامي.

أقسم خامس: أنها كلمته بلسان عربي فصيح، وأنها عتبت عليه موقفهم منها، وطلبت إليه أن يبلغ قومه بألا يستنيموا لهدأة الليل، ففي الليل تنشط الفئران، وتخرج الثعابين من جحورها، وتتحرك العقارب دون أن يراها أحد، ويرتفع نقيق



www.ahlaltareekh.com

الضفادع الكريه ، وهي جميعها عدوة للإنسان .

مع انسلال خيوط فجر ذات يوم ، كانت آلاف الفئران والجرذان تزحف نحو النخلة ، يتقدمها صيئها الكريه ، ما لبثت أن أحاطت بها وبدأت قرضها لها ، عشرات اتجهت نحو الجذر تحفر الأرض بمخالبها ، وتأكل الجذور بقوارضها ، وأخرى راحت تتسلق الجذع وتحفر في تجاذيعه .

المشهد دامٍ للقلب والنخلة تقاتل وحيدة ، بإصرار وكبرياء ، تلطم بسعفها جوانب الجذع فتصرع الفئران ، ثم تتلوى وتنفض رأسها بقوة ، فتقذف بآخر من أعاليها ، والجمع المحتشد من الفلاحين يرقب المشهد .

يتواجه الرجال ، يتحاورون فيما بينهم عما يجب فعله ، يقول بعض إنه قد قدم السماد الكافي للنخلة لاستمرارية مقاومتها ، وأنهم قد ساعدوها بطرق غير مباشرة حين نصبوا المصايد للفئران ، ونشروا السموم ، و . . . و . . . و . . . يعترض الآخر ويؤكد على ضرورة المشاركة الفعلية بمواجهة الفئران وقتلها ، يتحفظ الأول بحجة أن النخلة ليست نخلتهم ، وما عليهم قد قدموه ، وعندما يتعرض



تخيلهم لهجمات الفئران سيكون لهم معها حينئذ شأن آخر .

يلمحون صفحة بيضاء تتطاير فوق رؤوسهم تتقاذفها الرياح باتجاههم ، تتابعها أعينهم ، ما أن تسقط بالقرب منهم حتى يسارع أحدهم يتلقفها من الأرض ، يكتشف أنها قطعة من لحاء النخلة الطري ، مكتوب على صفحتها بخط عربي : (لن تميز الفئران بيني وبينكم فتدبروا) .

يفطن كل للخطر المحدق ببيته وأرضه وزرعه ، يسرعون صوب بيوتهم يتناولون ما تصل إليه أيديهم من معاول وفؤوس وهراوات ومساح ، يتوجهون مهرولين صوب تجمعات الفئران .

يهرعون لإنقاذ النخلة ، برغم علمهم أن حصاد تمرها غداً قد يتفرد بجنيه واحد ، وإن كانوا جميعاً سيدفعون ثمن تخليصها ، لكنهم يواصلون تقدمهم إنطلاقاً من إيمانهم بأن النخلة كما لم تكن من قبل وقفاً على واحد ، فإنها أبداً لن تكون ملكاً لأحد ، وأن حصاد تمرها إن استأثر بجنيه شخص لنفسه في موسم ، فإن عطاءها لا يتوقف ، أما إن تركوها للفئران تقرضها ، فلن يكون ثمة أمل مستقبلاً بتمرة واحدة .

بقلم: عبد العزيز الشناوي

رمادُ الكلمات

طافت عيناي بالطوابق الستة. دفعت الباب الزجاجي الكبير. أين المصعد؟ أأنتظر حتى يهبط؟ متى صعد؟ أتراه معطلاً؟.. ليس لدي وقت. لماذا وقع اختيار زميلك عليك؟ أنت بالذات؟ هل يدرك صعوبة الموقف الذي..؟

– أتمنى أن توفق في مهمتك.

– سأحاول.

– أريد منك أكثر من المحاولة.

لماذا طلب منك أن...؟. جعلك مكمن أسراره و..؟ إذا فشلت؟ لماذا تفكر في هذا الأمر الآن؟ لماذا لا تترك كل شيء لحينه..

وضعت قدمي على السلم. هل أستطيع الصعود بدون مصعد؟ كيف أبدأ معها الحديث؟:

«لقد أخطأ. لماذا لم يخبرني صراحة؟».

«لماذا نحسبها عليه خطيئة؟ يجب أن نلتمس له عذراً».

«كم أنا آسفة على كل لحظة من لحظات ماضينا البعيد. تعاهدنا. أين هذا العهد؟ أصبح ذكرى؟».

زحفت على شفتي ابتسامة. سأضعها في جيب بنطلوني. لا في جيب قيصي. لم يخطئ زملائي عندما أطلقوا عليَّ المقنَّع. سوف أحملها معي. بل سأصحبها هي وطفليها!!

توقفت. ما زالت أربعة طوابق..؟ هذه العمارة واحدة من العمارات الخمس التي يمتلكها والدها. لو كان والد زوجتي يمتلك واحدة فقط؟ ألا يكفي أن زوجتك طيبة القلب. صادقة في مشاعرها؟.. طفلة.. ترى ماذا تكون زوجة صديقي؟ قطة شرسة؟ عندما تقدم إليها:

– أنت من أسرة لها مكانة وجاه. أنا رجل صحفي. لا أملك إلا مرتبي وقلمي.

– يكفي أني مبهورة بأفكارك ومبادئك.

– أنت سعادتي. سأحتفظ بحبك بين ضلوعي حتى الموت.

– سنتزوج.. ولو وقف العالم كله أمامنا.

مرق المصعد أمامي. أين كان يقف؟ في الطابق السادس؟ أأنتظر حتى يعود أم أواصل صعود السلم؟ لو قابلت أباها؟ لم أره من قبل حدثني عنه كثيراً:

– يمتلك خمس عمارات. عشرات الأفدنة. ثلاث سيارات و.. و..

لا بد أنه صاحب كرش كبير. يتحدث من طرف أنفه. كم أود أن أمسح به الأرض. أعرف هذا النوع. أجوف. متغطرس. كان يعارض فكرة زواج ابنته من صديق:

– لست مؤيداً هذا الزواج. لقد علمت ابنتي في أرقى المدارس منذ صغرها. تركت لها حرية التفكير. اتخاذ القرار. ما دامت موافقة ومقتنعة بك كزوج.. لا يسعني إلا أن أوافق في النهاية.

واصلت صعود السلم. انبعث أصوات أطفال من جوف إحدى الشقق. سأجد طفليها معها..؟ أخبرني أن أكبرهما في التاسعة من عمره. صورة طبق الأصل منه. الطفلة في الثامنة. تفوق أمها جمالاً.

ماذا تفعل لو رفضت الذهاب معك؟:

«لقد...».

«عذراً أتحله.. ما الدافع الذي...؟».

«إنه رجل».

«أنا امرأة لها احتياجاتها. هل قصرت في واجباته الزوجية يوماً؟».

ضغط على زر الجرس. ترى من سيقابلك؟ أحد طفليها؟ لو قابلتك هي؟ لماذا يدوي قلبي بين الضلوع؟ يهبط إلى ركبتي؟ يغوص في قاع الحيرة؟ أخائف؟

فتح الباب. تطلعت إلى الرجل الأشيب. لماذا غطت وجهه الوردي ابتسامة؟ لا بد أنه والدها. تطل من عينيه نظرة ودودة. مستفسرة. بداية مشجعة. الظروف بجانبي!!

– أهلاً وسهلاً.

– جئت من طرف..

– حدثني تليفونياً. تفضل. لماذا تقف هكذا؟ لحظة واحدة. سأخبرها. شيء من الطمأنينة يسري في أعماقي. أسرع أبوها إليها:

«أرسل إليك صديقه لكي ..»

«لا أريد مقابلة أحد. اكتشفت خداعه. نفاقه. لم أعد أطيقه. لقد خدعني من قبل. لا أريد أن اخدع من جديد!!».

- تفضل. تفضل.

لماذا أشار بيده؟ لن يأتي معي لكي..؟ الأفضل أن ألقاها بمفردها.

غاصت قدماي في السجادة العجمية. وقع بصري عليها جالسة في الشرفة. لماذا لم تنهض من مقعدها؟ غير راغبة في لقائي؟ ألم يخبرها والدها؟ لماذا سمح لي بالدخول.. أشار بيده نحوها؟ أليس هذا دليلاً على..؟

بعد قليل سأعيد الابتسامة إلى شفتيها. تعتذر عما بدر منها الآن. ما زالت حلوة. طليقة. نهر رقراق.. لماذا لم تصافح يدي؟ لماذا تنظر إليَّ من قمة رأسي إلى أخمص قدمي؟ لم يعجبها قيصي وبنطلوني؟

قبل أن يلتحم المصارعان يتفرس كل منهما الآخر. ستعلمين من أنا..؟ تجمعين ملابسك. تجرين طفليك. تأتين معي:

- تفضل.. اجلس.

ليس في نبرات صوتها شيء من التحدي أو..؟ من أين أبدأ معها الكلام؟ عيناها تطل منهما إشعاعات ذكاء. يجب أن أكون حذراً. أتحسس كل حرف قبل أن ينطق به لساني.. وإلا.. فشلت في مهمتي. كيف. لم أعرف الفشل. يجب أن أقنعها. أصحبها إلى زوجها. لو تم الأمر كما أتوقع..؟ لم لا يحدث؟:

- هل المرأة التي تزوجها جميلة؟

ليست أجمل منك. لو قلت لها هذا ربما غزت حمرة الخجل وجهها. وقد تثور:

قالت أمي ذات يوم:

- الجمال كنز يخشى حيازته من لا يقدر أن يصونه.

- عندما بلغني نبأ زواجه، أدركت أنني كنت في ظل وهم كاذب. كيف يحبني.. ويتزوج غيري؟ لقد أبلغني أنه...

- الناس لا تمحص أي خبر.. ما دام لا ينزع اللقمة من أيديهم.

- ألم يتزوج؟

- نعم.. ولم يعد إلا..

- إلا ماذا؟ التسليم باستبداده؟ لقد جرح مشاعري. ذبح إحساسي.

لماذا ارتعشت نبرات صوتها؟ غالبها البكاء؟ كان حبها له عظيماً؟ هل يعقل أن تنساه؟:

- لماذا سكت؟

بحث عن مبرر؟ أتذكر شيئاً قد غاب عني؟ آخر الكلمات التي أرد بها على سؤالها؟:

- طلبت منه ألا يسافر بعيداً. قال: لقد قررت. همست في أذنه. لا تهرب من الحقيقة. واجه موقفك هذا بشجاعة. كان قلبي يحدثني بأن شيئاً ما سيحدث. كم كنت أود أن يظل هنا. نعيش معاً.

وجوده بجانبي يطرد من صدري صقيع الملل. تركني للضنى والعذاب؟

- لكل إنسان أحزانه. وآلامه. ظروفه.

- كان يقول: الإنسان يصنع الظروف. تكتسب الأشياء وجودها من خلال الضوء. لا بد أن يقف الإنسان وراء كلمته. تنكر لمبادئه وأفكاره؟ تنكر لكل شيء.. حتى للحب والوفاء؟

- من يحب إنساناً.. يلتمس له الأعذار.. يصفح.

- إذا لم يخن عهده. هل تزوج من امرأة هناك لتفتح له أبواب الدنيا؟ هل هي أجمل مني؟ أأصبحت بالنسبة له قطعة أثاث..؟

- ما زلت كل شيء في حياته و..

- ماذا يظن نفسه يملك نقوداً تملأ جيبه؟ له وجه وسيم؟ لا يملك شيئاً من هذا.. كله

- لماذا قبلت الزواج منه.. إذن؟

- بهرتني شجاعة قلمه. سحرتني كلماته التي تتدفق من بين شفتيه. كان هناك احترام. ثقة مطلقة بيننا.

- لو أن أحداً...

- الوضوح. الحقيقة هي الأساس. أصبحت له



مفاهيم أخرى غير التي عرفتها من قبل أن أتزوجه. ؟ ليته سمع نصيحتي وظل هنا:

ـ عاشق مهنته كعاشق النار.

ـ لقد التهمته النار.

ـ نحن نبني أنفسنا.

ـ ونحن نهدمها.

أقبل طفلان. لو كان ابني معي الآن لاقترب منهما. لعب معهما.

لماذا انحدرت الدموع من عينيها؟ تغالب كرامتها المطعونة؟ دموع المرأة بداية استسلامها..؟ وفقت في الرد عليها.

ـ لماذا لم يأت؟

ـ لا يستطيع الحضور. الأقدام الثقيلة. العيون الثعبانية تترصده في المطارات. الموانئ.

ـ لماذا لم يخبرني قبل أن..؟

ـ كيف يخبرك وهو يعلم أنك سوف...؟

ـ أراد أن يضعني أمام الأمر الواقع؟

ـ ليست هذه إجابة.

ـ ماذا تسميها. إذن؟

ـ الحقيقة أنه..

ـ أين هي الحقيقة؟ مرغ أمانينا في وحل الخداع. لو طلب مني الذهاب معه لانطلقت. فراشة طليقة.

ـ خشي أن..



ـ هل أرسل إليَّ خطاباً أو برقية. أو حدثني تليفونياً.. ورفضت الذهاب إليه؟

ـ كلماتك تشي بأنك ما زلت تكنين له...

ـ ليس المهم ما نكنه نحو الآخرين. بل المهم ما يكنه الآخرون نحونا.

ـ ما زال وفياً لك. وعدني أن...

ـ ما فعله هدم كل شيء!!

ـ كيف يخبئ الحاضر وجهه في عباءة الماضي.. كطفل كسيح؟

ـ أريد أن أسمع كلمة سماح. جئت لأعتذر نيابة عنه. ألتمس له العفو. لا داعي لأن تكون هناك ذرة كراهية أو حقد في صدرك نحوه. طلب مني أن أصحبك أنت والطفلين.

ـ كيف ينمو الورد في أحضان الجرح؟

ـ هل أخبرت طفليك؟

ـ نعم.

ـ كيف؟ لماذا؟

ـ ماذا تريد مني؟ أأكذب؟ لو فعلت.. لاهتزت صورتي أمامها. فقدت تقديرها. احترامها لي. خسرت كل شيء.

التقدير؟ سمعت هذه الكلمة كثيراً. هنا. في أماكن أخرى. لكن ما بالي هذه المرة أمعن التفكير فيها؟ تذكرت ابني؟ أحرص دائماً على أن أكون صادقاً معه. جئت لأحملها إليه.. تعتذر لها؟ كيف نطق لساني.. جئت لأعتذر نيابة عنه؟ أعلنت هذا حقاً؟

ـ ألم تفكري في مصيرك إذن؟

ـ مصيري؟

لماذا ألقت بهذه الكلمة في استهانة واستخفاف؟ عندما تحب المرأة تكون صادقة. حينها تكره.. تكره بعنف؟ لماذا هبت واقفة؟ تعلن عن انتهاء مقابلتها؟ تطلب مني الانصراف؟

ـ أليس..؟

ـ لم يعد دفء الكلمات يكفيني. سأكتب له ورقة. احملها إليه. سأتنازل عن كل شيء.. مؤخر الصداق. النفقة.

ماذا يدور برأسها؟ أتطلب الطلاق؟ مستحيل أن يكون هذا حقيقة. إنني لا أكاد أصدق. هل تقتل الأماني. الآمال.. بغتة!!

«لماذا لا نعمق الحوار؟».

«أريد أن تسقط الأقنعة.. أولا».

«...».

«علمني أن أتطلع إلى الملامح الحقيقية للوجوه».

استقرت عيناي على أصابعها الرقيقة المهتاجة. قذفت بالورقة نحوي.

لماذا وضعت مؤخرة القلم بين أسنانها؟ أدركت أنها تسرعت في اتخاذ قرارها هذا؟ ساورها الندم. إحساس جديد يجتاح أعماقي. إشفاق؟ اقتناع بكل كلمة انطلقت من فمها؟ جئت لتدافع عن صديقك أم..؟

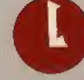
إنني لا أستطيع أن أحدد موقفي بوضوح.. لأول مرة؟ حضرت لأفرغ سلة حقدي. أمسح بشارب أبيك الأرض. أحسست منذ اللحظة الأولى أنه جدير بالاحترام والتقدير. بعيداً عن الغطرسة و.. وكنت أظن أن كلماتي ستصل إلى قلبك. تضعك في قفص الاتهام. تطلبين العفو. الصفح. الذهاب معي إليه. لكن بعد أن تحدثت معك. أدركت أنك...

ـ ماذا قلت؟

نهضت واقفاً. وسدت الورقة مقعدي. غادرت الشقة. تركت الباب.. مفتوحاً.



البحرية



الإسفنج :

شعبة حيوانية واسعة الانتشار في البحار ، وتمثلها فصيلة واحدة فقط في المياه العذبة ، ويوجد الإسفنج عادة في جماعات مثبتة على الصخور ، وتنفرد الإسفنجيات عن باقي الحيوانات في نظامها التركيبي والوظائفي ، ولها هيكل داخلي يتركب في بعضها من **شويكات كلسية** ، وفي البعض من **شويكات زجاجية** ، وفي البعض من مادة الإسفنجين ، الشبيهة بمادة الحرير ، وتكثر أفضل أنواع الإسفنج التجاري في مياه **البحر المتوسط**.



البقرة :

نوع من **الأسماك** ، تنتشر في كل البحار الدافئة ، وهي ذات أجسام ضخمة ، بنية اللون ، تكتنفه بقع زرقاء ، والجسم قرصي ، أو معيني الشكل ، والذيل قصير نسبياً ، كرباجي ، وهي تقبع على الشاطئ تحت الماء الضحل ، مموهة لون سطح الجسم مع لون القاع القابعة فوقه ، وسمكة البقرة تحمل شوكة مسننة أو أكثر ، تتعامد على الذيل عند الانتصاب ، وتستخدمها في الدفاع عن نفسها ، عند الخطر .



تمساح :

زاحف ، لاحم ، ضخم ، له حراشف جامدة فوق ظهره ، وصفائح عظمية عند بطنه ، وفكان قويان ، وأرجل قصيرة ، وذيل مفلطح رأسياً ، **والتمساح النيلي** من أخطر الحيوانات المائية بحوض نهر النيل ، وأنهار إفريقيا ، وقلما يصل إلى الدلتا **والبحر المتوسط**، وطوله حوالي خمسة أمتار . والتمساح الأميريكي زاحف كبير ، ينتشر من كارولينا الشمالية إلى **فلوريدا** وولايات الخليج ، والبالغ منها أسود ، والصغار بنية داكنة ، عليها أشرطة صفراء ، وتتغذى بالكائنات المائية .



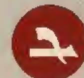
ثعبان الماء :

من فصيلة الثعابين الأصيلة ، يستوطن **أوروبا وغرب آسيا** ، ويعرف بدلتا مصر ، وهو مائي ، يتردد على اليابسة ، ويتغذى بالضفادع والأسماك ، طوله حوالي متر ، وسمك الثعبان الأصغر طولا وحجماً ، يشكل غذاءً ممتازاً ، ويؤكل طازجاً بعد شيه أو طهوه .



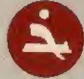
الجمبري :

حيوان قشري من فصيلة الأربيان ، والإستاكوز ، والسرطان ، أنواعه عديدة وواسعة الانتشار بالمياه البحرية والعذبة ، بالبقاع الحادة والمعتدلة ، وبعض الأنواع كبير الحجم ، مثل : السويسي ، والقزازي ، والأحمر ، والأبيض ، والعجوز ، والجمبريات من أهم مصادر **الغذاء البروتيني** في البحر ، وهي تحتوي على قيمة بروتينية عالية ، ولها مذاق خاص يجعلها من أشهى المأكولات البحرية .



الحشف البحري :

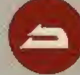
اسم يطلق على ذلك الحشد من الكائنات الحيوانية والنباتية المختلفة الأنواع والأحجام ، التي تنمو على أي جسم ، أو سطح صناعي مغمور ، أو نصف مغمور ، في ماء البحر . وتتميز بالقدرة على الالتصاق بالأشياء المغمورة ، والأسطح العائمة في المياه قليلة الغور ، **وأهم الكائنات الحشفية** السريديا ، والأصداف ، والمحار ، والسيونا ، ودودة الخشب .



خنزير البحر :

حيوان ثديي ، بحري ، أفطس الأنف ، يتبع رتبة الحيتان ، يتجول

في قطعان ، ويظهر كثيراً بشمال المحيطين **الهادي والأطلنطي** ، وهو من **الثدييات** ذوات الدم الحار ، التي تتنفس الهواء مباشرة من الماء ، وليس عبر الخياشيم ، كما أنها **تلد صغارها وترضعها** ، من خلال أثدائها التي تفرز اللبن .



الديدان البحرية :

تمثل حلقة هامة في السلسلة الغذائية بالنسبة إلى البيئة البحرية ، وتكون نسبة كبيرة من الحيوانات اللافقارية القاعية ، كما أنها ضرورية لغذاء العديد من الأسماك القاعية والعائمة ، وهي تتخذ في معيشتها نمطاً من اثنين ، إما هائمة ، تسبح في الطبقة العليا من الماء ، أو جالسة تستقر ، بعد انتهاء الطور اليرقي الهائم ، فوق أحد الأسطح العائمة أو الثابتة في الماء . وهذه الديدان **تتكاثر لاجنسياً** ، ولها القدرة على إنتاج الضوء الذي يساعد الأفراد من نفس النوع على التعارف والتقارب .



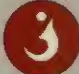
ذات النجوم :

من عائلة الرايات ، المنتشرة في معظم بحار العالم ، وبخاصة في المياه العميقة نسبياً ، تتغذى على القواقع الهشة والكائنات الصغيرة ، وتقبض سمكة ذات النجوم على فرائسها باحتوائها بين جناحيها ، أو بين طرفي جذعها الأسفل ، إلى أن تلتهمها بالفم . والسمكة ذات النجوم تصل في نموها إلى أحجام كبيرة من اللحم الشهي الممتاز ، وهي سهلة الصيد ، وتوجد بكميات وفيرة .



الرايات :

يطلق عليها هذا الاسم ، استناداً إلى التسمية الشائعة عند الصيادين ، وهي عائلة سمكية ، تشتمل على عدة أنواع ، منها الراية البنية ، والراية ذات الأشواك ، والراية ذات العيون الكاذبة ، وتختلف هذه الأنواع من حيث الشكل واللون ، ولكنها تنتمي إلى عائلة واحدة منتشرة في معظم بحار العالم ، وبخاصة في المياه العميقة ، حيث تقبع على القاع باحثة عن غذائها ، المكون من القواقع الهشة ، والمخلوقات الصغيرة ، التي تعيش عند القاع . ومعظم أنواع الرايات يصل في نموه إلى أحجام كبيرة من اللحم الممتاز .



زعنفة :

عضو الحركة في السمك ، تتركب من شعاعات غضروفية ، أو عظمية مغطاة بنسيج رقيق ، وتوجد زعنفة واحدة ، كما في ثعبان السمك ، تمتد من الظهر حول الذيل ، على طول السطح البطني ، وللأغلبية زعنفة ظهرية واحدة ، أو اثنتان ، أو ثلاث ، وزعنفة ذنبية ، وأخرى شرجية ، وكلها تسمى بالزعانف الوسطية أو غير الزوجية ، والزعانف الزوجية هي الصدريتان خلف الخياشيم ، والحوضيتان ، وللبعض **كسمك سليمان** والأسماك القطية ، زعنفة دهنية ، وهي نسيج دهني بدون دعامة ، تقع خلف الزعنفة الظهرية ، والذيل عضو سباحة



سردين :

أسماك صغيرة متنوعة ، تعلب بالزيت أو الصلصة ، والسردين الجيد يعيش **بالبحر المتوسط** ، والمياه الدافئة الساحلية **للمحيط الأطلنطي** ، اسمه العلمي (ساردينيا بلشاردس) ، ومن أسمائه : الشابل ، والصابوغة . وتحفظ صغار الإسبرات والرنكة وتسمى سردينا ، ويغتذي السردين على البلانكتون النباتي .



شقيق البحر :

حيوان لافقاري بحري ، على شاكلة المرجانيات ، وقناديل البحر ، جسمه أسطواني له لوامس جوفاء تحيط بالفم ، ومزودة بخلايا لاسعة ، يوجد مثبتاً بالصخور والأصداف والأعشاب البحرية ، بالمياه الضحلة ، ومنه أنواع كثيرة زاهية اللون تشبه الأزهار .

ص

صيد السمك :

عرفه البشر منذ أقدم العصور ، ومارسته جميع الشعوب القديمة ، دون استثناء ، باليد أو بالعصا ، أو بالحربة ، أبو بالصنارة ، وصيد السمك ليس عنصراً أساسياً في حياة الجماعات الصغيرة ، كتلك الجماعات التي تعيش في جنوب **المحيط الهادي** ، بل إنه عنصر أساسي في حياة شعوب كثيرة **كالصين ، واليابان ، وهونج كونج** .

ض

الضفادع :

حيوانات برمائية توجد بالمياه العذبة الهادئة ، ملساء الجلد ، خضراء اللون في الغالب ، وكثيراً ما يكون لونها أبقع ، لبعض أنواعه إفرازات سامة أو مهيجة ، ويثبت معظم الأنواع في الطين ، وتضع الإناث البيض في باكورة الربيع ، وتفرز **الأنثى** مادة جيلاتينية تحيط بالبيض ، والضفادع عديمة الذيل ، **تتنفس بالرئتين** ، ويستغرق النمو إلى حجم الحيوان البالغ عدة سنوات . هذا والضفادع تعيش في جميع أنحاء العالم .

ط

الطوربيدات :

أنواع من الرايات السمكية ، مدورة الجذع ، تقضي معظم وقتها دفينة في الطمي أو الرمال ، في المياه الضحلة ، ولا يمكن تمييزها بسهولة بين أحياء ومكونات القاع ، لأنها تأخذ لون البيئة التي تعيش فيها ، وتظهر عند الغروب ، بحثاً عن غذائها ، وتتميز بجسمها الأملس ، الخالي من القشور أو الأشواك ، كما تتميز بالقدرة على توليد الكهرباء ، ولحمها معروف وصالح للأكل ، ولكن ليس منتشراً .

ع

عروس البحر :

حيوان ثديي مائي آكل عشب ، يعيش في **البحر الأحمر** ، **والمحيط الهندي** ، والمياه الأسترالية ، يشبه خروف البحر ، وتتبع رتبته ، ومنه نوع يسمى **بقر الماء** ، لونها بني أو رمادي ، وطولها من ٢ إلى ٣ أمتار ، ولها مجدافان أماميان قابلان للانثناء ، وذيل مفلطح ، وهي لجلدها ، وأنيابها ، وزيتها ، ولحمها ، طيب المذاق ، نادرة .

غ

غراب البحر :

طائر مائي كبير ، يجيد السباحة ، قريب من الأطيش والبجع ، يعيش بالمناطق المعتدلة والحارة ، يوجد عادة في البحار ، وأيضاً في المياه الداخلية ، وهو كثيف الريش داكنه ، طول جسمه ٦٠ ــ ٩٠ سم ، والقدمتان مكففتان ، والمنقار طويل ، معقوف الطرف ، **يستخدم في الشرق لصيد الأسماك**

ف

فرخ :

سمك صغير ، بديع اللون ، يوجد بالمياه العذبة في أوروبا ، وآسيا ، وأميريكا الشمالية ، **من أسماك الصيد** ، وهو نموذج لفصيلة كبيرة من أسماك شائكة الزعانف ، يزن حوالي ٥ أرطال ، ولحمه لذيذ الطعم .

ق

قاروص :

أسماك مختلفة ، تؤكل أو تصطاد ، وأشهرها ما يتبع الفصيلة (**سيرا نيدي**) ، وفصيلة سمك الشمس (**سنترار كيدي**) ، والقاروص من أشهر أسماك **البحر المتوسط**، يصل إلى **بحيرات الدلتا** ، ويصعد إلى **النيل** ، واسمه العلمي (**موروني لابراكس**) ، ومنه أنواع عديدة ببحار أميريكا وأوروبا .

ك

كلاب البحر :

وتسمى أحياناً كلاب السمك ، وكلاب البحر هو الاسم الشائع لهذه

المجموعة من الأسماك الغضروفية ، التي تنتسب إلى عائلة **القروش** ، **فهي** قروش حقيقية ، ولكنها صغيرة الحجم ، لا تفترس الإنسان ، وهي هادئة غير ضارة ، تعيش في المياه قليلة الغور ، بالقرب من القاع ، بعكس القروش المفترسة التي تعيش طليقة في المياه العميقة بالقرب من السطح . وهي تؤكل طازجة ، ويقبل عليها سكان المدن والقرى الساحلية ، في كثير من بقاع العالم

ل

لـؤلـؤ :

مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية ، وتستعمل في **صناعة الجواهر** ، ويتكون اللؤلؤ من نفس المادة التي تتكون منها صدفة الحيوان الرخو ، في هيئة طبقات متبادلة حول نواة قد تكون حبة من رمل أو طفيلي ، وتوجد اللآلئ في أشكال وألوان مختلفة ، تبعاً لنوع الحيوان الرخو ، ونوع الطفيلي أو الجسم ، وأحسنها عادة هي البيضاء ، وهناك لآلئ سوداء اللون ، وهي غالية الثمن لندرتها ، **وأهم مصادر اللؤلؤ محارة الاويستر** (بحرية) ، ومحارة الأونيو (التي تعيش في المياه العذبة) .

مـ

الـمـحـراث :

صغارها بعد انتهاء فترة حضانتهم بداخلها ، وأحياناً تسمى **سمكة الجيتار** ، لأن الجسم يشبه آلة الجيتار ، وكثيراً ما يوجد دافناً رأسه في القاع الرملي ، ويؤكل لحم المحراث بعد سلخ جلده السميك ، والتخلص من رائحة النوشادر الكثيفة ، التي تتميز بإفرازها هذه الأنواع من الأسماك .

ن

نـوتـيـل :

أو ذراع البحر ، وهو حيوان رخوي ، رأس قدمي ، صدفته أصيلة ، وهو على شكل سلسلة لولبية من غرف تتدرج في السعة ، ويوجد لحم الحيوان في أوسع الغرف وهي أحدثها تكويناً ، ويعرف هذا النوتيل **بالنوتيل اللؤلؤي** ، تميزه عن النوتيل الورقي الذي يتبع نفس الطائفة ، ولكن صدفته ثانوية كاذبة ، يفرزها زوج من الأذرع ، وتبدو كالورق المقوى .

هـ

الهولندي الطائر :

تبعاً لما يزعمه البحارة ، هو ذلك الشبح المشؤوم للسفينة التي شوهدت بالقرب من **رأس الرجاء الصالح** ، وهي ناشرة أشرعتها وصواريها ، ويقال إن ربانها قد حكم عليه بأن يواصل إبحاره إلى الأبد ، بسبب القسم الذي قطعه على نفسه وحنث فيه ، وأسطورة الهولندي الطائر ، صارت رمزاً لكل البحارة .

و

الوطاويط :

عائلة سمكية لها شكل مميز ، يقترب من شكل الوطواط أو **الخفاش** ، وذلك لأن جانبي الجذع ممتدان على شكل جناحين مثلثين ، والذيل سوطي طويل به شوكة مسننة ، أو أكثر من شوكة ، وهي معروفة في كل البحار الدافئة ، تقطن القاع الطيني أو الرملي ، وتسبح صاعدة إلى قرب السطح ، وتوحي حركة الزعانف المجنحة أثناء السباحة ، بأن هذه السمكة تطير في الماء .

ي

ياسنت :

نبات مائي ، يوجد في البحار والأنهار على مقربة من الشواطئ ، معمر ، أوراقه مستديرة طافية ، وأزهاره زرق بنفسجية ، ذات أعناق لحمية ، يتكاثر بسرعة ، ويغطي سطح الماء ، في الترع والمصارف ، وعند شواطئ الأنهار ، حتى إنه يعوق الملاحة في **فلوريدا** ، **وكاليفورنيا** .

★ ★

استخدام الفصيح من ألفاظ الحديث اليومي في
الكتابة للأطفال

إعداد : يعقوب الشاروني

على الرغم من ظهور أعداد كبيرة من كتب الأطفال وقصصهم باللغة العربية ، إلا أن لغة ومفردات معظمها كانت فوق مستوى من كتبت لهم من الأطفال . ونتيجة لهذا الخطأ الفني ، ملَّ الأطفال قراءة تلك القصص .

والسبب الرئيسي في هذه الظاهرة ، أن من يكتبون للأطفال لا يجدون أمامهم ما يرشدهم إلى المفردات والتراكيب التي يجب أن يخاطبوا بها العمر الذي يوجهون إليه كتاباتهم .

أما في اللغات الأجنبية ، فقد قام كثير من الباحثين بجمع قوائم المفردات والتراكيب ، التي تدخل في القاموس اللغوي للأطفال في الأعمار المختلفة ، ونشروا هذه القوائم ، ليستعين بها المؤلفون لكتب الأطفال ، وليستعين بها غيرهم ممن يتعاملون مع الأطفال .

الطفل وثنائية اللغة

ويواجه من يكتبون لأطفالنا ، باللغة العربية ، مشكلة أخرى ، تضاف إلى مشكلة التعرف على قاموس الأطفال اللغوي في أعمارهم المختلفة ، هي « مشكلة ثنائية اللغة » ، التي يتعين على الطفل أن يواجهها أول ما تبدأ علاقته بالكتب .

فالطفل لا يعرف في بداية حياته إلا لغة الحديث اليومي ، وهي ما اصطلحنا على تسميتها « **باللغة العامية** » ، يفهمها ويتفاهم بها في البيت والطريق والمدرسة . فإذا ما بدأ حياته المدرسية ، أخذ في تعلم العربية الفصحى ، التي توحي الكتب المدرسية أنها لغة جديدة غريبة عن الطفل ، وإذا حاول استخدام بعض ألفاظها في البيت أو الطريق ، قابلته ضحكات السخرية أو أمارات الدهشة .

التجربة

وقد قام **الأستاذ محمد محمود رضوان** بتجربة كشفت عن عجز كثير من الأطفال عن فهم معظم الكلمات التي تحتوي عليها الكتب المستخدمة في المدارس ، فقد جمع عيِّنة تتألف من مائة كلمة بطريقة عشوائية ، من ستة كتب كان استخدامها شائعاً في رياض الأطفال . وأجرى اختباراً على مائة من أطفال سبع مدارس من رياض الأطفال بالقاهرة (٥٠ ولداً ، و ٥٠ بنتاً) ، فاتضح من هذه التجربة ما يأتي :

١ ـ أن عدد الأطفال الذين فهموا أكثر من ٥٠ ٪ من الكلمات ، يبلغ ٦٢ طفلاً ، على حين أن ٣٨ منهم فهموا نصف الكلمات أو أقل .

٢ ـ أن عدد الكلمات التي فهمها أكثر من نصف الأطفال يبلغ ٥٣ كلمة ، على حين أن ٤٧ كلمة فهمها نصف الأطفال أو أقل .

٣ ـ أن الطفل المتوسط عرف ٥٣,٧ ٪ من الكلمات ، وهذه نسبة ضئيلة جداً ، خاصة وأن الاختبار أُجري في شهر مايو (أيار) ، أي بعد ثمانية شهور من الدراسة التي كانت تعتمد على تلك الكتب .

٤ ـ أن ١٠ ٪ فقط من الكلمات كانت مفهومة لجميع الأطفال ، على حين أن ٦ ٪ منها لم يفهمها أي طفل على الإطلاق .

ويقول الأستاذ محمد محمود رضوان في كتابه « الطفل يستعد للقراءة » تعليقاً على هذه النتيجة الأخيرة :

« ومن الطريف أن نلاحظ أن الـ ١٠ ٪ التي فهمها جميع الأطفال ، كانت من الكلمات التي وردت بنسبة عالية من الشيوع في قوائم أحاديث الأطفال ، وأن الـ ٦ ٪ التي لم يفهمها أحد لم ترد كلمة منها في تلك القوائم » .

فأما الكلمات العشر التي فهمها جميع الأطفال فهي :

« يأكل ـ يشرب ـ أحمر ـ بطيخ ـ ضحك ـ أرنب ـ خضراء ـ يلعب ـ قرش ـ حزام » .

أما الكلمات الست التي لم يفهمها أي طفل على الإطلاق فهي :

« كيف ؟ ـ خجل ـ إذن ـ يهين ـ تثاءب ـ تأسف » .

وينتهي صاحب التجربة إلى ما عبَّر عنه

الكتابة للأطفال

« بالنتيجة المحتومة » وهي « **أهمية اتفاق كلمات كتب الأطفال الصغار مع قاموسهم الكلامي** » .

لغة الطفل

لذلك ، فإن لغة الطفل التي يتحدث بها ويعرفها ويفهمها ، ينبغي أن يُبنى عليها ما يقدم إليه من كتب وأدب ، ذلك أن علينا أن نستغل خبرات الأطفال اليومية المباشرة لنصل إليهم ، وهذا يقتضي أن نستخدم ــ **بقدر الإمكان** ــ لغتهم التي يستخدمونها هم في أحاديثهم ، متى كانت سليمة من الناحية اللغوية .

إن كاتب الأطفال يريد أن يصل ، لا إلى عدد محدود من الأطفال الذين تُهيئ لهم بيئاتهم الاستماع المستمر لتعبيرات اللغة الفصحى واستخداماتها ، بل إلى جمهور الأطفال المنتشر في كل مكان ، والذين لا تصافح أسماعهم « اللغة الفصحى » إلا نادراً .

إننا ، إذا قصرنا لغة الكتابة على ألفاظ بعينها يدرك معناها قوم قليلون ويجهل مرماها الآخرون ، فإننا نعمل على إيجاد هوة فاصلة بين الخاصة وهم قلة ، والعامة وهم كثرة ، ووضعنا عائقاً أمام الكثرة الغالبة من الأطفال تَحُول بينهم وبين فهم وتذوق وحب الكتب الموجهة إليهم .

إن معظم تلاميذ المدارس ، يأتون في الوقت الحالي من قطاعات تعد من أكثر القطاعات الاجتماعية تَعَرُّضاً للحرمان ، ولم تألف هذه القطاعات الفقيرة الكلمة المكتوبة أياً كان نوعها .

وتدل الدراسات التربوية على أن الأطفال الذين ينشأون في بيوت تتيح لهم فرصة الاطلاع على الكتب الملائمة ، والاستماع إلى الراديو ، وتبادل الحديث ، والإنصات إلى الحكايات والقصص ، وغير ذلك من أنواع التدريب اللغوي ، يكونون أقدر على تعلم القراءة من الأطفال الذين ينشأون في بيوت حرمتهم تلك الوسائل التعليمية المختلفة .

ولقد أشار الباحثون ، منذ أكثر من قرن ، إلى أن « **طفل الأغنياء يفهم كلمات أكثر وأفعالا أقل من طفل الفقراء ، وأن الأخير يفهم أفعالا أكثر وكلمات أقل** » .

ويقول **الدكتور صالح الشماع** في كتابه « **ارتقاء اللغة عند الطفل** » : « **إننا نرى الإشارة إلى هذه الحقيقة في كتاب روسو « إميل والتربية » منذ أكثر من قرنين** » .

فإذا كنا نستقبل طفل هذه البيئات الفقيرة بأن نقدم له ، في أول ما يقرأ من كتب ، لغة فصحى ، تختلف عن لغته اليومية في الألفاظ والتراكيب ، فإننا نكون قد جعلناه يواجه حاجتين كبيرتين معاً ، في نفس الوقت : **الأولى** ، حاجته إلى أن يتعلم القراءة ويحبها ، حتى يجعل من الكتاب صديقاً دائماً له . **والثانية** ، حاجته إلى أن يتعلم ، في نفس الوقت ، لغة نتركه يحس أنها جديدة عليه ، وما يصاحب هذا من شعوره بأنها صعبة وغامضة وغير محددة ، ولا تثير لديه صوراً من خبراته السابقة ، فتنقطع الصلة الوجدانية والفكرية بينه وبينها .

هذا ، في حين أن القواعد التربوية السليمة توجب ألا نُعَلِّم الطفل ، في الوقت الواحد ، إلا أمراً واحداً ، فإذا أتقنه انتقلنا منه إلى غيره . أما إذا أردنا أن نعلمه أشياء متعددة في وقت واحد ، فالنتيجة الحتمية لذلك أن نخفق في تعليمه إياها جميعاً .

أدب الأطفال

وفي هذا لا يجب أن نلقي مهمة رعاية النمو اللغوي للطفل على عاتق أدب الأطفال وحده ، فهناك مجالات خاصة بذلك في مواد الدراسة ، تشمل : كتب القراءة والتعبير والنصوص ، وغيرها من المواد التي تهدف إلى تعليم اللغة للأطفال .

أما أدب الأطفال ، فإنه يهدف أساساً إلى الإمتاع ، وتكوين العواطف ، وتنشيط الخيال ، وتعويد الصغار ، بطريق غير مباشر ، على المعايشة السليمة للأحداث والأشخاص ، والسلوك الإنساني الفاضل الكريم ، وحفزهم على الخلق والابتكار والتجديد وتحمل المسؤولية ، واكتشاف مواطن الصواب والخطأ في المجتمع . فإذا تعلم الطفل ، بجوار هذا ، لفظاً جديداً ، فإنما يتعلمه



عرضاً دون عمد أو قصد من الكاتب .

وكاتب الأطفال الموهوب هو الذي لا يجابه الطفل بألفاظ توقعه في حيرة من أمره ، لأنه لا يفهمها ، أو تقطع عليه سلسلة خيالاته وتجاوبه مع موضوع القصة وشخصياتها ، ومعايشته لأحداثها ، لكي يبحث عن معنى اللفظ الذي لا يعرفه .

اختيار اللغة

ومن ناحية أخرى ، فإنه لا بد من إعداد الطفل ليجيد في مستقبل حياته فهم الفصحى وقراءتها ، إذا أُريد أن يمضي قُدُماً في برنامجه التعليمي ، أو في حياته كمواطن عربي . لكن مواجهة الطفل باللهجة الفصحى الغريبة عنه أول ما يدخل المدرسة ، خطير غاية الخطورة من الناحية التربوية والناحية النفسية جميعاً ، كما سبق أن أوضحنا . **لذلك قلنا إن مفردات الطفل وتراكيبه التي يستخدمها في حديثه ، ينبغي أن تكون المادة الأولى في أول الكتب التي نضعها بين يديه .**

لكن ليس معنى هذا أن نترك العامية تسيطر على تعبير أطفالنا ، بل نحن نقول فقط إنه يجب أن نلتزم في اللغة التي نكتب بها للأطفال ، بالألفاظ والكلمات التي يعرفها الطفل ويفهمها ، وهي التي تكون متداولة عادة في حديثه اليومي .

وليس معنى هذا أن نستخدم فيما نكتبه للطفل من أدب « **كل** » الألفاظ والتراكيب التي يستخدمها في حديثه اليومي ، بل إن الأمر يقتضي أن نختار من قاموس الطفل الكلامي ، تلك المفردات والتراكيب التي تشترك مع اللهجة الفصحى ، فنؤلف منها بقدر الإمكان مادة القراءة والكتابة ، خاصة في المرحلة الأولى التي يتصل فيها الطفل بالكتاب .

بين الفصحى والعامية

ونحن إذا تتبعنا لغة التخاطب الآن ، لنعلم نسبتها من العربية ، وجدناها نفس العربية ، ولكن طرأ عليها التحريف بنقص أحوال الإعراب ، أو تغيير حروف بعض الكلمات (الحركة أو السكون ، أو التخفيف ، أو التشديد ، أو الحذف ، أو الزيادة ، أو القلب ، أو الإبدال) . وقد يرد الخطأ عليها من ناحية الاشتقاق مثل « **مبروك** » ، فإن الصحيح « **مبارك** » ، وهناك كلمات دخيلة اقتضتها سُنَّة المخاطبة .

والكثرة الكبرى من الألفاظ العربية ، إما عربية قرشية صحيحة ، وإما محرفة عنها تحريفاً قليلاً ، وإما عربية من لهجات قبائل أخرى غير قريش ، أو محرفة عنها تحريفاً قليلاً . ومن هذه الألفاظ ما يستخدمه الصغار في تعبيراتهم اليومية ، ويُقبل منهم في لغة الحديث والمناقشة حتى أثناء الدرس ، فإذا ما كتبوها في موضوعات التعبير التحريري ، يشجبها أساتذتهم باعتبارها نابية ، مع إنها من ألفاظ الفصحى ، وتحتل أماكن في معاجمنا .

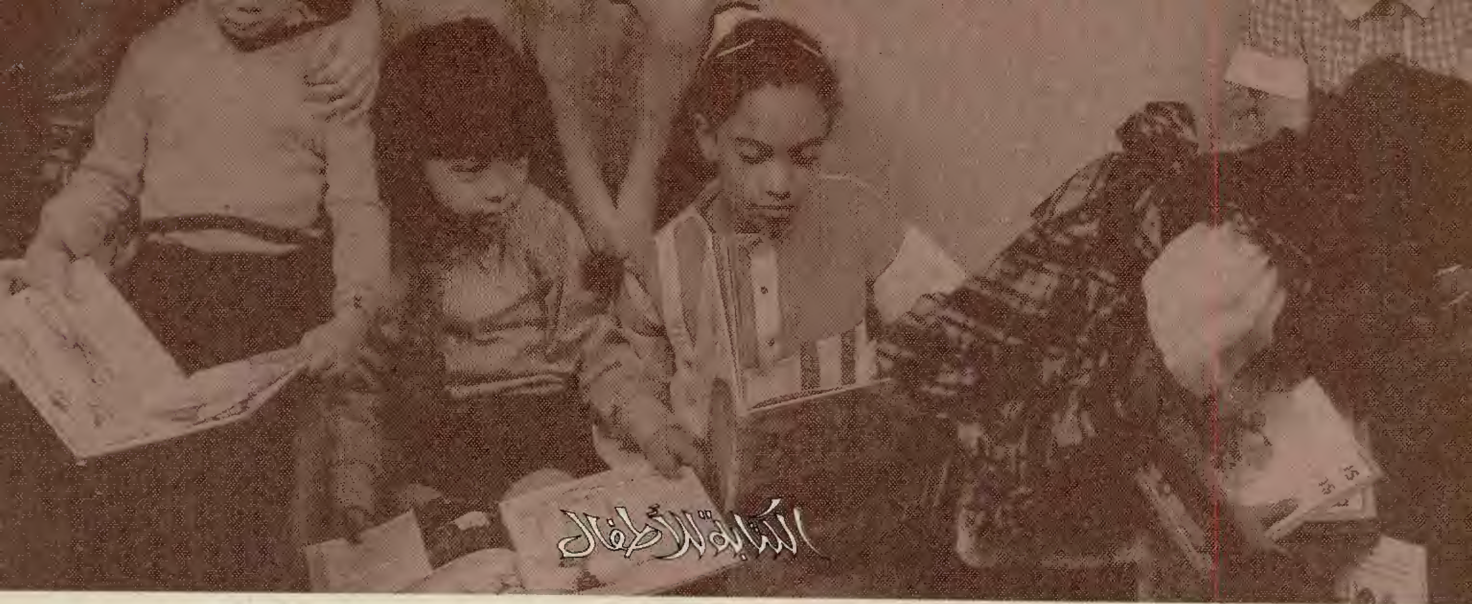
وزيادة على ذلك فهي حية يتداولها الناس .

إنَّ بُعْدَ الألفاظ العامية عن العربية مبالغ فيه ، ومن اليسير تدارك الأمر إذا نحن عنينا بجمع كل المفردات العامية ، وعنينا بإعادة الاعتبار إلى كل ما يمكن رد الاعتبار إليه ، وصححنا كل ما يمكن تصحيحه منها ، بغير إبعادها عن صورتها الأولى كلما أمكن ذلك .

كما أن الدراسات الحديثة التي تناولت اللهجة العامية ، تؤكد ضرورة الاعتراف بصحة كل ما جرى على قياس كلام العرب ، أو على خصائص لهجة عربية ، أو على كلام مروي عن شاعر أو لغوي ثقة ، أو أمكن تخريجه على وجه صحيح .

كما تؤكد هذه الدراسات على ضرورة تطبيق القواعد التي انتهى إليها مجمع اللغة العربية وغيره من المجامع العربية ، في أقيسة اللغة وأوضاعها العامة ، كالقياس والسماع ، والمولد ، والمعرب ، والدخيل ، والاشتقاق ، والنحت ، وما إليها . ثم تطبيق القواعد السليمة التي انتهى إليها اللغويون القدماء والمحدثون ، للتطور اللغوي في الأصوات ، والدلالة ، والصياغة . (يراجع كتاب « **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة** » **للدكتور عبد العزيز مطر** ، صفحة ٥١) .

وخلاصة هذا ، أن أهم الوسائل التي تجعل اللغة مقبولة ومتداولة ، أن تكون لألفاظها مدركات يستوعبها العامة والخاصة بسهولة وبغير جهد أو عناء ، وأهم السبل إلى ذلك ، ألا



يحتقر الكاتب الصحيح من مفردات العامية ، فيهجره ، بل يجب أن نأخذ الألفاظ الصحيحة ، ونأخذ الألفاظ المريضة بعد أن نصححها ، ونجعل كل ذلك يجري بأقلامنا كل يوم ، فيأنس الأطفال والصغار بلغتنا ، لأنهم يقرأون كلمات يرددونها في حياتهم اليومية . ثم يأخذون ، من حيث لا يشعرون ، كثيراً من الألفاظ الأخرى التي نكتبها ، والتي ليست مستخدمة في الحديث اليومي .

لذلك يجب أن تتطور ألفاظ كتب الأطفال بما يتفق ومصالح الكثرة من أطفالنا ، الذين نريد أن نحبب إليهم الكتب والقراءة ، بشرط أن يساير تطور ألفاظنا الأسلوب العربي في الصياغة والتعبير .

إننا ننادي باستخدام ألفاظ العامية المنحدرة من أصل عربي ، شريطة أن تخضع في ضبطها لقواعد العربية . فإذا أردنا أن نقدم للطفل مادة قراءة صحيحة من وجهة النظر اللغوية ، وهي في الوقت نفسه مما يستخدمه الطفل في حديثه اليومي ، فعلينا أن نرجع إلى قاموس الطفل الكلامي ، وندرس محتوياته ، لنتبين فيه ما يلي :

أ ــ الكلمات المشتركة بين العامية والفصحى ، ولها في الوقت نفسه ، نسبة عالية من الشيوع في أحاديث الأطفال .

ب ــ الكلمات العامية ذات النسبة العالية من الشيوع في لغة الطفل ، وبينها وبين نظائرها في الفصحى تقارب كبير في النطق . ولا بأس أن نقدم هذه إلى الأطفال بعد تهذيبها ، بل إنها إذا قدمت في صياغتها الفصحى ، فلن يجد الطفل مشكلة في فهمها ، مثل « حصان » ، و « منديل » .

خلاصة

إننا في حاجة إلى دراسات شاملة ، لتسجيل قاموس الأطفال الكلامي والفهمي ، أي الألفاظ التي ينطقونها والتي يفهمونها في الأعمار المختلفة ، كما إننا في حاجة إلى وضع معاجم تحتوي على الألفاظ الفصحى ، أو القريبة من الفصحى ، التي نتداولها في حديثنا اليومي ، لنختار من بينها ما يناسب الأطفال ، لنستخدمه



في كتاباتنا لهم ، خاصة صغار السن منهم ، **فهذه الكتب الأولى هي التي تقوم بالدور الأساسي والحاسم في التقريب بين الطفل والكتب ، وفي تنمية وعي القراءة ، وفي تنمية حب الكتاب لدى الأطفال ، وتعميق ارتباطهم الدائم به .**

مراجع البحث

١ ــ محمد محمود رضوان « الطفل يستعد للقراءة » ، نشر دار المعارف بمصر ، (الصفحات من ٤٥ إلى ٦٢) ، وهو أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة .

٢ ــ د . عبد المنعم سيد عبد العال « معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية » ، نشر مكتبة النهضة المصرية (الصفحات من ١ إلى ٩) .

٣ ــ د . علي الحديدي « في أدب الأطفال » ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية (الصفحات من ٧٦ إلى ٧٨) .

٤ ــ د . صالح الشماع « ارتقاء اللغة عند الطفل » ، نشر دار المعارف بمصر (صفحة ١٥٢) .

٥ ــ أحمد نجيب « فن الكتابة للأطفال » ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (صفحات من ٤٤ إلى ٤٨) .

٦ ــ د . هادي نعمان الهيتي « أدب الأطفال » ، نشر وزارة الإعلام بالعراق (الصفحات من ٩٧ إلى ١٠٣) .

٧ ــ د . عبد العزيز مطر « لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة » ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (صفحة ٥١) .

٨ ــ يعقوب الشاروني « دور المكتبة في تنمية عادة القراءة عند الأطفال » ، دراسة مقدمة إلى الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٠م ، التي عقدتها الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٩ ــ يعقوب الشاروني « الطفل والقراءة » ، دراسة مقدمة إلى الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٧٩م ، التي عقدتها الهيئة المصرية العامة للكتاب حول « كتب الأطفال » .

١٠ ــ مجمع اللغة العربية « معجم الوسيط » .

١١ ــ محمد قدري لطفي « القراءة الوظيفية » ، نشر مكتبة مصر (صفحة ٨) .

الحركة الثقافية في شهر

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي

- ترشيح أدباء من السعودية لجائزة عراقية .
- جائزة أدبية جديدة في السعودية .
- الفائزون بجائزتي الدولة في مصر .
- جمعية للنقد الأدبي في مصر .
- موسوعة عن العمارة الإسلامية .
- وفاة الدكاترة الفياض والقيسي من العراق ، والهلالي من المغرب .

في العالم

- معرض عن الفن السعودي المعاصر بتركيا ، وآخر عن قطر في كندا .
- صدور كتب تراثية في باكستان ، ومجلة جديدة في أندونيسيا .
- جائزة جديدة للآداب في أفريقيا .
- مسابقة في الشعر بأسبانيا .
- جامعة أمريكية تشتري مجموعة مجلة أدبية مشهورة .

الحركة الثقافية في الوطن العربي

كلمة

في رحاب الحج والعمرة

للحج منزلة كبرى وأهمية عظمى في الإسلام ، فهو الركن الخامس من أركانه الأساسية التي قام عليها بناؤه . وقد ثبت وجوبه بالكتاب والسنّة وإجماع الأمّة . .

قال تعالى : **« ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين »** (آل عمران : ٩٧) . وعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحجّ ، وصوم رمضان » . (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي) . وبين الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه فريضة لازمة للمستطيع مرة واحدة في العمر ، وأشار إلى أن من زاد على ذلك فهو تطوع . فعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن الأقرع بن حابس ــ رضي الله عنه ــ قال : يا رسول الله الحجّ في كل سنة أو مرة واحدة ، قال صلى الله عليه وسلم : « بل مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع » . (رواه أبو داود والنسائي وأحمد) .

● **التحذير من تركه :** والحجّ واجب على التراخي ، ولكن الأفضل المبادرة إليه والإسراع لأدائه ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ، وذلك لقول الله في كتابه : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا » . (رواه الترمذي » . فمن استطاع الحجّ فعليه الإسراع لأدائه ، لأنه لا يدري ماذا سيحدث له ، فعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من أراد الحجّ فليتعجل » رواه أبو داود وأحمد وزاد : فإنه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة .

● **بعض من فضائله :** (١) للحجّ أثر كبير في غفران الذنوب والآثام ، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « حجوا فإن الحجّ يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن » . (رواه الطبراني في الأوسط) . وقوله عليه السلام : « من حجّ فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (متفق عليه) .

(٢) يضاعف الله ثواب النفقة في الحجّ إلى سبعمائة ضعف . فعن بريدة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ : « النفقة في الحجّ كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف » . (رواه أحمد والطبراني والبيهقي) .

(٣) يستجيب الله ــ تعالى ــ للحجّاج والعمّار دعاءهم ، ويخلف عليهم ما أنفقوا . فقد روي عن

السعودية

• • المرشحون لجائزة عراقية • •

رشحت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ستة من أدباء المملكة العربية السعودية لجائزة صدام الأدبية ، والتي تمنح في مجالات **الشعر والفن القصصي والبحث الأدبي والدراسات اللغوية وتاريخ الأدب ،** والمرشحون هم :

★ أحمد عبد الغفار عطار
★ حمد الجاسر
★ عبد الله بن خميس
★ عزيز ضياء
★ محمد حسن فقي
★ د . أحمد الضبيب

الجدير بالذكر أن قيمة كل جائزة في المجالات السابقة ٣٠ ألف دولار ، بالإضافة إلى وشاح صدام للأدب .

• • مسابقة ثقافية • •

بهدف تنشيط الحركة الثقافية والأدبية ، أعلن نادي الطائف الأدبي عن مسابقته الثقافية الحادية عشرة لهذا العام وذلك في المجالات الآتية :

★ القصة القصيرة
★ الشعر
★ البحث

على أن يقدم فيها ما يتسم بالجدة والأصالة ، ولهذا فقد وضع النادي شروطاً محددة لهذه المسابقة التي حدد آخر موعد لقبول الأعمال المشاركة فيها بيوم الثلاثين من شهر صفر القادم ١٤٠٨هـ .

• • جائزة أبها الثقافية • •

لتكون السياحة ذات صلة بالثقافة أو العكس ، فقد أعلنت لجنة التنشيط السياحي بمنطقة عسير والتي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز عن مسابقة سنوية صيفية مفتوحة تكون في مجالي :

★ « **الإبداع الشعري** » (فصيح ونبطي)

★ و « **الإبداع الفني** » (لوحات) أو أعمال تشكيلية .

وقد رصدت لهذه المسابقة جوائز مقدارها (١٠٥ ألف ريال) توزع على الفائزين الثلاثة في هذين المجالين بنسب متفاوتة وذلك بشروط حددتها اللجنة ، على أن يكون آخر موعد هو شهر ذي القعدة ١٤٠٧ هـ الماضي .

• • مسابقة في أدب الطفل • •

أعلن نادي أبها الأدبي عن مسابقته الثالثة عشرة والتي خصصها « **لأدب وتربية الأطفال** » ، حيث دعى رجال التعليم والأدب للاشتراك في هذا الجانب الهام من الجوانب الإنسانية المتعددة .

هذا وقد حدد النادي موضوعات هذه المسابقة على النحو التالي :

★ **خمس قصص** تهتم بتنمية القدرات العقلية والمهارات الحسية لدى الطفل .

★ **خمس قصائد شعرية** (أناشيد) ، لا تقل الواحدة عن خمسة عشر بيتاً تحمل في مضمونها (الأسرة ، الوطن ، الدين الإسلامي ، العادات الحسنة ، فضل العلم ، الطبيعة) .

★ **مسرحية واحدة** من ثلاثة فصول تهتم بأدب الطفل .

على أن آخر موعد نهاية هذا الشهر (ذي الحجة) ، حيث سيحصل الفائز على جائزة أعدّها النادي ، وهي جائزة تتماشى مع أهمية الموضوع .

• • أمسية شعرية • •

نظم نادي مكة المكرمة الثقافي والأدبي أمسية شعرية أحياها الشاعر الأديب « **حسين عرب** » .

أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « الحجّاج والعمّار وفد الله ــ عز وجل ــ يعطيهم ما سألوا ، ويستجيب لهم ما دعوا ، ويخلف عليهم ما أنفقوا » . (رواه البيهقي) .

(٤) تذكر رحلة الحجّ المؤمن بالرحلة للآخرة . يقول الإمام الغزالي ــ رحمه الله ــ : « فما أشبه السفر إليها بالسفر الأخير لملاقاة المولى ــ عز وجل ــ : فوداعك الأهل والأحباب كوداعك لهم في سكرات الموت ، وفراق الأوطان والأصحاب كفراق الدنيا بالموت ، والالتفاف في ثياب الإحرام كالالتفاف في أثواب الأكفان ، ودخولك الميقات للإحرام كدخولك القبر وهو ميقاتك للقيامة ، ومن التلبية في الحجّ تذكر تلبية داعي الله ــ عز وجل ــ لك عند البعث » . (إحياء علوم الدين ٣ / ٤٧٥ وما بعدها) . فهل بعد هذه الدلائل القاطعة والبراهين السّاطعة ــ التي تبين فضل الحجّ ومكانته يحق لمسلم أن يتهاون في المسارعة إليه حتى يدركه أجله قبل أدائه على الوجه المطلوب ؟!!

● **حكم العمرة :** والعمرة كالحجّ فرض عين عند الإمام الشافعي وابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، لقوله تعالى : « وأتموا الحجّ والعمرة لله » . (البقرة : من الآية ١٩٦) . ويرى المالكية والحنفية أنها سنّة مؤكدة . وقال الإمام أحمد في رواية : إنها واجبة . ونظراً لأهمية العمرة وفضلها العظيم ؛ فقد اعتمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أربع عُمَر ، وبين فضلها في غفران الذنوب بقوله : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » (متفق عليه) . ولا تجب العمرة في العمر إلا مرة واحدة ، وأعمالها أعمال الحجّ غير الوقوف بعرفة . .

● **أمرٌ لا بد منه :** يجب أول ما يجب على مريد الحجّ أو العمرة أن يتحرى المال الحلال البريء من أدنى شبهة للإنفاق على رحلته ، كي يكون عمله مقبولا ، ذلك لأن الحلال يعين على الطاعة ويبعد عن المعصية ، ومن طاب كسبه زكا عمله ، ومن لم يطب كسبه خيف عليه ألا يقبل عمله ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . ويؤكد هذا حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إذا خرج الحاج بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور . وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى : لبيك ، ناداه مناد من السماء : لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك مأزور غير مبرور » . (رواه الطبراني في الأوسط) .

محمد السيد علي بلاسي
جامعة الأزهر الشريف

حضر الأمسية العديد من المثقفين ومحبي شعر الشاعر حسين عرب ، والتي أقيمت ضمن نشاط النادي الأدبي لهذا العام .

• • كتب جديدة • •

● « **نظام التعليم في المملكة العربية السعودية** » ، تأليف **الدكتور عبد العزيز بن عبد الله وآخرون ، صدر في الرياض .**

● « **نجاوى محمدية** » ، ديوان جديد للشاعر **عمر بهاء الدين الأميري ، سيصدر عن مطابع المدينة المنورة .**

● « **أبجدية جديدة لعاطفة قديمة** » ، **مجموعة شعرية للشاعر حسين عجيان العروي ،** صدرت عن نادي المدينة المنورة الأدبي .

● « **برق لجنون المهرة** » ، تأليف **عبد الله عبد الرحمن الجفري ، صدر في جدة .**

● « **الجهاد في الإسلام بين الطلب والدّفاع** » ، تأليف **الشيخ صالح اللحيدان ،** صدر في طبعته الرابعة عن **مكتبة الحرمين بالرياض .**

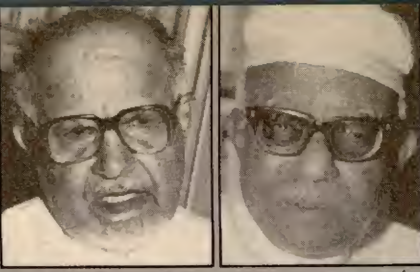
سورية

• • كتب جديدة • •

● **ستصدر الكتب التالية** عن اتحاد الكتاب **العرب بدمشق :**

★ « **الشجرة التي غرستها أمي** » سيرة ذاتية بقلم **الدكتور بديع حقي .**

★ « **الرؤيا في شعر البياتي** » ، دراسة بقلم **الدكتور محيي الدين صبحي .**



★ أحمد عبد الغفور عطار ★ حمد الجاسر ★

★ « **الاتجاه الواقعي في الرواية السورية** » ، دراسة بقلم **سمر روحي الفيصل .**

★ « **يوم لرجل واحد** » ، مجموعة قصصية للقاص **الدكتور أحمد زياد محبك .**

★ « **حال الدنيا .. والخدامة** » ، مسرحيتان بقلم **ممدوح عدوان .**

★ « **الرسالة الزرقاء** » ، رواية بقلم **فيصل الحجلي .**

● « **الجريمة على الطريقة الأمريكية** » ، بقلم **فرانك براوننغ وجون جيراسي ،** ترجمة **فؤاد حديد ،** صدر عن **مكتب الخدمات الطباعية بدمشق .**

مصر

• • الفائزون بجوائز الدولة • •

أعلنت في مصر أسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية في المجالات الأدبية والفنية والعلوم الاجتماعية ، حيث فاز بجائزة الدولة التقديرية كل من :

★ **صلاح عبد الكريم** (عميد كلية الفنون الأسبق) **والدكتور محمد مصطفى والفنان حمدي غيث ، وقد فاز هؤلاء بجائزة الدولة التقديرية في الفنون .**

★ **وفي العلوم الاجتماعية ،** فاز كل من **الدكتور حسين مؤنس والدكتور عبد العزيز صالح** (عميد كلية الآثار السابق) ، **والدكتورة زينب راشد ، والدكتور سيد عويس .**

★ **وفي الآداب ،** فاز كل من **الدكتور حسين نصار والمرحوم محمد البدوي والدكتور محمد القصاص .**

أما جائزة الدولة التشجيعية ، فقد فاز بها كل من : فاروق شوشة عن ديوان (الدائرة المحكمة) ، والصحفي **عادل حمودة** في (أدب الرحلات عن كتابه ـ أمريكا الجنة والنار ـ) ، وفي ثقافة الطفل ، فاز **محمد عصمت إبراهيم** عن كتاب (عبد الله النديم) ، **وعليّة توفيق** عن (جاسم في



★ عبد الله بن خميس ★ ★ عزيز ضياء ★ ★ محمد حسن فقي ★

الفضاء) ، وفي الترجمة فازت « **ثريا مهدي علام** » عن الترجمة إلى الإنجليزية (أصداء من الشعر العربي) .

الجدير بالذكر ، بأن قيمة الجائزة التقديرية تبلغ (٥ آلاف جنيه) ، والتشجيعية قيمتها (ألف جنيه) ، وهي في مجموعها، تمنح سنوياً لذوي الخبرات العالية ، والمواهب الشابة .

• • موسوعة عن العمارة الإسلامية • •

ستصدر عن مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية موسوعة عن العمارة الإسلامية تتكون من ثلاثة أجزاء على النحو التالي :

★ **الجزء الأول سيخصص للعمارة الإسلامية في (مصر)** حيث سيتضمن دراسة تحليلية لآثار إسلامية في مختلف العصور .

★ **الجزء الثاني والثالث ، سيخصصان للآثار الإسلامية في بقية دول العالم الإسلامي** وما يتعلق بها من دراسات متعددة يشارك فيها كبار المتخصصين في العمارة .

• • جمعية للنقد الأدبي • •

تأسست في مصر جمعية للنقد الأدبي تحت اسم « الجمعية المصرية للنقد » وذلك بمبادرة من أساتذة الجامعات المختلفة في مصر ، والذين يمثلون مختلف التيارات الفكرية والفلسفية ، وتتكون الجمعية من الأعضاء :

★ **الدكتور عز الدين إسماعيل رئيساً** .
★ **الدكتور صلاح فضل نائباً للرئيس** .
★ الدكتور صبري حافظ أميناً للصندوق .
★ والدكاترة عبد المنعم تليمه وإبراهيم عبد الرحمن ، وهدى وصفي كأعضاء في هذه الجمعية التي يؤمل من خلالها أن ينهض النقد الأدبي ، ويأخذ مساره الصحيح ، وينتقي السمين من الغث في مجال التأليف والنشر .

• • كتب جديدة • •

• « **قيثارة ودموع** » ، رواية بقلم **مصطفى عوض الله بشارة ، صدرت في القاهرة** .

العراق

• • وفاة الدكتور الفياض • •

انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل فترة **الدكتور محمد جابر الفياض** عن ٥٦ عاماً قضى معظمها في خدمة العلم وطلابه ، إذ تخرج على يديه الكثير من الأساتذة والباحثين .

كان رحمه الله قد تخرج في كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية عام ١٩٥٦ م ، وحصل على شهادة الماجستير من جامعة القاهرة عام ١٩٦٨ م ، ثم على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من الجامعة نفسها عام ١٩٧٩ م ، ولعل آخر منصب كان قد تقلده قبل وفاته كان **رئاسة قسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة بغداد** .

له من الأعمال :

★ « **التورية وخلو القرآن الكريم منها** » ، بغداد ١٩٨٣ م .
★ « **العقد أو نظم النثر وأثر الحديث النبوي الشريف فيه** » ، بغداد ١٩٨٤ م .
★ « **مفهوم البلاغة لغة واصطلاحاً** » ، بغداد ١٩٨٤ م .
★ « **مفهوم الفصاحة لغة واصطلاحاً** » ، بغداد ١٩٨٥ م .
★ « **الكفاية** » ، بغداد ١٩٨٦ م .

★ **وتحت الطبع :**

● الأمثال في القرآن الكريم ـ رسالة ماجستير .
● الأمثال في الحديث الشريف ـ رسالة دكتوراه .
● « أمثال الحديث » دراسة وتحقيق .

رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جنانه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

• • وفاة الدكتور أحمد القيسي • •

انتقل إلى رحمة الله تعالى الدكتور أحمد ناجي القيسي عضو **المجمع العلمي العراقي** والأستاذ **بكلية آداب جامعة بغداد** عن عمر ناهز الثامنة والستين عاماً قضى معظمها في خدمة العلم وطلابه ، فكان مرجعاً في مجال دراسة اللغة العربية وآدابها ، كما ساهم في الحركات الفكرية في عدد من الجامعات الأدبية والعلمية ، وشارك في العديد من الندوات والحلقات الدراسية ، وذلك بالإضافة إلى عمله كأستاذ في دار المعلمين العالية وكليات الآداب والشريعة ، فهو يحمل **الدكتوراه في الأدب الفارسي** من جامعة القاهرة ، وكثيراً ما يشارك في التدريس في كليات مختلفة بحكم تخصصه ، له الكثير من الأبحاث التي ألفها ، أو قام بمشاركة الآخرين فيها ، وكان **عضواً بارزاً في المجمع العراقي** منذ عام ١٩٦٨ م ، **وعضواً في لجنة تعضيد البحث العلمي والتعريب بجامعة بغداد** بين عامي ٨٢ ـ ١٩٨٥ م .

رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جنانه وإنا لله وإنا إليه راجعون .

• • كشف أثري • •

عثر علماء الآثار في العراق على كنوز من صنع الإنسان **يعود تاريخها إلى ٥٠٠٠ ، خمسة آلاف عام** وذلك في حدود بداية الحضارة الأكادية ، حيث استخرجوا ما يزيد على ١٠٠ من الهياكل العظمية ، والحلي الذهبية ، والمجسمات البرونزية ، والآنية الخزفية .

هذه المكتشفات كانت في مستوطنة عثر عليها قرب مدينة « **طيسفون القديمة** » على بعد نحو ٤٠ كيلو متراً شمالي **بغداد** ، والتي عثروا فيها أيضاً على ألواح وعقود وزجاجات عطور وأطباق طعام مما يشير إلى وجود حضارة متقدمة .

المعروف أن السائد لدى المؤرخين **بأن الحضارة الأكادية** ازدهرت في الفترة ما بين عامي ٢٨٠٠ و ١١٠٠ قبل الميلاد .

الكويت

• • تسليم جوائز التفوق العلمي • •

احتفلت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بتكريم وتوزيع الجوائز على الفائزين بجائزة الكويت لعام ١٩٨٦ م .

المعروف أن المؤسسة قد **منحت جائزتها**



★ د . أحمد الضبيب ★ ★ عبد الله الجفري ★

الأولى في مجال الفنون والآداب للأديب جبرا إبراهيم جبرا .

• • معرض الأطفال الدولي • •

حصل عشرة أطفال من الكويت على جوائز معرض الأطفال الدولي السابع عشر الذي أقيم في (**طوكيو**) وشارك فيه أكثر من مائتي ألف طفل من أكثر من مائة دولة من دول العالم ، حيث فاز كل من :

★ **سناء عبد الرحيم** (١٠ سنوات) ، فازت بالجائزة الذهبية عن لوحتها « الفن الوطني » .

★ **عبد الله عليوي** (١٢ سنة) ، وقد فاز بالجائزة الذهبية أيضاً عن لوحته « المدينة » .

★ وفاز ثلاثة أطفال بجوائز فضية .

★ وخمسة أطفال بجوائز برونزية .

الجدير بالذكر بأن هذه الجوائز تمنح كل عام للمبرزين من أطفال العالم في مجال فن الرسم والفن التشكيلي .

المغرب

• • مهرجان الطرب الغرناطي • •

ذاك هو اسم مهرجان يعقد في مدينة وجدة المغربية في هذا الشهر « **ذي الحجة** » تحت إشراف وتنظيم **وزارة الثقافة المغربية** ، ومشاركة نجوم التراث العربي الأصيل ، ومجموعة من المتخصصين والباحثين والمهتمين .

يشتمل البرنامج على سلسلة من المحاضرات والندوات والمعارض التي تقف على القيمة الفنية للطرب الغرناطي .

هذا وقد خصصت الوزارة جوائز تشجيعية للمتفوقين في العرض والأداء في هذا المهرجان .

• • وفاة الهلالي • •

انتقل إلى رحمة الله تعالى الداعية الإسلامي الدكتور محمد تقي الدين الهلالي عن عمر ناهز

للحق .. والتاريخ

في كتابه (**الخطيئة والتكفير**) **الذي لم يقدر لي الاطلاع عليه إلا مؤخراً وفي معرض تدليله على أن أخذ الأستاذ حمزة شحاتة** نفسه بالكمال وولعه بالمعرفة جعله لا يرضى بالنقص حتى في غيره من الناس ...

أورد الدكتور **عبد الله الغذامي** رواية – اعترف بخطورتها – سندها شريط مسجل عن الأستاذ **محمد حسين زيدان منها** (... **فمثلا .. كتب – يعني الأستاذ شحاته – عن الجمال** وليس همه أن يظهر هو ، ولكي أعطي للأستاذ **عبد الله عريف** يرحمه الله فرصة ، فهو يكتب له مقالات في الجمال رداً على المقالات التي كتبها حمزة شحاتة نفسه ، وحين كتب عبد الله عريف كتابه عن **محمد سرور** كان الكثير من الأفكار والصفاة والمزايا من تلقين حمزة شحاتة لأنه أكثرنا معرفة بمحمد سرور .)

ثم ينتقل الدكتور الغذامي في موضع آخر ليقول : (وهو يرحم – الجاهلين بالحق –) ولعلّه لهذا السبب أعان عبد الله عريف وغيره من الأدباء على الكتابة .

ولعلّ صلة الرحم ورد غيبة الميت جديران بطرح عدة تساؤلات أرجو أن يتمعن فيها الدكتور والأستاذ :

١ – أين دقة توثيق الدكتور (الأكاديمي) التي تتجلّى في إشارتيه ٤٤ ص ١٥٠ و٤٧ ص ١٥١ حيث أثبت أن المصدر بلا تاريخ نشر من تساهله في قبول مثل هذه الشهادة من حي واحد على ميت دون غيره ممن زعمت الرواية أنهم أبطال هذا التزوير الأدبي ؟

٢ – هل التزوير الأدبي ضرب من الكمال الذي أخذ به الأستاذ شحاتة نفسه .. ؟! وما حاجة قمّة فكريّة كالراحل إلى أن يستعير أسماء – دونه – ليعرض مشكلاته من خلاله ؟ !

٣ – هل التشكيك على هذا النحو المثير موجه إلى الشخص ذاته أم يهدف إلى هدم قناعات المجتمع ؟!

٤ – هل كان العريف طبلاً أجوف يردد صوت ما يقرع به جلده مما لا طائل تحته . أو محدثاً لسناً يأسر العامة بزائف القول ، أم أن الرجل أفنى ما أسعفه به عمره مخلصاً في خدمة هذا البلد وبذلك يشهد المنصفون ؟ .

٥ – ما الحكمة في تأجيل إذاعة هذه التهمة حتى غيّبه القبر ؟ أهو إطمئنان مزامنيه إلى أن الأموات لا يتكلمون ؟!

٦ – هل يستقيم قبول هذه التهمة مع شهادة الأستاذ حمزة نفسه للعريف إذ يقول في كتابه (**حمار حمزة شحاتة**) ص ٦١ (للأستاذ الصديق أعصاب الناقد وحسّه وملكته وخصائصه ونفس الشاعر المفتون بجمال الحياة وقبحها والمأخوذ بحقها وطبيعة الفيلسوف الهائم بحقائق الحياة والمعنى بأسرارها ..) ويقول : في الصفحة التالية معللاً ابتداء العريف بنقده (لأنه أراد أن يفهم الناس عنه أن لصلته الصحيحة بين ندين جديرة أن تزداد امتزاجاً وقرابة بالصراحة والاختلاف لا بالائتلاف والتستر .

إنني لن أنحو نحو التجني كما يحلو لبعض من واتهم فرص الإذاعة بل أقول : إن العريف شأن كل البشر قد تتلمذ على أيدي من سبقه زمناً وعلماً ولا يضيره أن يكون لحمزة شحاتة تلميذاً – نجيباً وعى مالم يستطع كثير غيره أن يعوا .. وأشد حرصي هنا أن أنفي عن كليهما ما هما منه براء وتلك هي جريمة التزوير الأدبي . لا بأس أن يتعلّم مفكر من مفكر ، أو أن يستقي مترجم السيرة عن الثقاة الأعرف بأحوال صاحبها فذاك مصنف على باب الحرص أن يتوخى الأمانة ..

أما أن يكتب الواحد نيابة عن الآخر وبتوقيعه واسمه فدونه الافتقار إلى براهين ناصعة لا يرتقي إليها الشك ولا يدانيها الظن .

فيا أهل هذه الدار اتقوا الله فيمن فارقها لأنكم غداً بهم لاحقون إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ..

شاكر سليمان شكوري
أبها – عسير

المائة عام قضي معظمها في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كان رحمه الله بالإضافة إلى اهتمامه بخدمة الدين الإسلامي قد عمل في التدريس بعدة جامعات في العالم الإسلامي من بينها **الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة** وجامعات العراق والمغرب والهند والتي أمضى فيها أكثر من ربع قرن قبل قيام دولة باكستان .

له العديد من الأعمال الإسلامية ، حيث ألف كتباً ، وأصدر مجلات ، وشارك في مؤتمرات ولقاءات إسلامية . رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جنانه وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فلسطين

كتب جديدة

● « **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص ـ مع دراسة مفصلة عن حياته وشخصيته العلمية** » ، إعداد **الدكتور كامل جميل العسلي** ، **صدر في عمَّان** .

البحرين

الأصالة والمعاصرة في الفن

أقيمت في المنامة وتحت إشراف وتنظيم **وزارة الإعلام ندوة فنية أحياها الفنان التشكيلي السعودي** « **عبد الحليم رضوي** » رئيس جمعية الثقافة والفنون بجدة ، وكان موضوع الندوة قد دار حول « **الأصالة والمعاصرة ودورها في حياتنا الفنية** » والتي كانت قد أقيمت بمقر **جمعية البحرين للفنون التشكيلية** وبحضور عدد كبير من المهتمين .

كشف أثري

عثرت بعثة أثرية تونسية بحرينية مشتركة على مقتنيات أثرية في أكثر من مائة تل من تلال منطقة عوالي الأثرية في البحرين .

تتمثل تلك المقتنيات في مجموعة من الأواني الفخارية من بينها (٥٥) جرة فخارية ، وكذلك اثنى عشر خاتماً من الصدف ، وكذا خاتمين من الحجر الصابوني ، وأربع خناجر مصنوعة من البرونز .

قطر

كتب جديدة

● « **البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم .. التقليد والاجتهاد .. النظرية والتطبيق** » ، بقلم **الدكتور جمال الدين عطية** ، صدر ضمن سلسلة « **كتاب الأمة** » .

عمان

كتب جديدة

● « **كتاب الإهداء والمنتخب من سير الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأئمة وعلماء عمان** » ، تأليف **أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي النزواني** ، تحقيق وشرح **الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف** ، صدر عن **وزارة التراث القومي والثقافة** .

الإمارات العربية

كتب جديدة

● « **السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة** » ، صدر عن **دار الكتاب الجامعية** .

الأردن

كتب جديدة

● « **الدواوين من كتاب الخراج وصنعة الكتابة** » ، **لقدامة بن جعفر الكاتب** ، تحقيق **الدكتور مصطفى الحياري** ، **صدر في عمان** .

● « **أدب الكتابة والتأليف عند العرب ـ نظرة عامة** » ، دراسة بقلم **الدكتور هاني العمد** ، **صدرت في عمان** .

تركيا

معرض الفن السعودي

أقيم في العاصمة التركية معرض للفن السعودي المعاصر شمل بعض النماذج من الفن التشكيلي السعودي ورسوم الأطفال والصناعات التقليدية الشعبية التي يتميز بها التراث السعودي .

شارك فيه العديد من الفنانين الذين ينتمون لمدارس فنية مختلفة وإن كانوا في الأساس يحاولون إبراز التراث الشعبي الأصيل بالمملكة والتراث الإسلامي العظيم الذي زخرت به الحضارة الإسلامية ، فكان الإسلام وأهدافه المنطلق الأساسي لهم وإن تشعبت أفكارهم .

كندا

قطر : بين الماضي والحاضر

ذاك هو اسم المعرض الشخصي الذي أقامه الفنان القطري « **سالم صالح** » **في مدينة تورنتو الكندية** والذي تزامن مع إقامة بطولة كأس العالم الثانية للناشئين لكرة القدم .

احتوى المعرض على ١٥٠٠ كتاباً بلغات مختلفة وتصور معالم النهضة الشاملة لقطر ولدول الخليج العربية بالإضافة إلى ٣٠ لوحة زيتية ، و٤٠ صورة أخرى ، وبعض الأزياء والملبوسات الشعبية التي تبرز التراث الشعبي والحضاري في قطر خاصة ، والخليج عامة .

الباكستان

أحدث الكتب

● « **الأشباه والنظائر ـ مع شرح الحموي** » ، لابن النجيم ، صدر **في مجلدين عن إدارة القرآن الكريم بكراتشي** .

● « **كتاب الأصل المعروف بالمبسوط** » ، تأليف **محمد بن الحسن الشيباني** ، صدر في **خمسة مجلدات عن إدارة القرآن الكريم بكراتشي** .



★ سوينكا ★

● « إعلاء السنن » ، تأليف ظفر أحمد عثمان ، صدر في ثلاثة عشر مجلداً عن إدارة القرآن الكريم بكراتشي .

أندونيسيا

•• صدور مجلة عسكرية ••

صدر في جاكرتا العدد الأول من مجلّة « تكنولوجي أند ستراتيجي ميليتري » ، وهي مجلة شهرية جديدة تتناول ما يخص الجوانب الاستراتيجية العسكرية تحت إشراف كبار الضباط المتقاعدين ، ونشر دار « سينار كاسيه » .

هذا وقد جاء عددها الأول حافلاً بالعديد من الموضوعات ذات العلاقة بالعسكرية وشؤونها ، ومن ضمنها حديث مع الرئيس سوهارتو وحديثه عن تجربته كجنرال شاب يقود الهجوم الأندونيسي في الستينات .

أسبانيا

•• مباراة في الشعر ••

بهدف توطيد العلاقة بين الثقافتين العربية والأسبانية ، أعلن المعهد العربي للثقافة بمدريد عن مسابقة شعرية تحت اسم « مباراة في الشعر » تمنح فيها جوائز باسم شعراء الأندلس (ابن زيدون وابن خفاجة وولادة) وذلك تكريماً لهم .

حدد المعهد للاشتراك في هذه المسابقة التي سيكون آخر موعد لها يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٨٧ م شروطاً أهمها : أن تكون الدواوين المرشحة لهذه الجوائز باللغة العربية أو الأسبانية ، وأن تكون غير منشورة سابقاً ، ولم ينل صاحبها من قبل جوائز عليها .

نيجيريا

•• سوينكا .. وجائزة أدبية أفريقية ••

بهدف تشجيع الحركة الأدبية في أفريقيا ،

محاضرات

● « أوثق عرى الإيمان » ، محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن حسن الدريعي بالرياض .

● « الحج ... وأحكامه » ، محاضرة ألقاها الشيخ إبراهيم عبد الله الغيث بالرياض .

● « أبحاث الحج .. ومشروع الملك فهد لتوسعة الحرم المكي الشريف » ، موضوع محاضرة ألقاها الدكتور أسامة عنقاوي بالقاهرة .

● « الصحافة السعودية : الوظيفة المجتمعية وتنامي المسؤوليات » ، محاضرة القاها الدكتور فهد الحارثي بالقاهرة .

● « الآثار التاريخية بالمملكة » ، محاضرة القاها الدكتور عبد الله المصري بالقاهرة .

● « التحذير من الرشوة وشهادة الزور » ، محاضرة القاها الشيخ عبد العزيز بن محمد العبد المنعم بالطائف .

● « لمحات عن جغرافية المملكة والموضوعات التاريخية » ، محاضرة القاها حمد الجاسر بالقاهرة .

● « ملامح أثر الأدب العربي في الغرب » ، موضوع محاضرة القاها الدكتور يوسف عز الدين بجامعة الخليج في البحرين .

● « معركة حطين بعد ٨٠٠ عام » ، محاضرة القاها الدكتور نجدة فتحي صفوة بالنادي العربي في بريطانيا .

● « الأدب والثقافة في المملكة ، من الخيمة إلى الوطن » ، محاضرة القاها الدكتور عبد الله الغذامي بالقاهرة .

● « مفهوم العبادات في الإسلام » ، محاضرة ألقاها خليفة بطاح الخزي ببيت الشباب في الرس .

● « الإيمان بالغيب » ، محاضرة ألقاها الشيخ عبد العزيز صالح بنادي الرائد في بريدة .

● « قراءة أولى في شعر أبي البحر جعفر الخطي » ، محاضرة ألقاها محمد رضا نصر الله بفرع جمعية الثقافة والفنون بالدمام .

● « المواصفات والمقاييس في المملكة ودول الخليج العربي » ، محاضرة ألقاها الدكتور خالد الخلف بالشرقية .

● « مسائل في التوحيد » ، محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن صالح المنصور بمدينة بريدة .

● « تاريخ السفور والحجاب » ، محاضرة ألقاها الشيخ عطية محمد سالم بجمعية طيبة الخيرية النسائية بالمدينة المنورة .

● « المقاومة الثقافية في الأراضي المحتلة » ، محاضرة ألقاها الأديب الفلسطيني يحيى يخلف بمدينة الجزائر .

● « الفكر السياسي وحركات الإصلاح » ، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله شريّط بمدينة الجزائر .

● « الأدب الدانماركي المعاصر » ، محاضرة ألقاها الدكتور تورين بروس تروام بمدينة الجزائر .

● « تاريخ العمران في العالم العربي منذ القديم وحتى القرن التاسع عشر » ، محاضرة ألقاها الإيطالي باولو تشونيوا بمدينة الجزائر .

● « جمعية العلماء والفكر والعمل » ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد سليم قلالة بمدينة الجزائر .

● « العلوم الإنسانية » ، محاضرة ألقاها الدكتور علي شنوفي بمدينة تونس .





★ جيمس جويس ★ ★ إزرا باوند ★ ★ أميل زولا ★

تبرع الكاتب النيجيري « وول سوينكا » الفائز بجائزة نوبل للأدب لهذا العام بالمبلغ الذي حصل عليه لإنشاء جائزة أدبية أفريقية تمنح للمرة الأولى في هذا العام .

الجدير بالذكر ، بأن **هذه الجائزة هي الثانية** التي تمنح في هذا المجال ، فقد أوصى من قبل **المنتدى الأدبي الدولي الأول للكُتّاب الأفارقة** بإنشاء **جائزة للأدب الأفريقي** يقدمها المنتدى الذي يعقد دورياً كل ثلاث سنوات إلى أن يتم إنشاء اتحاد الكتاب الأفارقة الذي تجري مشاورات بشأنه ، وكان سوينكا قد دعي للحضور للاجتماع الذي أعلن فيه الأمر بإنشاء هذه الجائزة والذي عقد في برازافيل ، ولكنه اعتذر عن عدم الحضور وتبرع بجائزته لتأسيس جائزة مستقلة .

أمريكا

• • جامعة ييل ومجلّة دبال • •

نجحت جامعة ييل الأمريكية في شراء مجموعة مجلّة (دبال) التي تعد أهم مجموعة أدبية للقرن العشرين وذلك قبل عرضها للمزاد في قاعة السوربي للمزادات .

تتكون المجموعة من خطابات ومسودات ومخطوطات تخص « سكوفيلد تاير » مالك ورئيس تحرير المجلّة ، كما تضم بينها خطابات من الشاعر والناقد الإنجليزي « ت . س . **إليوت** » الذي نشرت قصيدته **(الأرض الخراب)** عام ١٩٢٢ م لأول مرَّة في هذه المجلّة ، كما تضم المجموعة خطابات من **فرويد وجيمس جويس ولورس ولوبل وتوماس مان وا زرا باوند ووليام باتلز .**

المعروف أن (تاير) قد اشترى هذه المجلة عام ١٩١٩ وظلت مدة عشر سنوات تعد أهم مجلّة أمريكية للفنون والآداب .

• • أحدث الكتب • •

● « **كامب دافيد : السلام والسياسات** » ، تأليف **وليام كاندت** ، صدر عن **مؤسسة بروكينجز في واشنطون** .

● « **الحواجز الأخرى : سياسات تحقيق السلام بين العرب وإسرائيل** » تأليف **هارولد ساوندرز** ، صدر عن **المعهد الأمريكي لتخطيط السياسات العامة** (AEIPB) .

● « **النظرة المشوّهة : خلفيات النظرة إلى العرب في الأوساط الأمريكية** » ، تأليف **إدمون غريب** ، صدر عن **لجنة العلاقات الأمريكية - العربية في واشنطون** .

● « **الهوية المفقودة : السرقة والاقتباس في الكتابات الشعبية عند العرب** » ، تأليف **جانيس تيري** ، صدر عن **لجنة العلاقات الأمريكية - العربية في واشنطون** .

● « **مقدمة للإسلام** » ، تأليف **محمد الشريف بسيوني** ، صدر عن **لجنة العلاقات الأمريكية - العربية في واشنطون** .

● « **منظمة التحرير الفلسطينية بعد حرب لبنان** » ، تأليف **أميل سهليّة** ، صدر عن **مطبعة بولدرو ويستفيو** .

● « **إقامة الدولة اللبنانية العصرية** » ، تأليف **هيلينا كوبان**، صدر عن **مطبعة بولدرو ويستفيو**.

● « **الصراعات والتناقضات - بين العرب والصهيونية العالمية** » ، تأليف **ميرون بينفينيستي** صدر عن **شركة كتب فيلارد في نيويورك** .

● « **من واشنطون إلى القدس** » ، تأليف **ولف بليتزر** ، صدر عن **مطبعة جامعة أوكسفورد** .

● « **خصائص الهيدووجين المعدّ لتفاعل الإندماج النووي** » ، تأليف **ب . كلارك سويرز** ، صدر عن **مطبعة جامعة كاليفورنيا** .

● « **استعمال الأسمدة في أمريكا** » ، تأليف **ريتشارد واينز** ، صدر عن **مطبعة جامعة تيمبل** .

● «**تكنولوجيا الأسمدة واستعمالاتها**»، ط ٣، تأليف **أ . انجلستاد** ، صدر عن **جمعية علم التربة الأمريكية** .

اليابان

• • معرض للفنون الفلكلورية • •

أقيم في مدينة « طوكيو » معرض للفنون الفلكلورية وذلك خلال شهر يولية ١٩٨٧ م .

ضم المعرض محتويات جمعت من المنازل ومن عدة متاحف صغيرة في اليابان ، هذا وقد أقام هذا المعرض الفنان الياباني « سويتسوبانيجي » المسؤول عن إحياء الفنون الشعبية في اليابان ، وقد كتب عنها كتاباً بعنوان « **الأعمال الفنية اليابانية** » .

فرنسا

• • أحدث الكتب • •

● « **دفاتر أميل زولا** » ، صدرت عن **دار بلون الباريسية** .

● **كما صدرت الكتب التالية** عن شركة **(لافوازييه - تيك ودوك)** :

★ « **الموجات القصيرة وتأثيراتها على المواد الصناعية والغذائية والطبية** » ، تأليف **ج . ثويري** .

★ « **علم خصائص المواد في الفضاء - النظري والتطبيقي** » ، تأليف **ل . ريجيل** .

★ « **دليل شراء الأجهزة المعلوماتية** » ، إعداد **ج . ساميورسكي** .

★ « **طرق البرمجة بلغة « البيزيك** » ، تأليف **ت . ريول وج . مينارد** .

★ « **الكهرومغناطيسية** » ، تأليف **هـ . جيه وج . سارمانت** .

★ « **المواد البلاستيكية ، خواصها الكيميائية وتطبيقاتها التكنولوجية والصناعية** » ، تأليف **ج . بوست** .

★ « **طُرق الحماية من الاشعاعات** » ، تقرير **لهيئة الطاقة النووية التابعة للجماعة الأوروبية** .

● **وصدرت الكتب التالية** عن شركة **سوديكسبورت في باريس** :

★ « **المذنبات** » ، تأليف **ف . آراجو** .

★ « **الفيزياء الموجبة** » ، تأليف **ر . سورديت** .

★ « **الاكتشافات الفرنسية الحديثة في علم المعادن** » ، تأليف **ف . بيلارد** .


★ أنتوني ايدن ★ ★ بوبي روبسون ★

★ « تاريخ الإنسان والمناخ في العصر الرباعي » ، تأليف ج . شالين .

★ « نباتات الصحارى » ، تأليف ب . أوزيندا .

إيران :

●● أحدث الكتب ●●

● « الدليل إلى فقه اللغة وسر العربية للثعالبي » ، محمد حسن بطائي ، صدر عن مؤسسة طبع ونشر الآستانة الرضوية .

بريطانيا :

●● أحدث الكتب ●●

● « أنتوني إيدن » ، تأليف روبرت رودز جيمس ، صدر عن شركة وايدينفيلد ونيكولسون .

● « بوبي روبسون : ذكريات كأس العالم لكرة القدم » ، صدر عن شركة كولينز ويللو .

● « التاريخ القصير لأيرلندا » ، تأليف ج . بيكيت ، صدر عن مطبعة مكتبة كريسيت .

● « المختلس » ، رواية لألبيرتو مورافيا ، ترجمها عن الإيطالية تيم باركس ، صدرت عن شركة سيكر ووربرغ .

● « الصين وتاريخها الثقافي القصير » ، تأليف س . فيتزجيرالد ، صدر عن مطبعة مكتبة كريسيت .

● « أخطاء هتلر » ، تأليف رونالد ليووين ، صدر عن شركة سيكرو ووربرغ .

● « جيوش هتلر » ، تأليف ساموئيل ميتشام ، صدر عن شركة سيكرو ووربرغ .

● « خمس مسرحيات » ، تأليف ويليام تينيسي ، صدر عن شركة سيكرو ووربرغ .

● « الكيمياء الجوية : المبادىء والتقنيات التجريبية .. » بقلم بارباره بيتس وجيمس بيتس ، صدر في بريطانيا .

● « فيزيا المذنبات » ، بقلم كريشنا سوامي ، صدر عن مؤسسة ويلي للكتاب العلمي .

رسائل جامعية

●● « الرأي العام في عهد النبوة والخلفاء الأربعة » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد سعيد علي ثابت .

●● « الإعلام وتأثيره على الصراعات الداخلية » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة منيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية ، تقدم بها السيد علي أحمد القرني .

●● « الضحاك بن مزاحم الهلالي وتفسيره للقرآن الكريم » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدم بها السيد عبد الرحيم يحيى الحمود الغامدي .

●● « مشكلة تغيير التخصص عند طلبة البكالوريوس المبتعثين للولايات المتحدة الأمريكية » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة بتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية ، تقدم بها السيد فهد بن إبراهيم الحارثي .

●● « نماذج من بعض آراء الإمام أبي حنيفة التربوية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدمت بها السيدة إلهام عزمي بكري .

●● « الأخطاء الشائعة لدى طالبات التربية العملية في كليات التربية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدمت بها السيدة هيفاء محمد أحمد حافظ .

●● « اتخاذ القرار في الأسرة السعودية ـ دراسة ميدانية على الأسرة السعودية بمدينة الرياض » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد سعود بن عبد العزيز التركي .

●● « نظرية المعرفة في الفلسفة الأوروبية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ـ دراسة ونقد » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها صالح عبد الرحمن الشريدة .

●● « القصد وأثره في تحديد العقوبة بين الفقه والقانون » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد محمد محمد عسيري .

●● « أحكام الإيمان وكفاراتها في الفقه الإسلامي » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدم بها السيد أحمد عائض عبد الخالق .

●● « المرأة وولاية القضاء » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد أحمد بن حسين الموجان .

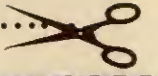
●● « تحقيق المروي عن ابن عباس من أول سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد محمد بن عبد الله الفالح .

●● « التوافق الزوجي لدى المرأة العاملة وغير العاملة » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة بغداد ، تقدمت بها السيدة سافرة سعدون أحمد .

●● « واقع التخطيط والبرمجة لبرامج التنمية في إذاعتي بغداد وصوت الجماهير من ١٩٦٨ ـ ١٩٨٠ م » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد ، تقدم بها السيد سعد عبد الجبار ثامر .

●● « تحقيق النصف الأول من كتاب فتح المغيث لشرح ألفية الحديث ـ للحافظ السخاوي » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد عبد الكريم بن عبد الله الخضير .

●● « أوليات الفاروق في الإدارة والقضاء » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالمعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد غالب القرشي .



مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً
ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال
جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً
د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي)
هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي : (المملكة العربية السعودية ـ ص . ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) . مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

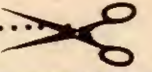
د ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١٢٦)

الاســم : --
المهنة : --
العنوان : --



•• المسابقة ••

•• السؤال الأول :

ما اسم أول رسول بعثه الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة ؟

•• السؤال الثاني :

أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

كتاب البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ـ المقاييس في اللغة ـ رايات المبرزين وغايات المميزين .



•• السؤال الثالث :

هذه الصورة لمدينة عربية اشتهرت بالعلم والعلماء .. كان اسمها في الماضي « سيرتا » وهو اسم كنعاني فينيقي يعني « المدينة أو القرية الكبيرة » .. ما اسم هذه المدينة .. واسم البلد العربي الذي توجد فيه ؟

•• السؤال الرابع :

لماذا أطلق على « البلاتين » في القرون الوسطى اسم « حجر الفلاسفة » ؟

•• السؤال الخامس :

متى كان صدور أول قانون تنظيم مهنة المحاماة .. وأين .. وما اسم الإمبراطور الذي صدر في عهده هذا القانون ؟



•• أجوبة العدد (١١٩) ••

ج (١) الأسباب التي جعلت البحر الميت أكثر ملوحة في العالم هو أنه منذ بضعة آلاف من السنين اندفعت المياه المحملة بالأملاح المذابة نحو فالق وادي الأردن JORDAN RIFTVALLEY لتتجمع في حوض البحر الميت ، وإثر ذلك انقطع معين المياه التي تصب في الحوض ، وبدأت المياه بالتبخر السريع عندما ساد المنطقة مناخ صحراوي جاف ، وبدأت درجة الملوحة في الارتفاع إلى الدرجة التي جعلت الأملاح تتبلور وتغطي القاع بطبقة سميكة من الرواسب .. واليوم يعد البحر الميت أكثر البحار ملوحة في العالم إذ يحتوي الكيلو غرام الواحد من مياهه على ٢٨٠ غراماً من الأملاح في حين تبلغ درجة ملوحة مياه المحيطات الوسطى ٣٥ غراماً في الكيلو غرام .

••• ——————— •••

ج (٢) أنشئت جامعة الملك سعود بالرياض ـ المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م

••• ——————— •••

ج (٣) المادة التي كتبت عليها الآيات الكريمات في الصورة هي رق بالحبر والألوان والتذهيب في القرن السادس الهجري .

••• ——————— •••

ج (٤) أسماء مؤلفي الكتب التالية هي :

• تاريخ قضاة الأندلس : تأليف (أبو الحسن النباهي)

• ألقاب الرواة : تأليف (الحافظ أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي)

• أدب الكاتب : تأليف (أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة)

••• ——————— •••

ج (٥) الممر الذي في الصورة هو ممر « البوسفور » ، والجسر المعلق على الممر يربط جزئي مدينة استانبول (الأوروبي ـ الآسيوي) في تركيا .

•• نتيجة مسابقة العدد (١١٩) ••

• فاز **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها **(٧٥٠)** سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً ، الأخ **محمود حسن محمد ربَّاع** ، **الأردن** ، عمان ، القويسمة ، ص . ب . (٣٨٦٤١)

• فاز **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها **(٥٠٠)** خمسمائة ريال سعودي ، الأخ **عبد الله محمد أحمد الحمادي** ، **اليمن** ، تعز ، ص . ب . (٥٨٠١)

• فاز **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها **(٣٥٠)** ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً ، الأخ **السيد عبد العزيز شميس** ـ مصر . محافظة البحيرة ، كفر الدوار ، الوحدة المحلية لمركز كفر الدوار ، إدارة الإيرادات

• وهناك **سبع جوائز** ، قيمة كل جائزة **(٢٠٠)** مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

• من **السعودية** ، المزاحمية ، الأخت **منيرة بنت محمد بن حسين** .

• من **المغرب** ، أغادير ، رقم (٣) المرشي ، الحي الاقتصادي ، العزيب ، امسرنات ، السدعة المغربية ، الأخ **محمد مبارك الانسيسي**

• من **سورية** ، حلب ، ص . ب . (٦٠٤٤) ، الأخ **حسان محمد الطحان** .

من **الجزائر** ، ولاية باتنة ، حي (١٨) سكن رقم (٤) مروانة (05300) ، الأخ **صالح بن عبد الله بوساحه**

• من **السودان** ، الخرطوم ، ص . ب . (٤٣١٢) بواسطة علاء الدين عويس فرحات ، الأخ **عادل عثمان عبد الله بلال**

• من **تونس** ، الأخت **خديجة بنت عمر الصابري** .

• من **السعودية** ، الرياض ، المزاحمية ، مكتب بريد المزاحمية ، الأخ **فهد عبد الله صالح أبو نحيط**

بالإضافة إلى عشر جوائز ، قيمة كل منها اشتراك مجاني ، لمدة عام ، في مجلة « الفيصل » فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

• من **مصر** ، الفيوم ، شارع علي حسن مخلوف ، أمام جامع مخلوف ، دار الرماد ، الأخ **نبيل عبد المنعم محمد أحمد** .

• من **المغرب** ، الدار البيضاء ، قرية الجماعة ، بلوك (37) رقم (35) الأخ **ناول عبد الهادي محمد** .

• من **الجزائر** ، المدية ، المصلى ، مدخل (٢٧) رقم (٢) ، الأخ **عبد الرحمن محمد سي موسى**

• من **اندونيسيا** ، جاكرتا الجنوبية ، الأخت **نقي الحد عبد الجميل سجاد**

• من **لبنان** ، رأس بيروت ، نزلة كراكاس ، شارع البحرين ، بناية السلطانية ، الطابق الرابع ، شقة (٢٩) الأخ **سمير عيد الحموي**

• من **البحرين** ، المنامة ، ص . ب . (١٥٣١) ، الأخ **إبراهيم مصطفى عبد الرحمن**

• من **الإمارات العربية المتحدة** ، دبي ، ص . ب . (٤٣٣٣) ، الأخ **عبد الرحيم عبد الخالق** .

• من **العراق** ، بغداد ، حي الكفاح ، زقاق (٧٧) محلة (١٣١) رقم الدار (١٠) ، الأخ **ياسين خضير علي محمود**

• من **دولة الكويت** ، وزارة التربية ، الكويت ، ص . ب . (٥٨٢٣٢) الرمز البريدي (85353) ، الأخ **محمد حسن الشناوي**

• من **الجزائر** ، ولاية الجلفة ، (17400) عند الود بلقاسم تاجر مسعد ، الأخ **لطرش عبد الملك بن محمد** .

كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».

الهستريا .. دراسة في آليات التلاؤم النفسي

تأليف **الدكتور سعيد يعقوب**. يتناول الكتاب أسباب وأعراض الهستريا، استهلها المؤلف بشرح لآليات التلاؤم والتكيف النفسي في الإنسان ودورها في حماية الشخصية. اشتملت الدراسة كذلك على تقديم بعض الأمثلة التطبيقية لبعض حالات الهستريا، كما اشتملت على فصل عن طرق التشخيص ووسائل العلاج. صدر الكتاب ضمن **سلسلة الطب النفسي عن دار المختار للطباعة في سورية**. يقع في (١٥٦) صفحة من القطع الصغير.

عشق حتى الموت .. دراسة نظرية وقصص شعبي أردني

تأليف **عيسى الجراجرة**. يضم الكتاب دراسة نظرية عن القصص والحكايات الشعبية عامة والأردنية بصفة خاصة، حيث تناولت الدراسة دور هذه القصص والحكايات ووظائفها ومكانتها التعبيرية مع تقديم نصوص في القصص والحكايات الشعبية الاردنية. صدر الكتاب ضمن منشورات **دائرة الثقافة والفنون بوزارة الثقافة الأردنية**. يقع الكتاب في (١٩٢) صفحة من القطع المتوسط.

جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين

تأليف **الدكتور محمد السيد الوكيل**. يضم الكتاب دراسة وصفية تحليلية لأحداث فترة الخلفاء الراشدين، وهي الفترة الهامة من تاريخ الإسلام، مع استعراض الكثير من أحداثها وتوضيح بعض الحقائق التي استهدفها المغرضون بالتزييف. صدر الكتاب عن **دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة**. يقع في (٦٤٠) صفحة من القطع المتوسط.

نجوم في آفاق العربية

تأليف **الدكتور عبده بدوي**. ألق من خلاله الضوء على بعض الشخصيات الإسلامية التي أسهمت في مجال اللغة العربية وما قدمته من أفكار وآراء كان لها أثرها في إثراء اللغة العربية وآدابها. يحمل الكتيب الرقم [٤٠] ضمن سلسلة **«المكتبة الصغيرة»** التي تصدر عن **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**. يقع الكتيب في (١٧٦) صفحة من القطع الصغير.

ثقافة الأطفال وكتبهم: ببليوجرافية مختارة

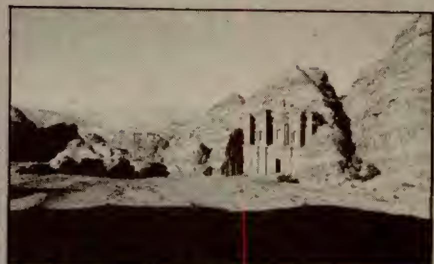
ببليوجرافية عن الإنتاج الفكري في مجال ثقافة الأطفال، أعدها **الأستاذ شكري العناني** بتكليف من **مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض**، تضم البيليوجرافية أكثر من (٧٥٠) مادة تحت عدة رؤوس موضوعات، ومداخل مرتبة هجائياً للمؤلفين، والعناوين. صدر الكتاب ضمن **مطبوعات مكتب التربية العربي لدول الخليج**. يقع الكتاب في (٢٣٢) صفحة من القطع المتوسط.

يوسف ذنون: مدرسة الإبداع في الخط العربي

يضم الكتاب بحثاً أعده الأستاذ **عبد العزيز عبد الله محمد** عن الخطاط العراقي **يوسف ذنون**. فمن خلال الوثائق، والرسائل، والكتب الرسمية، والصور، تناول المؤلف السيرة الشخصية للخطاط يوسف ذنون، كما استعرض مسيرة الخط العربي، ونهضته في الموصل موطن الخطاط. يقع الكتاب في (٤١٦) صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن **مديرية دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل بالعراق**.

كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم

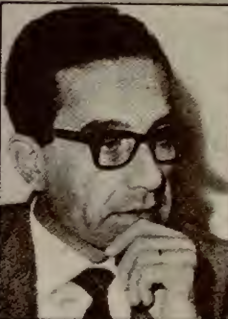
تأليف **ابن الجزار القيرواني**، تحقيق وتقديم **الدكتور محمد الحبيب الهيلة**. اعتمد المحقق في تحقيقه للكتاب على مخطوطتين، إحداهما **بمكتبة مارشيانا بالبندقية** والأخرى **بالمكتبة الملكية بالرباط**. والكتاب يعد من الآثار العربية الإسلامية الهامة في مجال رعاية الأطفال، حيث تناول كيفية تدبيرهم وتربيتهم من كل النواحي، الغذائية منها والتربوية والعلاجية. صدر الكتاب عن **دار الغرب الإسلامي ببيروت لصاحبها الحبيب اللمسي**. يقع في (١٧٦) صفحة من القطع المتوسط.



●● مدينة أردنية .. ذات جمال طبيعي وآثار تاريخية عريقة .. تقع عند ملتقى عدة طرق بين مصر وفلسطين وشبه الجزيرة العربية والعراق وسورية. إكتشف آثارها الرحالة بركهارد في عام ١٨١٢م ... طالع ص (٣)



●● مدينة العلوم والاختراعات .. واحدة من المعالم الهامة في مدينة باريس. تضم أجنحة وأقساماً عن الكون، والارض، والبيئة، والطبيعة، والموسيقى.. كما تعنى باللغة ووسائل الاتصال والتراث العلمي والتقني .. طالع ص (١٢)



●● في لقاء مع الباحث العربي د. مصطفى سويف نطالع آراءه حول الإنسان، والعبقرية، والأصالة، والتهيؤ النفسي والنقدي، والأحكام الجمالية، والأنثروبولوجيا، وتعاطي المخدرات. طالع ص (٣٧)

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

العدد (١٢٦) ـ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ ـ السنة الحادية عشرة ـ آب (أغسطس) ١٩٨٧ م — *ISSUE 126 11Th year - AUG. 1987.*

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

• ALL CORRESPONDENCE TO: — • المراسلات:

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O. BOX (3)
RIYADH 11411 - SAUDI ARABIA
Tel.4653026 - 4653027, Telex 402600 DRFATH SJ

مجلة «الفيصل» ص. ب (٣)
الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

• EUROPE - AMERICA - ASIA:

Country	Currency	Price
Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	12
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	6
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

• أسعار بيع النسخ في البلاد العربية:

البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج.ع. اليمنية	٦ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٧٥ قرشاً
السودان	٧٥ قرشاً
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٧ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٦ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم

• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

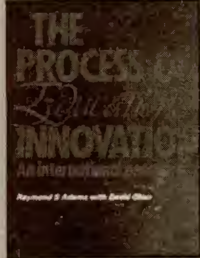
Personal Subscription S.R. 150 — Oterhs S.R.250
Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

• أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا — لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة «الفيصل».

طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ـ الهاتف: ٤٩٨٣٣٩٢ ـ الرياض

•• في هذا العدد ••



•• اجريت عدة تجارب للتجديد التربوي في بعض الدول النامية مثل اندونيسيا، وسريلانكا، وماليزيا، ونيوزيلنده .. عن هذا الموضوع نقدم «رحلة في كتاب» من تأليف رايموند آدمز، وديفيد تشن ... طالع ص (٥١)



•• هيروشيما .. المدينة اليابانية التي تعرضت في ١٩٤٥/٨/٦م لأول قصف نووي في التاريخ، راح ضحيته ثلاثمائة ألف شخص ودمر ٦٢٠٠٠ مبنى. هذه المدينة تحولت الآن إلى رمز للسلام. طالع ص (٦٩)



•• استهدفت الخطة الثالثة للتنمية الزراعية بالمملكة العربية السعودية تحقيق عدد من الأهداف في مجالات الاستثمارات الزراعية، والبنية الأساسية، وبناء السدود، ومشروعات الري وغيرها .. طالع ص (٧٥)

من كتاب هذا العدد



عيد السرياني

● من مواليد الأردن ـ عام ١٩٣٨ م .

● بكالوريوس فلسفة .

● يجيد الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والسريانية .

● عمل في حقل التدريس والإذاعة بالأردن ، وقسم الصحافة الأجنبية بوزارة الإعلام بالرياض ، ثم مديراً لدار نشر وإعلام خاصة بالرياض .

● أنشأ « وكالة الوطن العربي للخدمات الإعلامية » بمدينة عمان في الأردن ، ويدير حالياً العمل فيها .



عبد القادر عنداني

★ من مواليد حلب بسورية عام ١٩٣٤ م .

★ إجازة كلية الشريعة وإجازة تدريس الشريعة الإسلامية واللغة العربية .

★ يجيد اللغة الإنجليزية .

★ يعمل رئيساً للقسم الأدبي بجريدة الجماهير التي تصدر في سورية .

★ شارك في مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب واتحاد الصحفيين العرب في دمشق .

★ نشر العديد من الأبحاث والدراسات في الصحف والمجلات العربية .

★ يقوم حالياً بإعداد معجم لمصطلحات العلوم الأساسية والإنسانية .



محمد عادل سليمان

● من مواليد « شبلنجة ـ قليوبية » ـ مصر عام ١٩٣٣ م .

● العالمية ـ كلية اللغة العربية .

● عمل مفتشاً أول للغة العربية والعلوم الدينية بالأزهر .

● يعمل حالياً مدرساً في المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

● له ديوان شعر مطبوع ، وله قصائد متناثرة نشرت في بعض الصحف العربية .

● عضو نادي المدينة المنورة الأدبي ، وعضو اتحاد الكتاب في مصر .



عبد ضمد الركابي

● من مواليد البصرة ـ العراق عام ١٩٤٠ م .

● متخصص في العلوم الاقتصادية ـ جامعة البصرة .

● يجيد الإنجليزية .

● عمل معيداً ، فمدير إدارة مركز دراسات الخليج العربي ، فباحثاً علمياً بالمركز نفسه .

● يعمل حالياً باحثاً علمياً متفرغاً .

● له بعض الأعمال ، وعدد كبير من المقالات وعدد من البحوث العلمية .

عبد الكريم الناعم

● من مواليد مدينة حماة ـ سورية عام ١٩٣٥م

● عمل مديراً لمدرسة ابتدائية ، ومشرفاً على إذاعة حلب ، وصحفياً ، ومديراً لنادي المعلمين بحمص .

● يعمل حالياً أمين مكتبة في نقابة المعلمين بحمص .

● شارك في عدد من المؤتمرات الأدبية العربية .



● له عدد من الدواوين الشعرية المطبوعة ، وعشرات الابحاث الفكرية والنقدية في المجلات والصحف العربية .